اسماعيل بن سعد بن عتيق



صور من حياة الكاتب وأعماله الميدانية

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

إسماعيل بن سعد بن عتيق

حقائق في مرآة الزمان

صور من حياة الكاتب وتجاربه الميدانية


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العتيق، إسماعيل بن سعد

حقائق في مرآة الزمان./ إسماعيل بن سعد العتيق. — الرياض ، ١٤٢٧هـ.

٢٦٣ص : ١٧×٢٤سم

ردمك : ٦ — ٩٢٧ — ٥٦ — ٩٩٦٠

١ – العتيق، إسماعيل سعد إسماعيل ٢ – الأدباء السعوديون. أ– العنوان

ديوي ٩٢٨,١٠٩٩٥٣١ ١٤٢٧/٦٩٢٧

رقم الإيداع : ١٤٢٧/٦٩٢٧

ردمك : ٦ — ٩٢٧ — ٥٦— ٩٩٦٠

ردمك : ٦ — ٩٢٧ — ٥٦— ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله له في كل شيء آية ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر وأسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾.

بتعاقب الليل والنهار يكون عمر الإنسان وقد قال بعضهم: إن الليل والنهار خزانتان فلينظر أحدكم ما يضعه في خزانته. وإذا كان في العمر بركه فإن بركته تكون بالانتاج والإبداع وخدمة الآخرين فطول العمر بما ينفع ويفيد وقصره بما يضر ولا يفيد وقد كان لزاماً علينا أن نقرأ لمن مضى من الأنبياء والمصلحين بل والفلاسفة ومن الكتّاب والمؤلفين ممن كانوا أوعية الحكمة ومناراً للعارفين، وإن القلم رسول من مضى إلى من هو آت على مر السنين وتعاقب الليل والنهار يحفظ منه ما يحفظ ويضيع ما يضيع ولولا الكتاب لما بقيت حضارة، ولا فهم دين ولا عُبِدَ الله لذا كان الكتاب المعجز لكافة الإنس والجن هو رسول رب العالمين الذي لا ريب فيه هدى للمتقين وكل من خدم هذا الكتاب واثبت مبادئه وتعاليمه كان له من الأجر بقدر جهده وتحصيله فماذا عسى أن أكتب خدمة لهذا الدين ولأمتي.

ليس عندي ما يوجب الكتابة عن سيرتي فلست ممن غامر وأقحم في

السجون والمعتقلات السياسية، أو أعلن الشعارات الجماهيرية، أو فجر الخير في الصدور البشرية، أو قام ضد أحد حتى من أسرته وذويه، فما الفائدة للتاريخ وقرائه من شخصية كانت في طي النسيان ولم تزل تعيش على هامش الأمجاد وصناع التاريخ غير أنها ساعة من زمن كانت تدغدغ إرادتي في الكتابة عن نفسي وسيرتي ولو كانت في نظر الكاتب صفر على الشمال، أشبعت غريزتي وأقنعت نفسي في تلبية إرادتي فما عسى أن أكتب؟ وماذا أقول للناس؟ إن إرادة الله في تدبير هذا الإنسان هي حقيقة من حقائق الوجود الرباني الذي يعكس حياة الإنسان في صورة أفعال الرب المنعم المتفضل ﴿وما تشاؤن إلا أن يشاء الله﴾ «ما شاء الله كان ومالم يشاء لم يكن». فسر العلماء المشيئة بمشيئتين:

مشيئة كونية تمضي على جميع الخلق. ودينية تمضي على المؤمن المطيع بخلاف ما عليه أهل القدر والذين قالوا إن الأمر أُنف وليس في سابق علم الله الشيء يكون وبهذا المعتقد حكم علماء السلف بكفر هذه الطائفة وأنهم مجوس هذه الأمة نعوذ بالله من ذلك، ولهذا فإن ما أكتبه وأسطره هو بالمشيئة الإلهية والإعانة الربانية وحينما أكتب عن سيرتي فإن ذلك يعني المشيئة الربانية بشمولها وعمومها الكوني الشرعي ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ فأنا نفس من هذه الأنفس التي ظلت تحكمها إرادة داخلية في الإنتاج والإبداع والحركة والسكون وتتخلق بأخلاق الروحانيين والجسمانيين فهي ملاك حيناً وشيطان حيناً آخر فلله الأمر من قبل ومن بعد.

كتب كثير من الناس عن سيرهم الذاتية وفي كل سيرة تفاوت

وإختلاف فلا قران ولا زمام يقتادها في مصب حقيقة الوجود غير أنها تفعل ومن يفعل سيبقى ما بقي الدهر ولو في طيات الكتب وملامح الآثار أشرفت على نهاية العقد السابع من العمر وأمضيت بعد سن المراهقة خمسين عاماً في الكفاح المحدود فيما يخص تكويني الذاتي والمعرفي وأشرأبت العنق لأكون في صف من هو أعلى مني ولكن هيهات إنها القدرة المحدودة في الحواس الخمس ولن يكون ذلك إلا ما وهبته الإرادة الربانية وإن كان الأمر بالسعي والاجتهاد امراً منوط به تحقيق الآمال واللحوق مع ركب السباق هاك تجربتي في السيرة الذاتية ولك مني خالص الشكر والتقدير حينما تنظر عيباً فتهديه لي ولو كان قطميراً، أو نقيرا فهل ما أكتبه سيكون مضللاً للآخرين؟ أن ما أكتبه هو قصة حياة وهي لاشك تنبني على مبادئ وإتجاهات تشجب ما يضادها وتؤيد ماهو في مذاقها ولست أعني الخروج عن دائرة الدين وما يقتضي به العرف البشري غير أن أساليب العمل وأصناف الطرق الممتدة إلى جذر الحياة الحقيقية هي مركب الإنسان وإراداته الفاعلة فلن يكن ذلك مضللاً وفي عرفي هادياً وداعياً أن عمق الإنسان البشري لا ينتهي بريشة قلم تكتبه ولا بعنف قوة ولا بالنفوذ السلطاني إذ أن الفقير الحقير قد تلهمه الإرادة الإلهية ما تجعله يستمتع بفقره ويلذ بعوزه ويرى العزله جنة والإختلاط جحيماً، وإن التجارب البشرية في إسعاد الإنسان تكمن في إرادة الخير له متى كان المنقذ أهلاً لذلك فينقذ نفسه من التسربات والشهوات الحيوانية من الكبر والحسد وإرادة ظلم الآخرين والتجسس على المخلوقات بل يفني نفسه من أجل إنقاذ البشر من سورة الكبرياء وبطر الحق.

وعلى هذا فلن تكون قصة حياتي منفذاً من منافذ الشر للقارئ المستفيد، ولكنها تجربة حياة قد يكون فيها من المفيد ما عسى أن يفتح أعينا عمياً وإذاناً صماً، وتقهر النفس البشرية بصالح النفس والغير والنكن كذلك معشر الكتاب والمؤلفين وليس من المهم أن يعنون اسمك ضمن من كتب وألف ونقل عنه وقرئ له فهذا تبع وليس هدفا أن الحقائق قد تظهر في صوره قصة أو حكاية قد تكون في عمقها أشد تأثيراً على السامع والقارئ، ومن جانب آخر فقد تكون تسلية ومتعة للقارئ فيما يجد له من الأخبار مالم يسمعها أو من الديار مالم يرها أو من الذوات ما قد فنوا وأنقضوا وبقي ذكرهم والحديث عنهم والزمان عنصر أساسي لتقلب الأحداث والحوادث ولا نسجل إلا ماهو مهم أو أهم وما أكثر ما يضيع وينسى وتنسف عليه آثار الرياح قسوتها الطبيعة وقوتها فلا ترى ما كان ويسمع ممن بان وفي كل حكاية أسوقها أو قصة أو ردها يستنتج القارئ إمكانية البشر على البطر والأشر، وحيناً آخر على الخير والبر والعطف والإحسان ففي قوله تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾ ما يخول الجنس البشري أحد النجدين فسر ذلك بالخير والشر ولكل منهما مناط وسبب والله يتولى عباده الصالحين.

هل سأكشف الحقيقة عن ذاتي وهويتي؟ من العسير جداً أن يفصح الإنسان عما في نفسه لغيره بصفة مضطرده ولو كان أقرب قريب، فالشك والارتياب والتردد لدى الإنسان من تصديق أو تكذيب لما يسمعه ويراه ويلمسه قد يأبى اللسان الإعراب عنه وهو ما يسمى بحديث النفس، وقد يكون بداية ثم ينتهي إلى عمل واعتقاد، وقديماً نسمع ونقرأ من يقول: إن

الشك طريق اليقين، فهل كل يقين تعرب عنه وتفصح للاخرين عن مرادك ومرامك؟ هذا شيء متعذر، ولكن أكتب ما يمكن أن يستفيد منه القارئ وأحبر ما يتطلبه الباحث عن تجارب العمر في محكمة العدل والإنصاف فلذا كان للجسم ظاهر وباطن فمحتوىٰ الإنسان تغلب عليه الجواهر وهي: العقل والحواس الخمس التي بها تحكم وبها تميز الضار من النافع، وعلىٰ هذا فلا أنا ولا غيري يكشف عن حقيقته الذاتية ولا هويته إلا ماكان نافعاً في الظاهر مما يمكن كتبه وأعلانه، وفي قوله تعالىٰ: ﴿ويعلم ما تبدون وما تخفون﴾ تقرير لهذه الحقيقة البشرية فالإظهار غير الإبداء هو وضده والمتضادات لا تجتمع، ومثله النقائض والتغاير والسلب والإيجاب.

معوقات الكتابة والإسترسال فيما أكتب كان هناك معوقات جعلتني لا أبادر في الكتابة عن سيرتي الذاتية أولاها سوء الخط فإني لم أكن ممن درس في المدارس النظامية التي تجعل الخط مادة من مواد الدراسة بل كنت قرأت في الألواح الخشبية التي تعطىٰ للأطفال إلىٰ حين قراءة المصحف الشريف، ولذا لم أحظ برونق الخط ولا بقواعد الإملاء إلا ماكان من كسب يدي وبغير معلم، ثم عائق آخر وهو المجال العملي الذي أثقل كاهلي وأقظ مضجعي وكان من طبيعة العمل الرسمي الأسفار المتتالية في داخل المملكة وخارجها، وعامل ثالث الأسرة التي هي محل استقراري وموضع سكني كنت ألاحظ طلبات البيوت حتىٰ لا أكاد أفتر ولو في ساعات من الليل متأخرة، ثم إن معاشرة الأصحاب وكثرة المعارف والزائرين يقتطعون من الوقت مالذ لهم وما أكتبه هو سرقة للعمر الذي وصفه المتنبي بقوله:

فـــواد ما تسـليه المدام   وعمرا مثل ماتهب اللئـام

فإن ما أكتبه فهو توفيق من الله.

المساحة الزمنية والمكانية فيما أكتبه:

سأبدأ فيما أكتب من سن الطفولة إلى عهد الشيخوخة ولو بإشارات سريعة وومضات خاطفة تنتهي بتاريخ العمر هذا إن بقي معي من الذكريات ما يوجب تسجيله وتدوينه، وقد أنسى وأتناسى ماهو غير مفيد أو غير منتفع بتسجيله وما أكثر ما يقع للإنسان من هفوات وزلات هي بمثابة العصيان على حد قول القائل:

إني بليت بأربع ما سلطوا	إلا لعظم بلائي وشقائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى	كيف الخلاص وكلهم أعدائي

أما المكان فهذا شيء يتسع إلى مساحة القارات الخمس وقد كان لي الحظ الأوفر في التجوال والترحال كانت بدايته في سن العاشرة بصحبة والدي من الوادي إلى الرياض وأنغرس في طبعي حب السياحة والسير في مناكب الأرض ساعد على ذلك عدم ارتباطي بقيد الأوامر الأسرية والالتزامات المنزلية فيما قبل الزواج دفعني للسير والأسفار عملي الرسمي في دار الإفتاء من عام ١٣٨٦هـ لأكون مديراً ومشرفاً على الأعمال الدعوية وإن كنت قد كتبت كتابين أحدهما «أعلام وعلماء عايشتهم» ذكرت شخصيات عرفتهم في الداخل والخارج وكذا كتاب «مذكرات وذكريات أربعون عاما في خمس وخمسين دولة» وفي كتابي هذا عن سيرتي الذاتية ما أحاول ألا يكون هناك إزدواجية بينهما وبين ما أكتب وإن كانا الكتابان السابقان مضي عليهما عقود ثلاثة والله الهادي.

هل فيما أكتبه إطراء وإظهار لذاتي؟ ربما لا يكون هذا وارداً في حالة الكتابة وتحبير الأوراق لكن قد يقول قائل بهذا ومن يغلق أفواه الآخرين أنا لا أستجدي المدح والثناء، وإنما أخاف القدح والتجريح وهذا ما يجعلني في مأزق مدىٰ العمر وبعده فالخطيب والكاتب والمؤلف يعرض عقله ومداركه علىٰ الاخرين فإن ميزان العدل فيما يبذل الإنسان خلاصة تجارب حياته يقدمها في قالب النصح والمحبة وربط الأخوة الإنسانية برباط الإيمان حسبي أن ما أقدمت عليه من باب النصح فالدين النصيحة، وإذا ما اكتسبت مدحاً أو إطراء فلن يكون ذلك من مقاصدي ولا ما أرومه في جميع أعمالي فقد تكون حسناتي عجلت لي فأكون خاوي اليدين حين نشر الصحف بالأعمال الصالحة هذا وحسبنا الله ونعم الوكيل ومنه استمد العون والتوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سطرت سفراً بأسفاري وترحالي ... أوضحت فيه لأقوالي وأحوالي
منذ الطفولة حتىٰ حينما بزغت ... شمس المشيب علىٰ رأسي لأهوالي
ياليت شمس السماء تبدو لنا ظرها ... وشمس هامي دياج طول ليالي
أفنيت عمري فلا عمر يعود لنا ... لكنه عمل من كسب تجوالي
يبقىٰ الفتىٰ ما بقىٰ ذكراه أن حسنت ... أفعاله طاب ذكر الأهل والآل
لكنما الشؤم في دنيا بلا عملٍ ... أو كان سوءاً لأقوال وأعمال
وأستبيح لقارئ حين يقرأ لي ... إن قلت سوءاً فلم يخطر علىٰ بالي
عرضت عقلي وذوقي في مناصحتي ... فهذا تجربتي خذها بلا مال
أستغفر الله من قول بلا عمل ... وأستعيذ بربي من هوىٰ الغالي

المولد والنشـأة

مولدي ونشأة الطفولة

في عام ١٣٥٧هـ لا أدري في أي شهر كان ولكن كان في فصل الربيع كما ذكرت أمي كانت ولادتي في قرية الخماسين في وادي الدواسر جنوب الرياض على بعد ٦٥٠ كيلومتر فقد أختار والدي الزواج من أمي بنت مبارك بن عبدالله بن خليفة، وخليفة هذا جد والد أمي كان من أهل الثراء وممن له منزلة في قريته وظلت أيامه كذلك غير أن أحفاده خسروا هذه الثروة، ولم يبق سوى آثار الممتلكات العقارية، كان خليفة بن بريك جد أمي الثاني ممن يكاتب حكام عصره ويكاتبونه ويستقرضون منه لتجهيز الغزو بالأطعمة والنقود، وإلى حد ما كانت مظاهر الحُسن وآثار النعمة تبدو واضحة في معيشة الأبناء والأحفاد، غير أن والدي لم يكن من أرباب الثراء، ولا ممن يتعاطى التجارة شأنه شأن أسرته، وإنما كانوا أئمة مساجد وطلبة علم تصرف لهم البروات من التمر والعيش بلا إعياء ولا سعي للكسب لعل ذلك من أسباب الفراق بين أمي وأبي ولم يمض على ولادتي سوى ثمانية أشهر عدت إلى منزل أخوالي لأقضي الطفولة في هذا المنزل المبارك الوادع وفي حضانة جدتي هيا بنت زايد المهدل غفر الله لها وجدة أمي لأمها مزنه بنت

عيد كنت أبنهما المدلل وكانت جدتي هيا تعطف عليَّ عطفها على ولدها الذي يكبرني بسنتين وكان خالي علي بن مبارك قريني في الطفولة والمراهقة إلا أن حب العجوزتين ليَّ أوقع في نفسي الراحة والطمأنينة حيث تزوجت أمي علي ناصر بن جمعان آل خشيم أحد الفلاحين المشتغلين بالحرث والزرع مما جعل الوالدة مصروفه لخدمة زوجها ومشاركته في العمل كما هي العادة في زوجات الفلاحين ولا غرابة في ذلك.

وكان منزل أخوالي في الطرف من قصر الخماسين في الجنوب الشرقي كأطلال وآثار للممتلكات الجد خليفة بن بريك ففيها من القوة والمتانة مالم يكن في غيرها من البيوت، وقد كان في ناحية البيت من الطرف الشرقي الجنوبي برج يعلو على خمسة أمتار هو مرصد للرماة ودفع القراصنة كانت جدتي هيا عابدة تقيه قد أسودت جبهتها من السجود إذ كان السجود على الأرض أو على حصير وقد أتخذت من بيتها مسجداً تمنع الأطفال من قربه أو تلويثه وقد تفتحت عيناي على تلك العابدة هيا بنت زايد في ضحى كل يوم في مسجدها فضلاً عن الصلوات الخمس كانت جدتي هيا أرملة مات زوجها مبارك وهي بعد شابة، ولها من الأولاد حسين وعلي، ومن البنات ثلاث أكبرهن أمي، وكان خالي الكبير حسين قد اشتغل بتجارة الإبل شريكاً لعمر بن سدحان من أهل شقراء وحاله حسنه إذ كانت تجارته في الإبل وهي أنفس أموال العرب آن ذاك.

أعود إلى حضانتي كان منزل أخوالي مجاوراً للمرأة جويهر بنت الوجيه سعد بن ضرمان وهي زوجة محمد بن مرضي وكانت هي الآخرى



ترضع ولدها سعد وهو في سني فكانت والدتي من الرضاعة إذ أن جدتي هيا على صلة حميمة بها وقد فقدت ابنها سعد فأصبحت لا ولد لها فكنت ابنها والذي تحتضنه بالحنان والعطف إلى سن المراهقة عرفتها في صغري كما عرفتها في كبري كما أرضعتني فاطمة زوجة سالم بن حميد ابن عبدالحميد الدوسري في الخماسين.

موت والدي وما بعده

بعد الفراق الأبدي بين الأبوين أمي وأبي ظلت الحضانة لجدتي من الأم حتى العاشرة من عمري فدعاني والدي خلسه ليأخذني إلى منزله في اللدام ثم إلى النخل ليلاً لتكون البيتوته هناك وفي نيته أن يسافر بي معه للرياض لطلب العلم والدراسة فكان ذلك حيث تم وصولنا للرياض عام ١٣٦٧هـ، وكان والدي منتظماً في الدراسة لدى علماء الرياض ومنهم علامة العصر الشيخ محمد بن إبراهيم وأدخلني فور وصولنا الرياض المدرسة القرآنية لدى الشيخ محمد بن أحمد بن سنان، وفي العودة إلى الوادي بعد مضي عام ونصف العام على بعد سبعين كيلومتر جنوب الرياض في موضع يدعى بالثليماء كانت منية والدي ووفاته بصحبة عمي وجمع من أهل بلدي وتم دفنه بعد أن يُمم لعدم وجود الماء وصلي عليه، كان يوم حزن فقد كنت بصحبة والدي ١٨ شهراً في الرياض يرعاني بالتربية والتعليم بعد الفراق الذي دام عشر سنين لا أراه الالماما وهو لم يتجاوز أكثر من ٣٥ عاماً، وصلنا وادي الدواسر إلى منزل عمي شقيق أبي ومع وجود جدتي أم الوالد وعمتي أخت أبي فإني لم أرَ بقائي عندهم مايجدد لي الحنان والعطف والذي كنت أتمتع به عند أخوالي وفي حضانة جدتي لأمي عليها رحمة الله، جرت

المحاولة لأقناعي في البقاء في بيت العم عبدالعزيز لاسيما وأن جدتي هيا قد توفيت ولكنني قررت سفري إلى الرياض، ثم إلى الظهران في المنطقة الشرقية لأكون في كفالة أخوالي حسين وعلي فكان ذلك خلسة بتشجيع والدتي إذ أن بقائي في الوادي محرجاً لعمي فلا يرضى أن يكون ابن أخيه في كفالة غيره، توجهت إلى الرياض بصحبة الرجل الصالح مبارك بن جمعان شقيق زوج أمي، وبعد وصولنا إلى الرياض تلقفني زوج عمتي عبدالرحمن بن محمد بن سعد بن عتيق ولما علم بأن عزمي السفر إلى حيث مقر خالي حسين أمتنع وأبدى إستيائه لسفري للظهران حيث تواجد النصارى والروافض ومن منهم على غير ملة الإسلام، فهمني هذا الإمتناع وكنت في حزن شديد فبقائي في الوادي أحب إليّ من البقاء عند عمتي في الرياض ولكن من المقدر أن يكون خالي حسين قدم الرياض في قافلة الزيت التي تنقل البترول من المنطقة الشرقية إلى الوسطى فعلم بوجودي وفرح بي فرحاً شديداً وأخذني من توه ليلاً فكان سفرنا إلى الحني في الصمان حيث كان مقر عمل الخالين حسين وعلي فنعمت بهذا اللقاء وجددت العهد مع خالي علي الذي هو قريب من سني ويكبرني بسنتين، وكان خالي حسين ممن درس في مكة المكرمة وخطه جيد وقراءته حسنة فكان يعلمني التلاوة والكتابة حتى عام ١٣٦٩هـ حيث عدنا إلى وادي الدواسر لأنتظم في المدارس النظامية فقد صدر قرار تعيين خالي حسين مدرساً في المدارس الحكومية مدرسة الخماسين وهي أول مدرسة تفتح في الوادي ويديرها الشيخ عتيق بن سليم الحربي ويدرس بها مجموعة من الأساتذة منهم:

الأستاذ محمد بن خزيم من البكيرية، والشيخ إسماعيل بن عثيمين، والشيخ سعيد العمودي، وغيرهم. ثم التحق عمي عبدالعزيز بالتدريس فيها أمضيت السنة الثانية والثالثة في المدرسة وفي عام واحد وسبعين وثلاثمائة وألف توجهت إلىٰ الرياض علىٰ حين غفلة من خالي وأمي وعمي لألحق بالمدارس في الرياض وصلت الرياض وكان كبير أسرتنا في الوادي العم حمد بن عبداللطيف ممن يلازم الدراسة علىٰ المشايخ في الرياض، وقد أختص بغرفة في بيوت الأخوان شرقي مسجد الشيخ فنزلت عنده وهو لا يدري ما مرادي ولماذا قدومي إلىٰ الرياض ولكنه يعرف أنني لا أستقر تحت الكفالة مهما كانت القرابة أفهمته بهذه النية بقيت بضعة أيام لا أدري ما أصنع حتىٰ ذهبت إلىٰ السوق وكان سوق مقيبرة هو مكان بيع الأعلاف من البرسيم وعندما تحين الصلاة يبحث أهل الأعلاف عمن يحرس أعلافهم من الدواب وقت الصلاة وكان الحراس كلهم من الصغار وكنت كذلك حينما ينادىٰ للصلاة ينادي أصحاب الأعلاف رصاد رصاد فأرصد الأعلاف وقت الصلاة وبعد الصلاة يعود صاحب العلف مقابل أربعة قروش أو ربع ريال في كل وقت من الأوقات الثلاثة الظهر والعصر والمغرب حتىٰ تكون عندي عشرات الأريل، وكان أول مشروع أشتريه أستقلالاً هو فراش من القطن حيث أقبل البرد ونعال وغتره وكوفيه، بقيت علىٰ هذا قرابة أربعة أشهر وقد عزم العم حمد علىٰ السفر للوادي فخيرني بالبقاء أو السفر معه فأخترت البقاء ولكن كيف؟ ما كاد عمي يزمع علىٰ السفر حتىٰ جاءني ابن العم حمد بن الشيخ سعد بن عتيق وعرض عليَّ أن أكون في صحبة الرجل الأعمىٰ

يوسف الدغفق طالب في المعهد العلمي وهو يحتاج إلىٰ من يقرأ عليه دروسه ويقوده إلىٰ المعهد والمسجد فوافقت علىٰ ذلك، فكان يدفع لي ثلاثين ريالاً في كل شهر والسكن والإعاشة لازمت الشيخ يوسف الدغفق الأعمىٰ من صباح الفجر إلىٰ حين الغروب ورتبت معه الدروس ومن ذلك القراءة علىٰ الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم الآجروميه. ظلت صلتي بهذا الرجل قرابة سبعة أشهر وبعدها عرفت الكثير وعرفني بمعية يوسف الدغفق وذات يوم دعاني علي بن عبدالله بن خميس وقال: إن الشيخ محمد بن إبراهيم يرغب أن يراك وسأكون بمعيتك بعد المغرب ولست أدري ماذا يريد الشيخ محمد وبعد المقابلة نهض الشيخ من مجلسه وأخذ بيدي إلىٰ البيت وأدخلني في مجلس النساء وهناك تكون أم عبدالعزيز فقال لها: هذا عمه شيخنا وسيكون أحد أولادنا يدّرس البنات القرآن الكريم فرحبت وأمرتني بالجلوس وسألتني عن أمي وأبي فقلت أمي موجودة أما أبي فقد توفي منذ أربع سنين، عاد الشيخ إلىٰ المجلس وهي تؤنسني وتحدثني حديث الأم الحنون لأطفالها فوافقت علىٰ هذا العرض والطلب من عام ١٣٧١هـ حتىٰ دخلت المعهد العلمي عام ١٣٧٣هـ وبعد أن باشرت التدريس في البيت أمر الشيخ محمد بن إبراهيم عليَّ بن خميس أن يجهز لي غرفة في مسجده مجاورة للمكتبة السعودية وكانت معتكفاً للأمير محمد بن عبدالعزيز آل سعود غفر الله له.

المحتدى والنسب

لابد من الإشارة إلىٰ الطبقية في المجتمع النجدي فلا يصح أن يدعي الإنسان ماليس له لقول النبي ﷺ: « لعن الله من أنتسب لغير أبيه» ونعتز بما عليه أسلافنا من العلم والدين والدعوة وخدمة المسلمين فالطبقية هي أنموذج لما عليه الجاهلية الأولىٰ وإن كان الإسلام قد هذبها وحرم الإعتزاز بغير الإسلام فقد قال ﷺ: من تعزىٰ بعزاء الجاهلية فأعضوه علىٰ هن أبيه ولا تكنوا» والهني : الذكر أي قلها له صريحة من غير كناية مبالغة في الإنكار وقد تلاشت الطبقية العرقية في الأمصار تلاشيها في مصر والشام والحجاز والأقطار الشرقية من الجزيرة العربية.

أما أهل نجد فلا تزال القبلية وستبقىٰ ببقائهم مصداقاً لقوله ﷺ: «اثنتان بالناس هما بهم كفر الفخر بالإنساب والطعن في الاحساب» غير أنه لابد من الاعتراف بالعربي وما له من فضل وقدره وملكه متىٰ كان الإسلام رائده والهدىٰ قائده فقد قال ﷺ: «الناس معادن كمعادن الذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» وفضل العربي لا ينكر علىٰ من سواهم إلا أن تفسير العربي قد تضيق دائرته إذا أفتقر إلىٰ ضبط النسب وتحديد الهوية القبلية الفعلية، أما إذا قيل كل من تكلم بالعربية فهو عربي

فهنا تتسع الدائرة ولا يمكن لعرب الجزيرة ومن حولهم أفضلية على غيرهم، وفيما أرى أن القول الأول هو الصواب، والقول الثاني عرب مستعربون ونحن منهم ذكرت لأولادي ما عليه المجتمع من الفوارق في النسب والمحتدى وقلت: إن أشرف نسب شرف بشرفه ﷺ وهم صنفان الأشراف والسادة، فالأشراف هم بنوا هاشم وبنوا عبدالمطلب جد النبي ﷺ والسادة أولاد فاطمة زوجة الإمام علي بن أبي طالب بنت الرسول ﷺ وكل من أنتسب إليه يطلق عليه سيد لقول النبي ﷺ: «أن ابني هذا سيد» وهم داخلون في بني هاشم نسباً وإنتمائاً فهم طبقة واحدة، أما الثانية فهم من يتمون للعرب من قحطان وعدنان ولهم فروع كثر من القبائل ومن المتعارف عليه أن عتيبة ومطير وسبيع والعجمان وبني مرة إلى آخره كلهم عرب وفيهم ومنهم تنقاد الزعامة والشجاعة والعبقرية وصفات لا يمكن حصرها وليس هذا على إطلاقة.

الطبقة الثالثة: بنوا خضير لم يثبت نسبهم إلى أصول عربية كما ثبت لغيرهم بالتوارث والتلقي والمصاهرة وتسلسل النسب.

الطبقة الرابعة: أرباب الحرف كالحداده والنجاره وصناعة الذهب يدعون بالحظر وهم ممن يفتخرون بحرفهم كالصفار والنجار والجزار والصائغ وبالتأكيد أن هذه الطبقة وافدة من خارج الجزيرة.

الطبقة الخامسة: الوافدون من أفريقيا السوداء وإن كانوا يدعون بالعبيد لكن لا عبودية عليهم لأحد إلا من كان قبل الأعتاق في عهد الملك فيصل رحمه الله فإن أكثر من يباع ويشترى هم من السود وقد غلب عليهم

اسم العبيد هذا ما بينته لأولادي حتىٰ لا يجرئون علىٰ التقدم بخطبة الزواج من غير طبقتهم بنوا خضير، أما جدنا عتيق فقد انتشرت أسر في نجد وخارج نجد انتسبت لآل عتيق ولكن لا تواصل بينهم فيما مضىٰ وبحكم التقارب جرىٰ التعارف بينهم وثبت إنتمائهم لآل عتيق كأسرة واحدة في كل من الزلفي والرياض وسدير والأفلاج والقصيم وحائل والقرينة.

وتم التواصل بين هذه الأسرة وقد فصلت ذلك في كتابي «البحث المتناهي عن أخبار العتيق بين الآمر والناهي» ويتفوق أبناء الشيخ حمد بن عتيق علىٰ أبناء عمهم بكثرة العلماء المتخرجين من الدراسات العليا، في المعاهد الشرعية والكليات فقد بلغوا قرابة السبعين متخرجاً وتولىٰ الكثير منهم مناصب دينية كالقضاء والتعليم والحسبة وكانت الشهرة لهم لدىٰ الحكومة إذ عين في القضاء من أبناء الشيخ حمد قرابه ١٥ رجل، وكل من ينتسب إلىٰ آل عتيق هم من بنوا خضير عدا العتيق القصب فإنهم لا يرضون بذلك ولم يحصل بيننا وبينهم تواصل أو تفاهم كما كان في القصب أسرة الحميضي وأحد أجدادنا يدعىٰ حميضه وهم من القبائل وقد عثرت علىٰ مخطوطات يزيد عمرها علىٰ ٢٠٠ عام تثبت وجود العتيق في منطقة نجد وإن كنا لا تستبعد ترابط أرباب هذه الأقلام بأسرتنا وفيما يلي بيان بهم:

١ ـ ماهي بخط الشيخ حمد حين قال: قاله جامعة حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة عام ١٢٦١هـ.

٢ ـ وفي آخر الكتاب أودعه الفقير إلىٰ ربه: عبدالله بن موسىٰ بن عتيق بن حميضة بن سليمان بن عبدربه.

٣ ـ وفي آخر كتاب بقلم : محمد بن موسىٰ بن عتيق بن حميضة ١٢١٤هـ.

٤ ـ وفي آخر كتاب بقلم : عبدالعزيز بن يوسف بن إبراهيم بن موسىٰ بن عتيق بن راشد ١٢٤٩هـ.

٥ ـ وفي وثيقة ليحيىٰ بن عتيق منقولة بتاريخ ١٣١٨هـ.

٦ ـ وثيقة باسم علي بن محمد بن عتيق منقولة بتاريخ ١٣٠٤هـ.

٧ ـ وصية لسلمىٰ بأضحيةٍ وكيلُها أخوها علي ومن بعده ذريته «علي والد الشيخ حمد».

المطلوب هو التعرف علىٰ مخرج عتيق زمانه ومكانه غير ما ذكر وكذا، البحث عن فروع موسىٰ وأبناؤه الثلاثة إبراهيم وعبدالله ومحمد.

التدين والاستعداد الفطري

صدق من قال : إن الإنسان ابن بيئته، وقول من قال : إن الطبع لص، نظرية التأثير البيئي تجريبية أكثر منها نظرية، وفي سني المبكر تفتحت عيناي على جدتي وسيرتها التعبدية فهي أمي الثانية التي أخذت في تربيتي على الود والحنان والعطف، فكنت أحبها وما تعمله عندي أمر مسلم به من ذلك تلك العبادة التي لا تفتأ أن تصلي وتصوم وتقوم الليل بالتسبيح والتهليل والتكبير فكان هذا غرس التدين ونواه المستقبل بأن أكون من أهل الدين والعلم الشرعي وفي صحبتي لوالدي للرياض عقدت العزم في باطن الإرادة الخفية أن أكون مثل هؤلاء العلماء الذين قابلتهم وكان أبي ملازماً لهم إذ أنه لا حواجز تمنع التدين ولا معوقات تصرف الشباب عن ما يلقونه من تأثير البيت الصالح والجليس الصالح.

دأبت سيرتي وسريرتي على حب التدين المبكر مع الاستعداد الفطري كما في الحديث الشريف : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانة . . . ألخ».

وماذا بعد سن البلوغ من أثارة الغرائز الكامنة في الجسد البشري والطبع والنزعة الانسانية، والميول إلى الرجولة ومشاهدة المغريات، هنا

بدأت المعركة التي هي سر التكليف والثواب والجزاء والعقاب، لقد غامرت وراهنت على ضبط النفس والسير في الطريق الصحيح المستقيم مهما كانت المغريات ودوافع الشهوات فالحمد لله العاصم لمن اعتصم به ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له ﴾ طوحت في كثير من العواصم ورأيت العجب العجاب ولكن لا إرادة ولا رغبة في الاستمتاع المحرم وكفى بالصلاة حصناً وبالذكر حماية.

غير أن هناك منفذ شيطاني آخر هو منفذ الشبهات ومع ثقتي بنفسي ومعتقدي أزمعت الدخول مع عدد كثير من أهل البدع، والنصارى، والقاديانية، والشيعة، والمتصوفة، في كل من سوريا ونيجيريا ولبنان وباكستان وسيلان والهند، أمر يتطلبه العمل الإسلامي والدعوة إلى الله تعالى أذكر مشهداً في البحرين حين حضرت حلقة الذكر في مسجد الشيخ الصديقي وطريقتهم النقشبندية فأعجبت بالأدب والاحترام والسكون، وبعد قراءة الورد جماعياً أمر الشيخ بإطفاء الأنوار من المسجد إلا نوراً خافتاً ثم أخذ كل واحد منهم في حجم الجمرات الصغيرة من الخرز وأخذوا ينفضونها بين الأيدي مجتمعة خمس أو سبع دقائق ولا أدري ماهو السر في ذلك ولم أشاهد عملاً مثل هذا عند من لاقيته من أرباب التصوف.

صحبت جماعة التبليغ في الهند وباكستان وبنجلاديش وهم يقولون بالطرق الأربعة فلم أرهم يظهرون شيئاً مما إنكره، وفي سيلان رأيت شيخاً معمماً يجوب المسجد بذكر الله فدعوته فقال: من أين أنت فقلت من نجد فقال: أعوذ بالله نجد قرن الشيطان.

هل تعتقدون أن الرسول بشر أم هو نور فقلت : هو بشر ولد من أنثىٰ وذكر فقال : ألم تسمع إلىٰ قول الله ﴿قل إن ثم توقف . ثم قال : ما أنا بشر﴾ .

كنت في حمص في سوريا وشاهدت الرقصات الصوفية قياماً وقعوداً علىٰ الطريقة الأحمدية ، كما حضرت مجالس الذكر لدىٰ الشيخ أحمد كفتارو مفتي سوريا ، وطريقته النقشبندية ، فكان بيني وبين بعض مريديه تعارف وصداقة وقتية ، أما الأحمديون فقد حاورتهم في نيجيريا وسكنت مجاوزاً لهم فكنت صديقاً لهم ويجري بينا وبينهم المحاورة والنقاش مع الأدب ، وعدم الخروج عن منطق العقل المتعارف عليه ، وقد كتبت كتاباً بهذا العنوان ، «حوار مع القاديانية[1] وجهًا لوجه» وعلىٰ العموم فكل ما الاقيه من البدع والمغريات فإن لديَّ من المعتقد الصحيح ما يخولني المناظرة والجدل والمنطق العقلاني مع الدليل الشرعي والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وعلىٰ العموم فالتدين الفطري إذا رافقه العلم الشرعي كان ذلك محصناً لصاحبه ومحافظاً علىٰ معتقدة وديانته ، وفيما أعلم أن فتنة الشبهات أشد من فتنة الشهوات ولم يعلق بذهني شيء مما يلتبس عليَّ في اعتقادي وان كان في القضاء والقدر والبعث والنشور وتصور الذات الإلهية أمر يعجز عن فلسفته العقل والإدراك البشري وإنما هو التسليم والانقياد والاتباع ، وفي نظري العابر أنه يجب أن ينظر في تلقين الناشئة والمستجدين لدراسة علم العقائد منهجاً يتفق وحاجة العصر في بيان توحيد الربوبية بدلائل المشاهد والمحسوسيه كما هو في مطلع الرسالة المحمدية في لفت الأنظار

للكون ومافيه في مثل قوله تعالىٰ : ﴿والشمس وضحاها﴾ وقوله : ﴿والفجر وليال عشر﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات المكية التي توضح توحيد الربوبية ثم يأتي المنطلق الثاني وهو التعريف بما يجب لله من حق العبادة كما يلزم أن تربط العبادة بأعمال المجتمع البشري في سلوكياته وأدبه وأخلاقه ومعاملته .

وأن كان هذا الأمر يحتاج إلىٰ دراسة اجتماعية ودراسة نفسية تتضافر مع جهود مدرسي التربية والتعليم وبهذا تتضح معالم دراسة التوحيد دراسة واضحة سهلة مرنه يهضمها الصغير ويستفيد منها الكبير ومن غير شك أن أئمة الدعوة والمصلحين كانو قد أبانو منهج الحق واوضحو سبل الوصول إليه الإيضاحات البينات ومعالجة ماهو قائم مما يخالف الشرع الحنيف فكتاب الأصول الثلاثة وكشف الشبهات مؤلفان فريدان الأول في بيان مراتب الدين (الإسلام والإيمان والإحسان) ومعرفة الرب والرسالة والنبوة الثاني في رد الشبهة العالقة في أذهان المعاصرين من القبوريين والمبتدعين غير أن وسائل الإيضاح المعاصرة ووسائل التبيين هي علىٰ أشدها في هذا العصر كالحوار والتمثيل والقصص والاستجوابات وقد كان لعلماء الاجتماع وعلماء النفس دور في تبيين الحقائق النفسية والسلوكية كما أن دراسة المجتمع يعين علىٰ حل مشاكله بالوسائل المناسبة وقد أصبح علم الاجتماع وعلم النفس أمر ضروري للمدرس والمربي ليكون ذلك وسيلة من وسائل التأثير النفسي والسلوكي والاجتماعي .

والله ولي التوفيق . . .

في مسجد الشيخ في دخنه بالرياض

وبعد استقراري في مسجد الشيخ بدأت في دراسة وحفظ القرآن الكريم، فقد أمر الشيخ محمد بتعيين أربعة مدرسين في مسجده ضحىٰ كل يوم وهم: الشيخ محمد المهدي الشنقطي، والشيخ محمد بن أحمد اليماني، والشيخ عبدالرزاق القشعمي، والشيخ محمد المغربي وهو أحسائي، وقد رتبت علىٰ الشيخ محمد المهدي الشنقيطي وكان ممن يَدْرُسُ ويُغَيِّب القرآن في مسجد الشيخ مفتي عام المملكة حالياً الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، وأغلب الطلبة من الصغار في سني وأكبر مني بقيت في مسجد الشيخ بقية عام ١٣٧١هـ حتىٰ عام ١٣٧٢هـ كل صباحٍ أغدو إلىٰ بيت الشيخ لتدريس القرآن لثلاث بنات جوهرة بنت الشيخ وعمرها في حدود سبع سنين، وطرفه بنت الشيخ عبدالعزيز بن محمد وعمرها ١٠ سنين، وفوزية بنت الجارية مستورة وعمرها ٨ سنوات، وكان الشيخ لا يدفع لي مرتباً ولكن كان يكافئني عند ختم وفي نهاية كل جزء يحفظونه أو يقرؤنه، وقد بدأت معهم من حروف الهجاء إلىٰ قراءة المصحف، وكان الشيخ يمر بنا وأنا أدّرس في ساحة المنزل، وكان أبناء الشيخ الثلاثة يسكنون معه وقد تزوجوا وهم: الشيخ عبدالعزيز وإبراهيم وأحمد أما البيت الثاني ففيه

زوجته الثانية بنت بن ناصر، وأولادها الجوهرة، وعبدالله ولم ينجب للشيخ سوىٰ هؤلاء من الزوجتين، بقيت في بيت الشيخ كبقائي في المسجد سنة ونصف السنة، وكنت مع الشيخ دائماً آخذ بيده إلىٰ المسجد خاصة في صلاة الظهر والعصر والفجر وقد بقي في قلبي وعواطفي حب الشيخ رحمه الله مما جعلني أكتب عنه في عام ١٤١٣هـ وأنجزت كتاباً بعنوان «تاريخ من لا ينساه التاريخ الشيخ محمد بن إبراهيم»، كما جمعت مراثيه وما قيل فيه من نظم أو نثر بعد وفاته، وكتبت مقالاً نشر في مجلة الدعوة مسجد الشيخ قبل ٥٠ عاماً.

أمر الشيخ بصرف مرتب لي ضمن الطلبة إثنىٰ عشر ريالاً شهرياً فكانت مصاريفي الضرورية كالملابس والإفطار لأن بيت الشيخ لا يقدم سوىٰ وجبة واحدة بعد العصر وقبل الغروب، وبعد العام ونصف العام تقدمت لدخول المعهد العلمي واختبرت ولكنني لم أنجح في الحساب، فراجعت الشيخ وأمر بإدخالي المعهد في السنتين التمهيديتين الأولىٰ والثانية وكانت بمنزلة السنة الخامسة والسادسة الإبتدائية وتوقفت عن التدريس في البيت لأنني بلغت الرشد وذلك في عام ١٣٧٣هـ حيث أصبح سني ١٦ عام ولا يحق لي الدخول علىٰ النساء، كان المعهد يديره الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم شقيق الشيخ محمد ويساعده الشيخ حمد الجاسر ولأن هناك عدد من طلبة العلم يثقل عليهم دراسة المواد العصرية كالجغرافيا والحساب فقد أمر الشيخ بإفتتاح قسم خاص للعلوم الشرعية فقط، فلاخط ولا حساب، ولا جغرافيا، ولا هندسة، فكنت ممن اختار هذا القسم، كانت الدراسة

سنتان تمهيدي وكان الثانوي ٥ سنوات والكلية أربع سنوات، وفي عام ١٣٧٣هـ عمر مسجد بن مرشد المجاور للمعهد وكان من جهة الجنوب أربع غرف عمرت بالطين وسقفه من الأخشاب فطلبت من المشرف على الطلبة الشيخ علي بن خميس أن يعطيني غرفة منها لأنها أكبر من غرفتي ولأنني سأخذ حريتي فيها بالطبخ والتغسيل فوافق على ذلك بعد فرشها بالحصر وكان ممن سكن هذه الغرف الأخ عبدالعزيز بن يحيى من الأفلاج، ومحمد بن عبدالعزيز السبيعي ومعه إخوانه إبراهيم وصالح، كما كان في هذا المسجد إبراهيم بن قاسم ومعه حمد المزروع أما أنا فقد أختصيت بغرفة واحدة ومعي سعيد بن مشبب من الجنوب فكنا مجموعة من الطلبة في المعهد العلمي وكان ممن يصلي في هذا المسجد الشيخ عبدالعزيز بن صالح المرشد، ويحيى بن حزام أمير المهاجرين اليمنيين، والشيخ عبدالعزيز الشكري، والأمير محمد بن سعود، وابن عبيكان، وابن ثنيان، وغيرهم من أعيان الرياض، ومن الغريب أن لا أحد يعطف علينا ولا يواسينا بكلمة طيبة غير يحيى بن حزام اليمني، وعلي بن خميس المشرف على الطلبة فنحن في أعينهم غرباء فقراء أشبه باللاجئين فلا أعرف أنا ولا غيري ممن يسكن هذا المسجد دخلنا بيتاً أو دعينا في أي مناسبة من المناسبات الطارئة، أنهيت دراستي التمهيدية ودخلت المرحلة الثانوية وكنت من أوسط الطلاب لا تفوق ولا تخلف عن زملائي أنجح في الدور الأول في كل سنة.

في عام ١٣٧٤هـ انتقلت إلى الثانوية ولم تكن متوسطة بل كان المعهد ٥ سنوات وفي هذه السنة انتقل المعهد إلى أم قبيس في مبنى الحكومة وهو

من الطين والجبس وكان مديره الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم ومن أساتذتنا في هذا المعهد المقريء الشيخ عبدالفتاح البخاري، ومن الأساتذة الشيخ عبدالله بن قعود، والشيخ صالح الحصين، والشيخ عبدالعزيز السلمان، والشيخ مختار الشنقيطي، والشيخ علي بن حميدان، أمضيت دراستي الأولى والثانية حتى عام ١٣٧٦هـ وكانت كتب الشيخ حافظ حكمي قد وصلت الرياض وطبعت على حساب الملك سعود وشاع خبر القرعاوي ودعوته فأجمعت السفر إلى جيزان للدراسة على الشيخ حافظ والاستفادة منه فتوجهت في هذا العام من الرياض إلى وادي الدواسر مروراً بأبها والإقامة عند الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل، ومن أبها إلى جيزان بالطائرة، ومن جيزان إلى سامطة حيث التقيت بالشيخ حافظ وبقيت عنده ١٥ يوم ولكن الجو التهامي لا يناسب النجديين فعدت بعد ١٥ يوم من حيث أتيت، ولم يكن في ذاكرتي من العلماء الذين يستفاد منهم غير الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في عنيزة فتوجهت إلى القصيم والتقيت بالشيخ عبدالرحمن وبعد مضي عشرة أيام عند الشيخ أشار عليَّ بالتوجه إلى بريدة والاستفادة من علمائها كالشيخ عبدالله بن حميد، والشيخ صالح الخريصي، وغيرهم فأخذت بالمشورة وتوجهت إلى بريدة والتقيت بالعلماء وتم ترتيب الدروس عليهم وبالأخص الشيخين عبدالله ابن حميد، والشيخ صالح الخريصي وقد وجدت جواً صالحاً للدراسة والتحصيل فكنت عند الشيخ بن حميد من بعد صلاة الفجر لقراءة النحو الآجرومية وملحة الإعراب والقطر، وعند الشيخ صالح الخريصي بعد كل عصر قراءة في

«كـتـاب الـتـوحيـد» ومتن الزاد مع شـرحـه «الروض المربع» أمـضـيت ثلاث سنوات في بريـدة من عـام ٧٦ حتىٰ ٧٩ أواصل دروسي عنـد المشـايخ ، وفي المعهد العلمي وقـد كنت أواصل الدراسة في العطل الصيفيـة فلا أفارق البلاد ولا العلماء حتىٰ ألم بي ما أوجب عليَّ المبادرة بالعلاج من مرض مزمن أدىٰ إلىٰ سفري إلىٰ الكويت ثم إلىٰ لبنان حيث بقيت هناك ١٨ شهـر علىٰ السرير الأبيض الذي سـأبين وأوضح بشـكل تفـصيـلي عن بقـائي في لبنان ومـا رأيتـه ومن تـأثرت بـه أو تأثر بي في هـذه المدة الزمـنيـــة التي قطعت عليَّ سنة من سنوات الدراسة .

حج مبرور

في عام ١٣٧٤هـ بلغت الرشد ووجب الحج وجوب أحد أركان الإسلام الخمسة ولكن هيهات لا مصروف ولا معروف غير أن الأقدار تسعى بتقدير مقدرها فكان لي معرفة بأحد المطاوعة مكفوف البصر وهو أحد حاشية الأميرة البندري بنت الملك عبدالعزيز وزوجها بندر بن محمد ابن عبدالرحمن، وأبنها بدر فعرض عليّ مصاحبته بالحج وهو بصحبة البيت الملكي ضمن مجموعة من المطاوعة العميان وحكايات العميان أن الملك عبدالعزيز يحتفي بمجموعة كبيرة من طلبة العلم من مكفوفي البصر يقرأون القرآن في البيوت الملكية ويصلون بهم صلاة التراويح في رمضان ومن هذا أخذ بقية البيوت من أبناء وبنات الملك عبدالعزيز والأسرة الحاكمة مأخذ والدهم وأقتفوا أثره في اختيار المطاوعة وكانوا يخصون بالتقدير والإكرام والحفاوة فهم من خاصة الخاصة وليست لهم مرتبات ولا قواعد شهرية ولكنه الإكرام والتقدير فهم أشبه بخواص العائلة ومع حاجة هؤلاء العميان إلى المصاريف الضرورية والحاجيات الكمالية فإنهم يلتصقون بهذه البيوت التصاق الجار بجاره والعارف بمن عرفه أزمعنا المسير بمعية الأميرة البندري بنت عبدالعزيز كان ذلك في ذي القعدة من عام ١٣٧٤هـ وزاد الإستبشار

وتضاعف الفرح حينما علمت أننا سنركب الطيارة بصحبة هذه الأسرة وفعلاً وصلنا الطائف ليتم الإستقرار حتىٰ قرب الحج وصلنا الطائف وهيىء لنا سكن يتنابنا فيه الخدم بالوجبات الثلاث وربما نلتقي بسمو الأمير بندر بن محمد بن عبدالرحمن زوج الأميرة ليبارك لنا في الصباح المساء، ويظهر البشاشة والإحترام للمطاوعة ومرافقيهم وفي الغالب كل أعمىٰ يحتاج إلىٰ قائد يقوده وربما يقرأ عليه ويتدارسون معاً فكان زميلي المدعو حسين الفريح هو ذلك الذي صحبته في هذه الرحلة الميمونة رحلة الحج، والأخ حسين ممن يحفظ القرآن الكريم ويؤم بالعمه كما يسمونها أي الأميرة وربما أفتىٰ من سأله وأجاب من أستفسره عن شؤون الدين وكانت الأميرة تعتبر المطاوعة من أخص أهل بيتها فلا يركب النساء مركباً إلا والمطاوعة، بصحبتهم بالطائرة أو بالسيارة وكان الوزير للأميرة هو الذي يشرف ويتولىٰ شؤون المطاوعة وكانت بيوت الأسرة المالكة تتسم بالجدية والعمل الدؤوب، هناك تخصصات في توزيع الأعمال علىٰ المستخدمين ومنهم المكلفون بالسقيا وتحضير المياه في تنقلاتنا وترحالنا .

عدنا إلىٰ الطائف بعد أداء الحج وبقينا في صحبة الأميرة البندري بنت عبدالعزيز كما بدأنا أول مرة واستمرت تلك الموائد التي تتعاقب علينا تعاقب الليل والنهار ثم عدنا إلىٰ الرياض سالمين غانمين ليس إلا الحج فقط، وصحبه القصور الملكية، وركوب الطائرة وهي لأول مرة أركبها والله المستعان .

إدارتي للمال

أول قرش وصلني بكسب يدي عام ١٣٧١هـ حينما كنت أرصد الأعلاف في سوق مقيبره بالرياض مقابل أربعة قروش وربما أقل من ذلك ليكن حصيلة اليوم عشرة قروش أو إثنا عشر قرش للحراسة وقت أداء البائع صلاة الظهر والعصر والمغرب وقد لا يتسنى ذلك لكثرة طالبي الحراسة من الصبيان دون البلوغ، وفي العام نفسه حينما كنت مع الرجل الأعمى يوسف الدغفق الزبيري كان مرتبي عنده ثلاثون ريالاً في كل شهر، ثم بعد إنتظامي في الطلب رتب لي إثنا عشر ريال في الشهر فكانت إثنان وأربعون ريالاً في الشهر الواحد، وبعد دخولي المعهد العلمي عام ١٣٧٢هـ كان مرتبي في السنتين التمهيدتين سبع وخمسون ريالاً، أما بعد دخولي الثانوي فارتفع المرتب إلى مائتي ريال في كل شهر لمدة خمس سنوات، وفي كلية الشريعة ثلاثمائة وعشرون ريالاً، وبعد التخرج عام ١٣٨٤هـ ودخولي في العمل الرسمي كان أول راتب استلمه للعمل الوظيفي ٩٥٧ ملازم قضائي في محكمة الرياض، وقد تدرج المرتب حتى عام ١٤١٢هـ إلى إثنى عشر ألف ريال وهذا آخر مرتب أستلمه بعد بلوغي سن التقاعد سنة ١٤١٧هـ، وكان يصرف لنا من الإنتدابات والبدلات مالو جمعت بلغت ٤٥ ألف ريال في

حال الإنتداب والسفر للخارج، وبعد التقاعد أنخفض مرتبي إلىٰ ١١ ألف وخمسمائة ريال، بهذا التدرج من القروش إلىٰ آلاف الريالات كانت حياتي بسيطة بلا إسراف ولا تقتير ولكن بين البين، ولم أتوجه إلىٰ حِرف أخرىٰ من أبواب الكسب والتجارة إلا عام ١٤٠١هـ فقد فكرت في إشغال وقتي بعد التقاعد فمهدت لإفتتاح مكتبة تجارية الغرض الأول منها هو نشر ما أكتبه أو أجري عليه دراسة أو تعليق أو تحقيق فكسبت من وراء ذلك مالاً ولكن لم تطل مدة الإتجار بالكتب والمطبوعات فقد أغلقتها عام ١٤٢٠هـ، لسببين: الأول عدم استعدادي لأن أكون تاجراً بالمعنىٰ الصحيح إذ يلزم منه أن أكون علىٰ صلة وثيقة بأهل الصنف من التجار الأمر الثاني أن توجهي للعلم وخدمة المسلمين تتعارض مع الإنخراط في التجارة الجدية فعدت لعملي الذي بدأت به وهو الدعوة والتفرغ للمذاكرة والدراسة لقد ألتزمت بالتدريس في المنزل الذي أعددته ليكون ملتقىٰ للإخوان والأحباب وللطلبة الراغبين مع وجود كتب ومراجع ومخطوطات في منزلي القديم في حي سكيرينه صفيت جميع أعمال التجارة للمكتبة عدا بعض المطبوعات التي تتمثل في إخراج كتب علىٰ العناوين التالية :

أولاً : التراث الإصلاحي في العقيدة والشريعة.

ثانياً : عيون الرسائل والمسائل.

الثالث : أعلامنا في سجل التاريخ وهي تراجم للأئمة الدعوة السلفية، مع ما كتبت وألفت من الكتب ولكن لا توجه صادق لكسب المال ولا التكاثر به فقد كنت معتدلاً في الإنفاق مما جعلني لا أضطر إلىٰ مغامرة أو

منافسة لجمع المال والتظاهر بمظهر أرباب التجارة في المال، لم أعرف أنني أقترضت من أحد مالاً أو استنجدت ولو من الحكام وفي مقدمتهم الملك فيصل حينما كنت أخطب بالجامع المربع الذي يصلي هو فيه الجمعة وكنت أحضر مجالسه الفينه بعد الأخرىٰ إلا ما كان من حالي لما كنت مريضاً في لبنان فقد تكرم أخ عزيز هو الشيخ سليمان بن غنيم وهو من سكان بيروت ومن تجار الرياض ويقدر لأسرتي قدرها ويعرف لها فضلها في العلم والتعليم فقد عرض عليّ أن يسدد تكاليف العلاج المتبقي عليَّ في المستشفىٰ علىٰ أن أدفع له ما سدده بعد عودتي للرياض كان في حدود ٧٠٠ ريال، أما الحالة الثانية فقد كنت أعددت جهازي للزواج ومنه مشالح وفرش زل وطواقي قماش سرقت في اليوم الذي سأسافر فيه من غرفة في بيت الإخوان الطلبة بعد الظهر وكنت خرجت وتركت الباب مفتوحاً لأني سأعود قريباً في خلال نصف ساعة سرقت كلها فعرضت الأمر علىٰ الأخ الشيخ صالح الفوزان وكان صديقاً حميماً حينما كنت في بريدة عام ٧٦ فأقرضني ٥٠٠ ريال لأقوم بتسديدها حينما يتيسر وقد أعدتها له والحمد لله، ومن صنيع أمري أنني لم أستأجر بيتاً لعائلتي إلا لعام واحد عام ١٣٨٢هـ فقد كنت أفضل السكن ولو في بيت صغير يكون في ملكي خيراً لي من الإستئجار فقد أشتريت البيت في حارة سكيرينه في الرياض بمبلغ ١٢ ألف ريال ست آلاف معجلة وست آلاف مؤجلة وبعد السكنىٰ فيه ولمدة خمسة أعوام اشتريت البيت المقابل له بـ ٢٥ ألف ريال وكانت مساحة الأول ثمانون مترا ومساحة الثاني مائتا متر، ثم كان سكني في حي الشفا عام ١٣٩٥هـ فقد

عمرت مساحة ١٥٠٠ متر شقتين متقابلتين وفيها أسكنت زوجتي الإثنتين فكانت سياستي في المال التدبير وعدم التظاهر بما لا أملك حتىٰ في مركبي فقد كانت سيارتي من سيارات صغار الموظفين ولم أشتري السيارة الأمريكية إلا عام ١٣٩٨هـ، وكنت أخذ بالمثل: مد رجلك علىٰ قدر لحافك. وفي عام ١٤٠٢هـ ظهرت ظاهرة الاستثمار الزراعي بتشجيع من الدولة حيث منحت قروضاً طويلة المدىٰ كما منحت أراضي زراعية لكبار المزارعين وصغارهم بل شجعت أكثر من ذلك فكانت تأخذ محصول مزارع القمح بأسعار تغري المزارع علىٰ الإنتاج والاستثمار السسريع فكنت ممن دخل في حلبة السباق واستقطعت أرضاً زراعية في الأفلاج خمسين دنماً علىٰ الخط العام الرياض الأفلاج وعلىٰ بعد ١٠ كيلو متر من البلد وبدأت حفر البئر وتسوية الأرض وأستلمت قروضاً عينية مكينة وطرمبة وأحضرت العمال من باكستان فكانت مزرعة صغيرة غرست فيها ١٥٠ نخلة متنوعة وقد بذرت الأعلاف من البرسيم والشعير وأحضرت الأغنام وتوسعت بدافع قوة الشباب والرغبة في أخذ الزينة التي ذكرها الله تعالىٰ في قوله: ﴿زين للناس . . .﴾ إلىٰ أن قال: ﴿والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾.

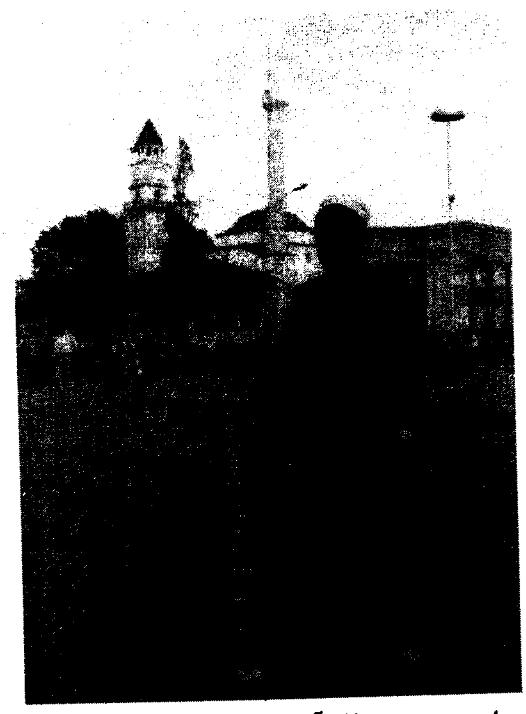
وتحقق لي في المنظر والمظهر حين أدخل جنتي فأقول: «ماشاء الله لا قوة إلا بالله إلا أنه لا مكاسب مادية ولا استثمارات زراعية أمضيت بها خمس سنين حتىٰ أكلت من تمرها، وقطفت من عنبها، وذبحت من أغنامها، ولا شيء غير ذلك، ثم إني راجعت نفسي أين الاستثمار؟ وأين المحصول؟ من هذه الجنة حلوة الماء نقية الهواء فقررت التخلص منها قبل أن

تقضي على رصيدي البنكي من النقود فبعتها بـ مائة ألف وخمسة آلاف ريال والحمد لله على الخلاص غير أنه بقى في ذاكرتي حب المزارع والخضرة والماء فأشتريت على بعد ١٠٠ كيلو متر من الرياض طريق الحجاز في محافظة الجلة أرضاً صخرية فحفرت بها بئراً على بعد مأتين متر فكان الماء وافراً إلا أنه غير صالح لغرس الأشجار إذ به مادة الكبريت فكانت تجربتي الثانية بالزراعة ولا شيء عندي غير الهواية للحرث وأدركت أنني سأفشل فشلي في التجربة الأولى في الاستثمار الزراعي فقوضت خيامي وعدت إدراج الرياح إلى منزلي ومضى عشر سنين وهي أرض بيضاء ليس فيها إنتاج ولا فائدة ترجى فعرضتها للبيع فلم يأت شارٍ لها وقررت إيجاد استراحة محدودة فيها ٥٠ x ٥٠ أي ألفين وخمسمائة متر مع أن الأرض مساحتها ٣٥٠ x ٣٥٠ متر أي مايساوي مائة ألف وعشرون ألف متر وعمرت بها فلة صغيرة وبها ثلاثون نخلة هذه حكايتي في المزارع وأني أشيد بكل عامل ومنتج بخدمة الوطن والمواطن في الإنتاج وتحمل كل ما ينتج من آفات المزارع ومشاكل العمال وكساد البضاعة ونسأل الله أن يمد في العمر لخدمة ديننا وأمتنا. والله أعلم.

مرضي بالالتهاب الرئوي

بعد استقراري في القصيم بريدة سكنت غرفة ملاصقة لمحراب مسجد المشيقح تتسع لفراشي ومقعد زائر وزائرين، وليس ثمة إنارة بالكهرباء، ولا ماء نقي، وأعجب من ذلك أنني لا أقتات إلا في ساعة متأخرة من الليل حين ينصرف الناس لبيوتهم وأبقىٰ وحيداً فريداً في هذا المسجد الذي يغطي أرجائه الظلمة المخيفة أوقد ناري وأطبخ طعامي ومنها إلىٰ مثله في الليلة القادمة، كنت أحترز من قطع البصل أو إثارة الريح في المسجد وهو ما ينكره الناس، ظلت معيشتي في هذه الغرفة وعزلتي طلباً للعلم والإستفادة من العلماء كأمثال الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد والشيخ صالح بن أحمد الخريصي غفر الله لهما ولمدة ثلاثة أعوام ولكن هذه التضحية أودت بصحتي حين لا أجد الماء للغسل في الشتاء ولا يوجد حمامات ولا مراحيض ولا ما أخلو به لقضاء الحاجة الضرورية ولكن هناك نخل علىٰ بعد خمسمائة متر يدعىٰ الغوطة وهو مكان التنزه ووقف للحاجة والإغتسال ولو كان في شدة البرد ليلاً أو نهاراً ولعلي بهذا قد اكتسبت برداً في حالة الغسل من هذا النخل فكان الالتهاب الرئوي في الجانب الأيسر بعد التشخيص مما سبب لي سعالاً وبلغماً حتىٰ لا أكاد أفتر في الصلوات وعند حضور الدرس وفي عام

١٣٧٩هـ عرضت نفسي على الأطباء الشعبيين فكان العلاج الكي على الصدر لأربعة أكويه ممتده إمتداد ٢٠ سم من الجهتين للصدر فلم استفد من هذا العلاج الشعبي القاسي، ولكن بعرض نفسي على الأطباء قرروا أن لدي إلتهاب رئوي يمكن علاجه في مستشفى السداد بالطائف والمتخصص في علاج هذا المرض لاسيما وأن جو الطائف يلائم معالجة هذا المرض غير أن هناك من أشار عليّ بالسفر إلى الكويت فهناك عناية تامة وأن هذا المرض يكثر في سواحل الخليج وقد خصص له مستشفى كبير كما وصفوه فأجمعت على السفر إلى الكويت بالطريق البري وعن طريق قرية المجاورة إلى الكويت، وصلت الكويت وكان لنا معرفة في أحد الإخوان من القويعية نزلت ضيفاً عليه فلمست من أبناءه الإستياء حينما علموا أني مريض بالسل خشية العدوى وبعد الفحص السريع في الكويت وتشخيص المرض قررت السفر إلى لبنان لمعالجة هذا الداء واستئصاله فسافرت عن طريق سوريا جواً وفي حمانا مصح هملين كان نزولي في شهر ربيع الأول ١٣٧٩هـ فقد أمضيت في هذا المستشفى ١٨ شهراً ومع قلة اليد والحاجة فقد أخترت الدرجة الثالثة التي تطلب ١٥٠ ليرة شهرياً للإطعام والسكن غير العلاج وكان معي من النقود ما يكفيني لعام واحد وفي نهاية العام انتهت النقود وأخبرت المستشفى أن لا مال معي بعد اليوم فوعد الدكتور بمقابلة المشرف على علاج السعوديين سليمان بن غنيم وهو وكيل للوزير عبدالله بن سليمان الحمدان وقد عالج الكثير من السعوديين على حسابه ولكن لم تفلح هذه الوساطة ثم التقيت بالشيخ محمد بن مانع في لبنان وهو بمعية الحاكم



القطري الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني عسى أن يساعدني على العلاج فأعتذر الحاكم ولكن قال: يمكن أن يسافر إلى قطر ويأخذ الجنسية القطرية ويعود على حساب الدولة فرفضت هذا العرض كيف أضيع جنسيتي السعودية مقابل علاج مؤقت وأصبحت مديوناً للمستشفى غير أن ابن غنيم قال: سأقرض المستشفى وأسدد حساب علاجك إلى حين العودة إلى المملكة لتقوم بالتسديد فيما بعد فتم ذلك فخرجت من المستشفى سليماً معافى ولكن قرروا مراجعة المستشفى بعد عام فعدت إلى المملكة وفي العام القادم عدت إلى المستشفى وكانت النتيجة حسنة والحمد لله الذي عافاني مما اعتراني.

ذكرياتي في لبنان...

لا يتسع لها المقام وليست ذات شأن يذكر إلا أنني تعرفت على البلاد وأهلها وقمت بزيارة لمعالم لبنان كبعلبك وصيدا ومناطق السياحة في مثل با حمدون وعاليه وحمانا والمدن مثل بيروت وطرابلس وكان لدي إلمام بأحوال البلاد السياسية والاجتماعية والدينية والمذهبية، حصل أن خرجت مع زميل لي سعودي بعد العصر فنزل المطر وكنا بجوار بيت فأطلت علينا ربته ودعتنا لبيتها حذراً من المطر يبلل ثيابنا وكانت المرأة في سن الثلاثين عاماً فكان ذلك محرجاً لنا كيف ندخل في بيت ونحن غرباء لا نعرفها ولا تعرفنا إلا أن الحاجة والضرورة جعلتنا نستجيب لأمرها فأدخلتنا غرفة بها نار التدفئة وعليها إبريق الزعتر فعرضت علينا شرب الزعتر وأمرتنا بأن نصطلى بالنار وكان الجو بارداً نسبياً وسألتنا من أين أنتم فأخبرناها بأننا سعوديون ونعالج في مستشفى هملين وكنا نتوقع منها الإشمئزاز ممن هو في هذا المستشفى المعدي عادة ولكنها رحبت وقالت كلنا عرب فحان وقت صلاة المغرب فقلنا نحن مسلمون وقد حان وقت صلاة المغرب فهل تسمحي لنا أن نصلي عندك ففرحت بذلك وقالت صلاتكم عندنا بركة فأحضرت سجادتين وتوجهنا للقبلة وصلينا بعد أن قدمت لنا الماء الدافيء وتوضئنا وبعد الصلاة

دخل زوجها فأخبرته بالخبر فسر بذلك وفرح ودعانا للبقاء عندهم لتناول طعام العشاء ولكننا أعتذرنا فقام هو بتوصيلنا بسيارته للمستشفى، وفي الصباح جاء هو وزوجته بهدايا الكيك وشيء من الفواكه وكانت المرأة وزوجها من النصارى لا أدري أي الطوائف ولكن الحي كله من النصارى وتعليقنا على هذه الواقعة التقارب العربي وبالأخص اللبنانيون يرون أن صمام الوحدة العربية يجب أن تكون بروح التسامح والاختلاط بين الشعوب بصرف النظر عن الديانة والمعتقدات كما أن العربي السعودي له نكهة عند اللبنانيين لسخاء اليد والكرم والعاطفة وربما رقة الدين وعدم الإحتراز ممن لا يعرفونه مسبقاً من أسباب التسامح العائلي وكنا نتوقع لو جاء زوج هذه المرأة ونحن في بيتها وفي الليل ما يكون مصيرنا وكان الأمر على خلاف ما توقعنا بل كانت هذه فرصة للتعارف والتهادي نعم حين أنصرفنا من البيت أخرج زميلي ٥٠ ليرة لبنانية فوضعها بين يدي المرأة في صحن صغير قد أعد لأكواب الشاي فأمتنع الزوج ولكن الزوجة قبلت مما جعلهم يهدون لنا في اليوم الثاني طبق الكيك وشيء من الفواكه ولم نرغب إعادة الكره عليهم وربما نقع فيما هو أكبر من صداقة لا إسلام ولا نصرانية نقرها وعلى العموم فإن الشعب اللبناني كما عرفته شعب مرن متسامح يعتني بالهندام وحسن المظهر وقديماً كانوا يقولون: تأكل عند الدرزي وتنام عند المسيحي فما تفسير ذلك لا أعلم ومع أن لبنان مركز تجاري منطلق تبشيري قد جعلته فرنسا ودول أوروبا قاعدة لتصدير مبادئها وتوجهاتها الفكرية والعقدية والدينية ومع أن المسلمين أكثرية ولكن الدولة لغيرهم لاسيما وأن

المذاهب المتعددة أقلت من قيمتهم بجانب النصارىٰ فالدروز طائفة، والشيعة طائفة، وأهل السنة طائفة، وناهيك بالأحزاب والجمعيات والمنظمات وكل حـزب بما لديهم فـرحـون فـلا أزال أتـذكـر بعض المواقف التي لا أرىٰ في تسجيلها كثير فائدة للقارئ الكريم قد يكون في ذلك نشر لما لا يستحسن نشره حيث أننا في المستشفىٰ نلتقي بفئام من البشر كقصتي مع شيخ درذي حينما جلست أحادثه قال: أنا محمدي فحان وقت الصلاة فطلبت أن نصلي سوياً فقال قد صليت فسألته كيف صلاتك فقال الإتصال الفكري والروحي للرب الواحد وهذه صلوات الخواص، أما صلاتكم هذه فهي صلاة العوام ونحن لا نصليها وذكرني من حكاياته وقصصه وأحواله فقد كان يطمح أن يكون شيخ عقل ولكن لوجود عدد من الأولاد حرم هذا المنصب وكان عدد أولاده سبعة.

وإن أنسىٰ لا أنسىٰ لقائي بالحزبين الإسلاميين حزب التحرير في بيروت والجماعة الإسلامية في طرابلس اللبنانية كنت أزور مكتب الحزب في بيروت واستزيدهم من النشرات السياسية والتوجهات الدعوية التي يقوم بها هذا الحزب حزب تقي الدين النبهاني الذي أسسه عام ١٣٧٠هـ بدعوىٰ إقامة الخلافة الإسلامية الراشدة والتي تقوم علىٰ الشورىٰ وكانوا أشداء في الجدل ومتحمسون لمبدئهم وكنت علىٰ وفاق معهم إلىٰ حد ماغير أن الكثير منهم يفرط في التجني علىٰ حكام المسلمين ولازلت أذكر لقائي بهم في الكويت وأخيراً في لبنان.

أما الجماعة الإسلامية التي أسسها الداعية فتحي يكن وكانت تسمىٰ

بجمعية الأخلاق بل كانوا عاملين مع جماعة عباد الرحمن في بيروت التي أسسها الشيخ عمر الداعوق وهذه الجماعة هي فرع لحزب الإخوان المسلمين غير أنهم تسموا بهذا الإسم حتىٰ لا يكون عليهم ما علىٰ الإخوان في مصر وسوريا ولقد تكررت زيارتي لمركزهم في طرابلس في لبنان وربما أصلي معهم الجمعة واستزيدهم بعض المطبوعات والنشرات وكانوا لا يطمعون في انتمائي لهم لأنهم يعرفون مبدأ النجديين في التوجه العقدي والولاء لحكامهم فلهذا كانت علاقتي بهم علاقة تعارف سطحي لا يفاتحونني بشيء من الموضوعات الهامة ولا يجدون حرجاً في زيارتي لهم في مجالسهم العامة وجلساتهم الخاصة المحفوفة بالإكرام والخلق الإسلامي.

أسباب الشفاء والمثول للعافية

دخلت المستشفىٰ ووزني ٤٥ كيلو وقد شحب لوني ورق عظمي وكنت كالشيخ الدنف حتىٰ بلغ بي الهزال مبلغه فلا أصعد جبلاً ولا أسابق في الهرولة والسير الحثيث وكانت العمليات لاستئصال بعض الرئة يجري مجرىٰ الطبيعة في المستشفىٰ، وقل من يخرج سالماً منها، غير أني لم أكن كذلك، فلا أدري إلئن إجراء العمليات يحتاج إلىٰ مبلغ كبير من المال ولا مال عندي أم لأن ضمائر الأطباء وإدارة المستشفىٰ صدقت معي في عدم احتياجي إلىٰ عملية أم لشيء آخر، ارتفع وزني بعد ثلاثة أشهر من دخولي المستشفىٰ إلىٰ ٥٠ كيلو وتدرج ارتفاع الوزن إلىٰ ٦٥ كيلو عند الخروج.

ولعل أبرز الأسباب للشفاء والمثول للعافية هي الجو الجبلي البارد صيفاً وشتاء فلا يستعمل هناك أجهزة التكييف ولكن أنابيب التدفئة المركزية في الشتاء تعمل عملها وقالوا: إن أشجار الصنوبر ونسيم هبوبها علاج مجرب لهذا المرض وكان المستشفىٰ في غابة من أشجار الصنوبر، وشيء ثالث هو الغذاء المنظم لثلاث وجبات كل يوم وفق زمن محدد لكل وجبة مع العلاج الجاري لشراب الحديد والحبوب والإبر أحياناً وشيء لا أنساه حسن المعاملة واللطف ومراعاة المريض وتسليته وتنظيفه الشمولي للملابس والفرش

وتدليك جسد المريض بالصابون والماء الدافيء بواسطة ممرض متخصص وهذه إجبارية لا خيار للمريض في التخلي عنها ولو كان مقتدراً على خدمة نفسه، لقد كان من عجيب هؤلاء أن يسألوا المريض عن رغبته وهوايته وذلك بإجراء دراسة نفسية بواسطة القسيس أو الراهبات وهن من الممرضات وقد أشار عليَّ الدكتور أن أشغل فراغي بصنع السلات من الخيزران وكلف من يعلمني هذه الصنعة، غير أني لم أوافق على ما اختاره الدكتور لأن هذا عمل لا يتناسب وطبيعة الرجل مثلي، كما أن من التسلية عرض الأفلام السينمائية لبعض المناظر في الدول العربية ومنها المملكة لعربية السعودية بواسطة القسيس، فقد عرض فيلماً قديماً يحكي حالة الرياض قبل ظهور المنشآت المعمارية من المسلح، ومع أني في غربه واغتراب فإن وحشة الغربة تندفع بالإيمان بالله المتمثل بالجوارح وطاعة الله عز وجل عدت إلى بلدي بعد ثمانية عشر شهراً هي جزء من عمري درست فيها ما لم يكن في مناهج التعليم.

فقد يكتسب الإنسان في تجارب حياته وما يمر به من آلام وآمال مالم يحصل عليه المتخصصون في الدراسات النفسية والاجتماعية وصدق الله ﴿ونبلوكم بالخير والشر فتنة وإلينا ترجعون﴾.

مع القسيس كروكن والأنسة برناديت

أشرت فيما مضى أن مستشفى هملين حمانا في لبنان هو تابع للجامعة الأمريكية في بيروت وهو مستشفى تنصيري يصف الداء والدواء فهو يعالج الأمراض بنوعيها البدني والروحي في زعمهم وهم بحق مخلصون في أداء رسالتهم مهتمون بالإنسان كاهتمام الابن المسيح الذي افتدى بدمه خطايا البشر فهم ابناؤه ومن أجل المسيح تكون الصلاة يوم الأحد عدا الأيام التطوعية وعلى هذا نلتقي بالقسيس كروكن الأمريكي الذي عمل في السعودية في المنطقة الشرقية سنوات أحسن من خلالها التكلم بالعربية ولديه من الأفلام السينمائية والوثائق السياسية ما يغري بها العرب بالتحدث مع العربي حسب الميول، أما الأنسة برناديت فهي لبنانية وادعة هادئة تتعبد للرب المسيح بما تفعل أو تذر وهي من لبنات هذا المستشفى ودعائم أركانه تغري بخلقها وأدبها وخدمتها المريض لإظهار العطف والحنان ومن أجل المسيح تتعبد وتطلب هداية الآخرين إلى هذه السعادة التعبدية لخدمة الإنسان إنها ساذجة طاهرة القلب مؤمنة كل الأيمان بالقيم الروحية النصرانية وهي بهذا لا تطلب مقابل ذلك إلا الدخول في المسيحية حتى يكون المسيح هو

الرب المنقذ لسعادة الإنسان حين بذل دمه وافتدىٰ بروحه من أجل خلاص البشر من الذنوب والخطايا.

أطرح علىٰ الآنسة برناديت سؤالاً ارتبكت بالإجابة عليه إذا كان المسيح افتدىٰ بدمه خطايا البشر فللبشر أن يفعل ماشاء لأنه قد غفر له سلفا وفي دين الإسلام «ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ» فكل يحمل ذنبه وخطيئته والتكفير عن الخطيئة يكون بالتوبة ورد المظالم لأصحابها فإن لم يكن فالجزاء يوم الحساب. ماذا تقولين يابرناديت؟ فقالت أحرجتني لا أعرف الجواب ولكن أقول إن المسيح يحبك كحب الأب لولده وهو بهذا أهدر دمه للإنسان فقلت وهذا إفتراء علىٰ المسيح كيف يسوغ لعاقل أن يقول لآخر أقتلني أو اصلبني أو ألحق الأذىٰ بي من أجل أن أكون فداءً للآخرين والإسلام يبريء المسيح من هذه المقالة وإذا كان اليهود قد فعلوا ذلك فعلىٰ صورت رجل آخر ليس بالمسيح ابن مريم، وفي القرآن الكريم ﴿وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ ومع اعترافكم بالصلب والقتل للمسيح علىٰ أيدي اليهود فإنكم أصدقاء اليهود والذين ضحوا بالمسيح في نظركم وفي نظرهم والأفظع من هذا أنهم زعموا أن المسيح ابن زنىٰ إذ ليس له أب وكانت مريم زانية وعاشقة ليوسف النجار اضطربت برناديت وقالت أنت رجل دين فكيف أجاوبك وإنما أدعوك إليه أن تحب المسيح كحبه لك فقلت أنا أحب المسيح وأحب أمه وجميع الأنبياء من بني إسرائيل أو غيرهم ظلت صداقتي مع الانسة برناديت لما تقدمه لي من خدمات واستشارات حول مستقبل علاجي في المستشفىٰ وتمنيت أن تكون مسلمة تحت رجل مسلم.

أما القسيس كروكن فهو المكابر العنيد والمتجبر الذي يلزم غير النصارىٰ أن يصلوا صلاتهم من عمال المستشفىٰ من الفلسطينيين واللبنانيين وهم من المسلمين كان يمر بي فينظر لي شزر لعلمه أنني أقوم بجمع المرضىٰ لصلاتي الجمعة والأوقات الخمسة وكان من نزلاء المستشفىٰ عدد كبير من أهل قطر والبحرين وذات يوم استأذن علىٰ وقدم إلىَّ هدية الكتاب (المقدس العهد القديم والعهد الجديد) يعني توراة موسىٰ وأنجيل عيسىٰ عليهما السلام فقبلت هديته ووعدته بقراءة الكتاب ولكن لا علىٰ سبيل التعبد وفي كل حين يقدم لي نشرة صغيرة هي من محتويات الكتاب المقدس دعوته يوما فقلت أنت القسيس كروكن وهذه زوجتك وإبنك فهل أنت ابنك وابنك أنت وهل كان الله بلا ابن ثم كان له ابن وماهي الأقانيم الثلاثة الأب والابن وروح القدس إله واحد فقال هذه صفات وليست ذات فأنا قسيس وأنا أبو ابني وزوج إمرأتي والمعنا إله واحد الكل معبود الله وجبريل وعيسىٰ إذاً يلزم منك. الإجابة علىٰ سؤالي هل حق الله يساوي حق المخلوقين؟ وهل المسيح المعطي يكون هو المستحق أن يعبد ويعظم؟ فقال المسيح : ابن الله، والله يعطيه من الصفات ما يستحقها ومنها جواز العبادة له وقفت عند هذا الحد وبقيت صلتي بالقسيس صلة مجاملة خشية أن يؤثر علىٰ بقائي في المستشفىٰ أو الإضرار بي عند الأطباء حملت معي رزماً من المنشورات والكتب الصغيرة من الإنجيل وأهديتها إلىٰ حفرة عميقة وقبرتها هناك كما تقبر النفايات وفضول الكلام ولم يكن لي اتصال بالنصارىٰ بعد ذلك إلا حينما كنت في المعرض الدولي بأسبانيا أمثل رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بمعرض

الكتاب الإسلامي ومما هو في المعرض جناح التنصيري يقوم عليه مصريون مأجورون التقي بأحدهم في الطريق فدعاني لمشاهدة أفلام في جناحهم فدخلت لإستطلع وهو معي كي يشرح لي ما لم أفهمه في هذه الأفلام فقلت إنكم في مصر أقباط فكيف جئت لخدمة البروتستنت الأمريكان فقال ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن فقلت أنت مسلم تعرف القرآن فقال هو نصراني قبطي كما ذكرت ولكن لقمة العيش أجبرتني أن أدخل في هذه الخدمة وأنا أقدم في خدمتي هذه كل شيء حتى الأعراض فلدي من الراهبات ما يمكن أن يقمن بالخدمة مقابل القناعة بدخول الكنيسة أو التكاثر برواد الجناح الخاص بنا وهذا كثير من فضائح الكنيسة علماً بأن البروستنت أقل في مجال التورع المذهبي من الديانات الأخرى النصرانية يبيحون للقسيس والراهبة الزواج وهم يلتزمون في زعمهم بتعاليم المسيح والمسيح بريء منهم. نسأل الله السلامة والعافية.

عند صخرة الإنتحار

بدالي مع أحد نزلاء المستشفى ويدعى محمد المداد المري أن نشاهد صخرة الإنتحار في بيروت على البحر وهناك المطاعم والمقاهي والكازيونهات ويمكن تناول وجبة الغداء حيال هذا المشهد صخرة داخل البحر مطله عليه إرتفاع ٢٠ متر تقريباً وقد عرفت بهذا الإسم ولكن لا منتحر وإنما هو الدعاية وكسب الزبائن وغلاء الأسعار دخلنا المطعم وقدم لنا قائمة المأكولات فطلبنا من غير أن نسأل عن الأسعار ولا كتب في العرض وبعد تحضير الطلب قدم لنا الفاتورة ١٤٠ ليرة لبناني وهي ما تساوي ١٥٠ ريال آن ذاك فأخبرت زميلي أننا تورطنا ١٥٠ تكفي مصروفنا لشهر كامل فما الحيلة هل نهرب أن نعتذر أم نرضى بالواقع فأخترنا الإعتذار لأننا أول مرة نأتي لهذا المطعم وليس لدينا ماي يغطي هذا الطلب فضب وانفعل وهو يقول دَشرنَور كلمات سب عند اللبنانيين فقمنا من غير أكل هذه حكاية صخرة الإنتحار .

مع الجنود المصريين في الباخرة

توجهت من اللاذقية السورية إلىٰ الإسكندرية المصرية عام ١٣٨٠هـ بحراً ولمدة يومين في البحر الأبيض المتوسط، وقد أخترت الدرجة الثالثة التي هي أرخص درجة الركاب غير أني في اليوم الأول وفور صعودي الباخرة صادفت جنوداً من المصريين علىٰ ظهر السفينة وقد عرفوا أني سعودي فدعوني وأوسعوني شتماً ولعناً فأخذتني رجفة وخوف من هؤلاء الوحوش، سألوني: لماذا تذهب إلىٰ مصر؟ فقلت: لأدرس في الأزهر فأزدادوا سخرية وإستهزاء وتعالوا عليّ بالاستنكار والتفاهة والغفلة حاولت التخلص من هذا المشهد البذيء إلا أن البعض منهم قبض علىٰ يدي ليفتش كم معي من النقود، وقال: سأرميك في البحر بكيت وأثنيت علىٰ الرئيس جمال عبدالناصر، زعيم العرب وقلت كلاماً حول هذا مما سبب تخفيف غضبهم والتخلص منهم، عدت إلىٰ إدارة الباخرة ورغبت تعديل تذكرتي إلىٰ الدرجة الأولىٰ وهي غرف مقفلة أشبه بغرف الفندق وإن كان سعرها كبير ولكني أردت أن أومن نفسي من هذه الطغمة الشقية الخبيثة من الجنود المصريين فأغلقت عليّ الغرفة ولم أفتحها إلا بعد وصولي إلىٰ الميناء مع الخوف من ملاحقتي بعد النزول فلم يكن شيءٌ من ذلك، نزلت فندقاً صغيراً

شعبياً يدعىٰ فندق حلب الشهباء وكان معي شاب من العراق علىٰ معتقد الروافض رافقني الشاب الرافضي إلىٰ هذا الفندق وقد جاء للسياحة وكان الفندق رخيصاً للغاية فقد كنا فيما أشبه بالصالة الكبيرة وفيها خمسة أسرة أخترت واحداً وزميلي آخر فقد كان معي راديوا صغير فلبس وعند خروجنا من الفندق أودعته صاحب الفندق حتىٰ العودة بعد التمشية وفور خروجي مع زميلي العراقي تلقفنا شاب وسيم الوجه حسن الهندام فقال إنه يعمل علىٰ خدمة السياح فأي شيء تريدونه فقال الشاب العراقي أنا أريد قبر الإمام البصيري ورؤية مقامه فقال الشاب المصري هو قريب غير أنني رفضت زيارة القبر معه وذهبا سوياً، وبعد المغرب عاد إليّ العراقي بدون جاكيت والذي كان فيه مصاريفه وجوازه سألني: هل رأيت الرجل فقلت: لا فقال لقد دخلت لأتوضأ وخلعت كوتي وأعطيته إياه وبعد الوضوء ما رأيته وفيه كل حاجاتي ومصاريفي حتىٰ الجواز فقلت: هذه ثانية وأنا أعطيت الراديو صاحب الفندق أمانة عنده فجحدني وهددني وطلب مني إيصالاً علىٰ تسليم الراديوا له، هذه مصر زعيمة العرب ورئيسها عبدالناصر أشرت عليه أن يغادر حالاً الإسكندرية إلىٰ القاهرة ليذهب إلىٰ سفارته لإعطائه جوازاً ومساعدة أعطيته نقوداً توصله في القطار وبعد مغادرتي عزمت علىٰ التخلي عن هذا الفندق (فندق حلب الشهباء)، وسكنت فندق العالم العربي وكان أحسن حال من ذلك نزلت القاهرة بعد الأسكندرية المصيف الجميل المتحلل من الأخلاق بعدما راجعت المطابع التي تم الإتفاق معها علىٰ طباعة كتاب جدنا الشيخ حمد بن عتيق (إبطال التنديد بإختصار شرح كتاب التوحيد)

وكتابة المقدمة له وترجمة، وفي القاهرة نزلت فندق البرلمان العتبة الخضراء وهو لا يبعد عن الأزهر كثيراً لم أعرف أحداً ولم أتعرف على أحد سوى المتاحف والمزارات البدعية، والأهرام، ومسجد محمد علي إلا أنني أوي إلى جماعة أنصار السنة المحمدية في عابدين وقد توفي الشيخ حامد الفقي رئيس أنصار السنة، وترأس الجماعة الشيخ محمد علي عبد الرحيم أستاذنا في الجغرافيا والتقويم في المعاهد العلمية بالمملكة وكان يحضر غالباً في المساء لإلقاء الدروس في حي عابدين في القاهرة، وكانت تلك الأيام السياسة بالغة الخطورة بين المملكة العربية السعودية وجمال عبدالناصر لذا لم أجد من يفتح لي صدره ويضفي عليّ جلباب الرحمة تكررت الزيارة للأزهر وكنت أصلي فيه غالباً ولم أر في مصر ما يوجب التسجيل والملاحظة في زيارتي الأولى لها عام ١٣٨٠هـ غير أني خدعت في فندق البرلمان كما سرقت في فندق حلب الشهباء، طرق عليّ باب الغرفة أحد موظفي الفندق قائلاً هنا سيدة سعودية تريد أن ترى أحد السعوديين من نزلاء الفندق لأنها خائفة ولا تعرف عن هذا الفندق شيئاً وطلب مني الذهاب إليها لإعطائها فكرة عن الفندق وعدم الخوف فخرجت وقابلت المرآة السعودية من أهل جدة (ولعلها مصرية) ومعها ثلاثة أطفال صبي وبنتان سألت: هل في الفندق لصوص؟ وهل هو حسن المعاملة؟ وأخبرتها أنني أسكن منذ عشرة أيام فيه ولم أر شيئاً وكان معي في هذا الفندق الشيخ أحمد بن عبدالرحمن القاسم جاء لشراء كتب للأمير عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود، وكذا صالح بن راشد صاحب مكتبة الرياض، وأخوه عبدالله بن راشد حين كان

طالباً وهو أحد تجار الكتب، أما الأخ الرابع فهو الأخ عبدالله بن حسين اليماني جاء للعلاج، أما أنا فإن سفري للقاهرة للترفيه والنزهة.

وكنت ألبس البدلة الأفرنجية أعود إلى حديثي مع المرأة السعودية حيث رغبت مني الذهاب معها وأطفالها إلى الأزهر للصلاة، أخبرتها أنني أصلي في الأزهر صلاة المغرب وفي حال رغبتك كوني على الاستعداد قبل الأذان بربع ساعة أو أكثر لمسافة الطريق إلى المسجد فخرجت للصلاة وخرجت بخروجي هي وأطفالها، وبعد الصلاة عدنا إلى الفندق وفي طريق عودتنا رغبت أن تشتري من السوق وطلبت مني مالاً حيث أنها لم تحمل في جيبها نقوداً حينما تصل إلى الفندق فأعطيتها ما طلبت وبعد وصولنا الفندق ذهب كل منا إلى غرفته، وفي الصباح سألت عن المرأة قالوا غادرت ليلاً فعرفت أنها حيلة نعوذ بالله من كيد النساء ولم أعد إلى القاهرة إلا بعد ٣٧ عام وذلك عام ١٤١٧هـ حين عقد مؤتمر منظمة الجامعات والمدارس الإسلامية، برئاسة معالي الشيخ عبدالله بن عبدالمحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية حضرت المؤتمر ممثلاً رئاسة إدارات البحوث العلمية وكان من الحاضرين لتمثيل رابطة العالم الإسلامي أمينها الدكتور عبدالله العبيد، وفي يوم الجمعة صلينا في الأزهر وكنا على موعد مع شيخ الأزهر لتناول طعام الغداء ومن المدعوين الشيخ عبدالله العبيد ولكن بعد الصلاة وانصراف المصلين ظل الدكتور في مكانه يبحث عن نعليه فلم يجدها مكان الموضع الذي وضعها فيه فقام أحد الحاضرين بأمر شيخ الأزهر أن يعير الشيخ نعلين حتى يبحث عن بديل، وكان الشيخ عبدالله التركي له خبرة بأهل مصر ومما قال: أنني

حينما كنت أحضر رسالة الدكتوراة في مصر كنت أضع نعلي أمامي في الصلاة مدة إقامتي في مصر، ذهبت إلىٰ مسجد محمد علي في أوقات تجوالي في القاهرة فوجدت جملة من النساء مجتمعات قد تكتلن حول مشهد من مشاهد الآثار في المسجد، فجاءت إحداهن إليّ فقالت بلهجتها المصرية عاوز جوزه أي تريد الزواج فلم أقدر علىٰ مسايرتها في الكلام مع أنهن متحجبات عدا الوجه فأنهن جريئات علىٰ محادثة الرجال هذه بعض ذكرياتي في مصر وإني أعتذر للأخوة المصريين أن لا يسئوا الظن في بأنني متحامل علىٰ أهل مصر في ما ذكرته من قصص وحوادث جرت لي معهم ولا ننكر ما عليه المصريون من فضل في العلم والتقىٰ في خدمة الإسلام وبالأخص في مجال اللغة العربية والتأليف فقد قامت المعاهد العلمية في المملكة العربية السعودية علىٰ مثل هؤلاء العلماء فمنهم من أخذ الجنسية السعودية فكان مواطناً صالحاً كالأستاذ العلامة عبدالرزاق عفيفي، والأستاذ المربي مناع القطان، وغيرهما عرفنا كثيراً منهم.

الزواج الأول والثاني

أعقبه الزواج الثاني والثالث. في سن الرابع والعشرين عاماً من الولادة وفي شهر صفر ١٣٨١هـ كان زواجي في وادي الدواسر، اللدام من إبنة عمتي شقيقة والدي وجدها عم أبي عبداللطيف بن حمد فأصبحت الروابط من ثلاث جهات الزوجية، وقرابة الأم، والأب، لم يكن لي إرادة جادة في الزواج المبكر حتىٰ أنهي دراستي الجامعية ويمكنني فيما بعد اختيار من أريد غير أن والدها في كل زيارة لوادي الدواسر يعرض أحياناً ويصرح حينًا أخر بضرورة تعجيل الزواج ويعلل ذلك بعصمه الرجل وكمال دينه وإنجاب الأولاد في سن مبكر حتىٰ إذا كبرت يكون الأولاد في عز الشباب وخدمة الوالدين فأقتنعت بذلك وإن لم يكن من عمق إرادتي هذا الاختيار، بنيت بزوجتي وتوجهت بها إلىٰ مقر دراستي الرياض وكنت في السنة الأولىٰ من كلية الشريعة فحصل لي مقصد الأنس بالزواج يشفع لذلك الشباب والفتوه والرغبة في الأنيس والجليس إلىٰ حد ما ولو علىٰ حساب الطلب والدراسة وكانت المكافئة آن ذاك ٣٠٠ (ثلاثمائة) ريال وعشر ريالات شهرياً تكفي مع التدبير والإقتصاد علىٰ الضروريات من المأكل والملبس، وفي صيف كل عام أتوجه بها إلىٰ الأهل للزيارة والإستجمام،

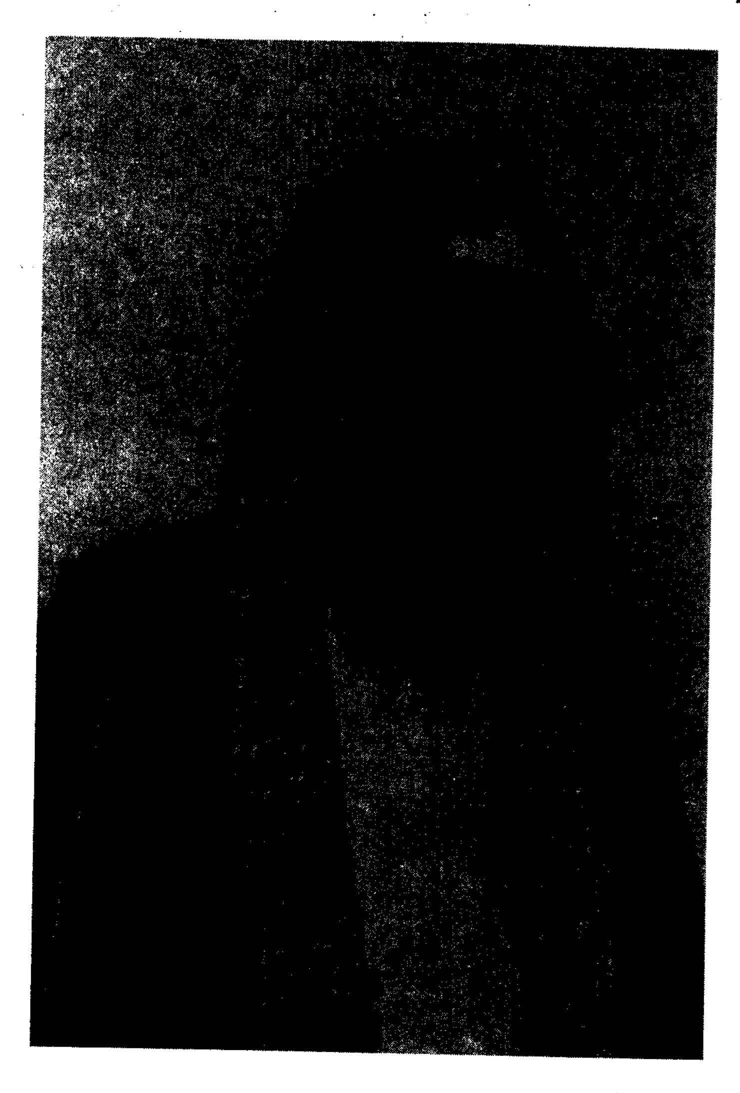
وبعد عام ولد ليّ مولوده وجرت العادة أن تكون الولادة عند أهل الزوجة وهذا أمر طبيعي تفرضه العادة والحاجة، أمضيت مع زوجتي الأولىٰ عشر سنين وأنجبت ليَّ ستة من البنين والبنات حتىٰ إذا اكتملت القوىٰ المادية والجسدية عدت أفكر في الزوجة الثانية لألبي رغبتي في الاختيار فكان ذلك عام ١٣٩١هـ.

ولم يكن هناك دافع لتعدد الزوجات أكثر مما هو متوارث لدىٰ أسرتي التي تريد أن تكون أكثر أولاداً، وأكثر انتشاراً ليس عندي من الدوافع ما يجعلني أقتطع جزءاً كبيراً من وقتي وعمري لأعاشر زوجة ثانية في منزل مستقل لتحملني الأعباء التي أتحملها في البيت الأول، ولكنها الوراثة التي شربت من دمي وأندمجت بلحمي وأفعمت كأس الصبابه، ونشوة الحنين للأسلاف الأخيار الأطهار فكان ماكان حيث تقدمت لخطوبة إمرأة مطلقة ولكنها في عز الشباب ونظارة المراهقة لم يمض علىٰ عمرها سوىٰ عقدين كما لم تمكث مع زوجها الأول سوىٰ بضعة أشهر فكانت نصيبي يوم تقسم الأنصباء دخلت بها في ٢٠ من جماد الأول ١٣٩١هـ بعد مضي عشر سنين من الزواج الأول أخترتها من بيت عريق في العلم والمعرفة فأبوها وجدها وجد أبيها من القضاة العلماء الذين أدوا دوراً في الحياة التعليمية والقضائية مع ما تفوق به من تركيب جسدي فكان هذا من دوافع الإغراء لتعجيل ما توجهت إليه وإن لم يكن هو الرئيسي في الرغبة بل هو عامل مساعد ولكن عامل آخر هو أدعىٰ للتعجيل وإبراز الحقيقة أن إرادتي في ارتباطي بأكثر من أسرة لتقوىٰ العصبية، وتنويع الإنتاج البشري وليكن ذلك من عوامل

الشرف والعزة من كثرة الأولاد، وتعدد الزوجات سؤال هل هناك حب ووئام مع وجود الغيرة والتصادم بين الضرتين؟ الوئام موجود في الفطرة البشرية لما تقوم به من خدمة ولكن لا يلزم أن يكون هذا الوئام مربوط بالمحبة وإن كانت المحبة لها صوراً كثيرة في الذات الإنساني ربما الأنس فيسمى حب الإتصال البشري صورة من صور الحب بل ربما تكون القرابة في النسب هي من دواعي الحب ولكن الحب الهيام حب الشاعر الذي يصور محبوبته في كل حاله من حالات الإرتقاء الغرامي المصاحب لأصناف المحبة المفترضة، إذاً فالحب درجات قد تنحط درجة وتعلوا أخرى تنحط بإنحطاط التفاوت في تركيب الطبيعة البشرية من غضب وإنفعال وطلب مالا يستطاع أو التعالي على الطرف الآخر من غير مبرر ويعلو عند اللذة والاستمتاع وتقارب الجسدين في لباس واحد على حد معنى قوله تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾. ومن غير الطبيعي أن يحن الإنسان لمن يسيء إليه إلا من أرتقى درجة التفاني لجماح قوى النفس الشريرة وأذعن لمن تعالى عليه على حد معنى قول عمر: لئن أكون مظلوماً أحب إليّ من أن أكون ظالماً، فالوئام أمر طبيعي بشري قد يكون في الذات ويكون في الصفات ولكن بتقلب الأحداث وتنوع الأيام والشهور قد ينفصم ذاك الوئام وتنتهي تلك المحبة كما أنتهت مع زوجتي الثانية بالفراق والطلاق وعدم الوئام بعد أن أنجبت لي ثلاثة من البنين، وخمس من البنات (وإن يتفرقا يغني الله كلاً من سعته) في حال طلاقها دعوت الله: اللهم أجبر مصيبتي وأخلف لي خيراً منها فكان الزواج الثالث.

الزواج الثالث

في ٢٨ من شهر ثمانية ١٤١٩هـ تم عقد القران على شابه هي الزوجة الثالثة أكبرها بـ ٤٤ عاماً فهي بنت ١٨ عام وأنا ابن ٦٢ عاماً وقد يكون من تفاهة القول عدم الإنسجام لفوارق السن أو الثقافة بل الأمر بخلاف ذلك لم أكن أتوقع أن يستجيب لي أحد أو يوافق على زواجي وأنا بهذا السن غير أن مكانتي الاجتماعية وميراثي النسبي ومن يحسبني من أهل التقوى كانت من عوامل الإستجابة إلا أنها ليست عربية ولا سعودية ولا تحمل غير الشهادة الإبتدائية فوارق شاسعة ومصادفة غريبة ، أما الأمية فقد عالجتها بالتدريس في المدارس الخاصة حتى كانت قارئة مجودة ، وأما الفوارق الزمنية في العمر فإن التعقل ومعالجة الأمور وحكمة الشيوخ ورويه العقل أذابت تلك الفوارق مع ماوهبني الله من قوة بدنية فكانت أيامنا سعيدة بسعادة العمر الجديد إذ كنت في أمس الحاجة لأنيس وجليس بل لخدمة خاصة بهذا العمر إذا الأمر جد ولا جد غير الواقع فالحمد لله الذي أباح الطيبات وحرم الخبائث والمشتبهات ولا أخفي سراً فإن من نساء البربر من أهل الصحراء الكبرى لهن من الصفات ماليس للعربيات من أبناء جزيرتنا وكم كان من الأعاجم من يفوق مسالك العرب في العشرة والإخاء والبذل والعطاء



حدثتني أمها من الأنصاريين أن المرأة هي ربة البيت وهي مربية الأطفال وهي مضيفة الزائر وخادمة الأسرة ولله في خلقه شؤون. . والله أعلم.

هل أنا مخلص مع زوجاتي

لم تزل تراكم الوراثة البيئي القائلي بتعالي الرجال على النساء محل قناعة من الطرفين إلا أن الرجولة طغت في هذا التفضيل إلى درجة التعالى والكبرياء وكان مما هو متسرب في الذهن ألا تأكل المرأة مع الرجل مهما كانت قرابته، وعليه عمل الكثير من النساء مع أقاربهم ويزداد هذا النهج الأسرى كلما إزداد سعة الأسرة وتعدد النساء والرجال فيهم حتى يصبح البيت طرفان طرف الرجال له ناحية في المجلس والمآكل، وطرف النساء فيما يخصهم من الإحتجاب والعزلة البيتية بل إن بعض الرجال لا يلتقي بزوجته إلا حين هجعة من الليل أقول على هذا سارت نظرتنا مما سبب تفكك الأسرة الواحدة إما بالطلاق أو بالجفا هذا مالا يرضاه الشرع أو تشرعه الفطرة السليمة، ومن المعلوم أن الوراثة لها أثرها البالغ في إتجاه الفرد والجماعة مهما حاول التخلص منها وإلى عهد قريب كان الرجل من البادية حين يتكلم عن المرآة يقول في مقدمة كلامه أكرمكم الله عند ذكر الأنثى، بل من الحاضرة من يتأبى عن ذكر اسم إمرأته أو قريبته فلا يكاد يفصح عن إسمها إلا عند الضرورة والجاجة كعقد النكاح والطلاق.

وبهذا لا يمكن الإخلاص للمرأة ولا تبادل الأسرار بين الزوجين فضلاً

عن الإشتراك في مشاريع تنموية أو تقويه مهارات في خدمة البيت والمملكة الصغيرة، وفيما أحدس أننا سنظل كذلك حتى يطغى العنصر النسوي ويطالب بحقوقه ويبلغ السيل الز با كما فعلت المرأة الأوروبية التي ترك لها الخيط والمخيط، على حين أن الرجل مظلوم في تجاوزات المرأة حدها لإسقاط حقوق الرجل من الولاية، والرعاية، والقيومية، وتحمل أعباء المنزل الخارجي لتقوم المرأة بتحمله الداخلي، وبهذه المناسبة فإن الشعب السويدي بإقرار من الدولة إن لم يكن من تنظيمها أن يكون الشعب السويدي على أربع درجات المرأة ثم الطفل ثم الكلب ثم الرجل، مسكين هذا الرجل الذي تفضل عليه الكلاب لتقوده المرأة وينحط إلى أقل من الطفولة، والسؤال الذي يطرح نفسه هل يلزم الإخلاص للمرأة في كل شيء؟ الجواب أن الحياة ستسير وفق النظم والشرائع الدينية ومناهج العمل البشري وفق كل بيئة وعادة كل مجتمع فيبقى الإخلاص مادام كل من الزوجين قد عرف واجبه وأدى مهمته في البقاء الجنسي البشري والسؤال الآخر هل ستبقى مع هذا سعادة البيت ورفاهية المنزل؟ الجواب: نعم السعادة تكون في القناعة بالعمل الذي ترضاه مادام الطرفان رضيا بهذا المسلك فحينئذ تكون السعادة وإنما يجلب الشر حينما يتعدى كل طرف حده ويبغى على صاحبه فيما يخصه ولذا حرم الإسلام تشبه الرجال بالنساء والعكس ليبقى التمايز الجنسي بين الذكر والأنثى وإن سارت الحياة على عرج فالآمر لله وقد قال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾.

تربية الأولاد

ظلت نظرية التكاثر بالأولاد غاية من غايات الزواج المعدد، وكانت فكره التربية إلى حد ما غائبه عن الذهن غياب المخمور بلذه العمل والتجوال المستمر في أنحاء المعمورة مع ما ألاقيه من إغراء مادي وشرف وإحترام في جولاتي على سماء الكرة الأرضية بأعمال رسمية مثلت بها جهات دينية دعوية وكم كان الأصحاب يهمسون في أذني ضرورة البقاء في البيت للإشراف على الأسرة وتربية الأولاد ولكن كان ما كان أسلمت أولادي للمدارس كلهم ذكورا وإناثاً وفاز من البنات في إنهاء الدراسات العلياء أربع، وأخفق إخوانهم الذكور عدا واحد وانتهت مراحلهم الدراسية على الثانوية أنخرطوا في أعمال عسكرية ومدنية تدر عليهم رزقهم اليومي وقوتهم الضروري، أما الطموحات فهي دون همهم القاصرة ونظراتهم العابرة أن يكن هذا فلعاملين أساسين أولاهما: القرابة الزوجية ولازلت أذكر الأثر القائل. أغرب فإنه إنجب للولد ولم يكن هذا في الحسبان عند إرادة الزواج.

العامل الثاني: إنصرافي الكلي لأعمال رسمية التي أخذت كل وقتي في حل وترحال وعدم إهتمامي بالدروس الخاصة إلا أنني لم أعدم

معاشرتي لأولادي في بيت علم ودين ولم يرتكب أحد منهم جرماً أو خطيئة تقلل من شأنه أو تنقص جاهه عند منهم في طبقته فهم كما يقال مستور الحال في جميع الأحوال.

بلغ تعداد البنين والبنات ٢١ من ثلاث زوجات.

الأولى: إحدى عشر، والثانية ثمان، والثالثة ابنتان، الحمد لله أدركت بعض مرامي ونجحت في غايتي وهدفي من التعدد وهو التكاثر وإذا لم أربح من مواردهم المالية ولم أتشرف بكسب الألقاب المشرفه ونعوت الصفات فإني لا أحرم من الأجور حين صلاتهم وتعبداتهم وهذا وعد مرهون للأعمال الصالحة ولا يمكن أقارن أولادي بالآخرين فكل على قدر همته كما قال الشاعر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

ومن الربح أنني أوسعت دائرة الأسرة الصغيرة إلى درجة تفضيلي بفضلها من الأحفاد والأسباط والذين تجاوزوا الأربعين والحمد لله وظل إسمي يدوي في كثير من البلدان عن طريق المصاهرة، وبيتي يتسع للوافد والزائر فلا تكاد تغرب شمس أو تطلع أخرى إلا وطارق يطرق الباب وقد أوسع الله لي في الرزق كما أوسع لي في السكن فلعل هذا من رحمة الله بأولئك والله خير الرازقين.

أقوال وأمثال تعجبني

لا تسبوا الظلام ولكن أوقدوا الشموع، لا تجعل البيض في سلة واحدة، أترك الترك ما تركوك، غمر ماش أحصد هواء، كما تكن يكون الناس لك، لا تظلم فتظلم، من دخل فيما لا يعنيه لقي مالا يرضيه، في العجلة الندامة وفي التأني السلامة، دع الأمر بغب، الخليل على دين خليله، لا تقل مالا تفعل، العين بصيرة واليد قصيرة، مد رجلك على قدر لحافك، كن مفتاح خير مغلاق شر، شر البلية ما يضحك، شر الناس من ظلم الناس للناس، حسبك من الشر بعضه، لا تقل أصلي وفصلي أبدا، ماحك جلدك مثل ظفرك، لكل أمريء من دهره ما تعود، كن يقضاً ولا تغفل عن مستقبل حياتك.

ومن الأسماء : بادي، فاروق، فؤاد، حسن، محمد، فارس، نبيل، أديب، سامي، سرور، نابت، حارث، شجاع، رامي، سهيل، حافظ، إقبال، البراء، نجيب، فيصل.

غير أنه لا محيد عن قول النبي ﷺ أفضل الأسماء ما حمد وعبد وقد قال الشاعر :

فشق له من إسمه ليجله　　　فذو العرش محمود وهذا محمد

والله أعلم

عملي في الدعوة رسمياً

وفي عام ١٣٨٥هـ قام الملك فيصل بتحرك دعوي دعاه بالتضامن الإسلامي، وكان من خططه إرسال الدعاة ممن تخرج أو يتخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة، وكان هذا العام أول فوج ينال الشهادة الجامعية من الجامعة الإسلامية في المدينة، .فأمر بافتتاح مكتب في دار الإفتاء وبإشراف سماحة المفتي ورئيس القضاة محمد بن إبراهيم آل الشيخ وكان زميلنا في الدراسة الشيخ محمد بن قعود له صلة وصداقة بسكرتير نائب المفتي الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ ولم يكن الشيخ محمد بن قعود ممن رشح للقضاء ولا للتدريس في المعاهد العلمية ومثل هذا يمكن أن يلتحق بأي وظيفة شاء متى سنحت له بخلاف من رشحوا للقضاء أو للتدريس في المعاهد العلمية التابعة للشيخ محمد بن إبراهيم وكنت يومها ممن رشح للقضاء وصدر قرار التعيين في الطائف في بني سعد فعرض الأستاذ صالح بن منيف سكرتير نائب المفتي على الشيخ محمد بن قعود إدارة هذا المكتب ووافق على ذلك كما وافق نائب المفتي على ترشيحه بالمرتبة الخامسة وهي نفسها مرتبة القاضي المستجد في سلك القضاء، وباشر عمله في دار الإفتاء ولم يكن ثم سوى إثنين معه مترجم وكاتب المترجم هو الشيخ محمد لقمان

السلفي من الهند، والكاتب هو الأستاذ روضان الشايع، وبدء الشيخ محمد بن قعـود في إدارة المكتب لترشيح الدعـاة إلى شرق إفريقيـا وغربهـا ممن يحملون الشهادة الجامعية وأغلبهم من الهند والباكستان، وقليلاً من إفريقيا وسار العمل في بدايته سيراً حسناً من ذلك العام ١٣٨٥هـ، وكان سماحة المفتي ورئيس القضاة يتشدد في إعفاء من رشح للقضاء ولا يسمح له بالعمل في أي جهة أخرى لا إدارية ولا تعليمية، وبقيت في الملازمة تسعة أشهر في مكتب الشيخ عبدالله بن كنهل، وعندما أعلنت دار الإفتاء عن شغور وظيفة مراقب مطبوعات فيها رأيت من المناسب أن أتقدم بطلب هذه الوظيفة ولكن هيهات قد عرفت تصلب رئيس القضاة في عدم الموافقة على إخلاء طرف ممن هم في القضاء ولكن بحكم القرابة العلمية والمعرفة السابقة منذ الصغر توسلت بنائب المفتي الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ أن يطلب من والده إعفائي عن القضاء وترشيحي على وظيفة مراقب مطبوعات في دار الإفتاء فوافق على ذلك، وتم انتقالي من سلك القضاء إلى دار الإفتاء عام ١٣٨٦هـ وفيما أعلم أنه لم يعفِ غيري من زملائي الذين أبدوا اعتذارهم وألحوا في الإعفاء وبقيت في المراقبة سنة وكنت على صلة بالأخ الشيخ محمد بن قعود مدير مكتب الدعوة بحكم الزمالة في الدراسة وكان مكتبي ومكتبه متجاوران كما كان مدير المطبوعات الشيخ سعد بن محمد بن فريان يشجعني على الإنخراط في سلك الدعوة وقد أستفدت من مراقبة المطبوعات فائدة علمية وكسبت ثروة ثقافية، غير أني مولع بالدعوة والأسفار والتجوال فأستشرت الأخ/ بن قعود في سفري إلى السودان فقد

أفتتح المركز الإسلامي الإفريقي بدعم من المملكة بعضوية الداعية الشيخ محمد هاشم الهديه رئيس أنصار السنة المحمدية في السودان فأشار عليّ بذلك، وتمت مكاتبة الشيخ الهدية واستشارته في تعييني لديهم فكان الجواب: لا نرىٰ إرسال أحدٍ من السعوديين في المركز الإسلامي حالياً خشية أن يقال: هذا مركز الوهابيين وبأموالهم ورجالهم بنوه، لأن في السودان طوائف لاتزال تجهل حقيقة الدعوة التي عليها أهل نجد فكانت إرادتي أنه لابد من الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ولكن في البلدان الأخرىٰ أشاروا عليّ بشرق أفريقيا كينيا أو نيجيريا لاجوس فأخترت الثانية، وسافرت في شهر رمضان عام ١٣٨٧هـ توجهت إلىٰ نيجيريا مروراً بالسودان حيث توقفت بضعة أيام لعل الأمر ينجلي والصورة تتضح للسودانيين عن مهمتي وأشتراكي في تأسيس المركز العربي الإفريقي وهو مركز تشترك في تمويله المملكة العربية السعودية، وكان السفير السعودي أن ذاك الشيخ محمد العبيكان، وبعد البحث ومداولة الرأي مع الهدية ومع السفير قررت مواصلة السفر إلىٰ نيجيريا وعاصمتها لاجوس العاصمة الفدرالية وكان بمعيتي الداعية المستجد الشيخ بشير محي الدين من الهند، وصلنا نيجيريا وكان توجيهي إلىٰ المركز العربي الإسلامي في ضاحية لاجوس مدينة أجيجي وعميد المركز الشيخ العلامة آدم عبدالله الألوري وصلنا ليلاً لاجوس وكان مرافقي يريد أن يواصل سفره إلىٰ الشمال مدينة كادونا فأمرته بالبقاء معي حتىٰ أباشر عملي وأعرف توجهات المركز وقبوله التدريس فيه وفور وصولي إلىٰ المطار وتخليص أمتعتنا سألنا هل يوجد مسجد لنؤدي صلاة العشاء فيه، فأشاوروا

إلىٰ حي قريب من المطار فتوجهنا إليه وصلنا المسجد فأمرت بشير محي الدين أن يؤذن وإن كانوا قد صلوا فأذن فسمع الناس صوت الأذان فجاءوا وقد صلوا ولكن هذا المؤذن غريب فقلنا: نحن العرب نريد أن تجمعوا لنا أهل الحي لكي نحدثكم، فما أن أنهينا صلاتنا حتىٰ تكاثر الجميع، وقام الشيخ بشير فيهم خطيباً باللغة الإنجليزية وترجم لي بعض الكلمات، وأخبرناهم أننا مبعوثون إلىٰ المركز الإسلامي حيث الشيخ آدم الألوري، فأخبرونا أن المركز علىٰ بعد أميال من هذا المكان، ويمكنكم في الصباح الباكر التوجه إليه ولو علىٰ الأقدام، عدنا إلىٰ المطار حيث استقر بنا القرار في فندق صغير للمسافرين ومن يواصلون رحلاتهم، وفي الصباح الباكر توجهنا إلىٰ مركز في أجيجي، هذا المركز أسسه الشيخ آدم عبدالله الألوري ليكون مركزاً عربياً إسلامياً بعد عودته من القاهرة وتصميمه علىٰ بعث اللغة العربية وعلومها في هذا المركز، وطلب من الأزهر بعض المدرسين للغة العربية وكنت أول مبعوث سعودي لهذا المركز، بقيت معهم ٦ أشهر ودّرستُ علم النحو والصرف، وحاولت أن أستفيد من علم المنطق والفلسفة فلم يفتح لي معرفة هذا الفن، ولأن مهمتي الدعوة والتي تستوجب التعرف علىٰ التوجهات الدعوية وإلقاء الكلمات في الأندية، والجمعيات في المساجد، والمراكز الإسلامية، لذا توجهت إلىٰ شمال نيجيريا حيث كان العلامة السلفي الشيخ أبو بكر جومي رئيس القضاة ومستشار رئيس وزراء الشمال أحمد أبللو في كادونا، ودعت أجيجي متوجهاً إلىٰ الشمال وكنت أنوي العودة إن تيسر ذلك، ولكن لم يتيسر إلا بعد عشرة أعوام مع وفدٍ من الإفتاء

ورابطة العالم الإسلامي والجامعة الإسلامية، وكان بقائي في لاجوس أفادني معلومات كثيرة عن المنظمات والجمعيات والمراكز والمساجد إذ كانت قبائل اليوربا ممن دخلوا في الإسلام حديثاً بخلاف الهوسا والفلاني وقبائل اليوربا يرون أنهم تبع للشمال في المشيخة والتعليم وبواسطتهم دخل الإسلام ويمكن القول بأن اليوربا أكثر تفانياً وإصلاحاً في دعوتهم من بقية القبائل، وإن كانوا يتهمون برقة الدين، ووراثة الوثنية، وتسامح النساء بالاختلاط ولذا لم يبرز فيهم مابرز في الهوسا من العلماء والسلاطين والأمراء، وكان الشيخ آدم مدير المركز العربي من سكان مدينة ألوري وهي في الشمال ويقطنها قبائل الهوسا والفلاني بكثرة وإن أنسىٰ لا أنسىٰ مقابلتي لأميرها المدعو سليمان ذو القرنين أمير ألوري والذي يُظهر عظمته بالاحترام المتكلف حتىٰ إن من يدخل القصر لا يدخل بنعاله وجرياً علىٰ العادة فإن من يأتي للسلام عليه يسجد له وقد دخلت بحذائي إلىٰ مجلسه فأنكروا عليّ حرسه وحجابه وقد أشار إليهم بعدم اعتراضهم عليّ، كتبت مقالاً بعد عودتي للرياض نشر في جريدة الدعوة عنوانه (لقاء مع ذي القرنين).

جماعة نصر الإسلام في نيجيريا

أسسها المقتول ظلماً الزعيم أحمد أبللو رئيس وزراء الشمال بنجيريا، ولماذا قتل؟ كانت رئيسة وزراء إسرائيل «قلداماثير» تنوي زيارة شمال نيجيريا، فقال أحمد أبللوا: إن جاءت إلىٰ الشمال فستعود جثة هامدة فقطعت برنامج زيارتها للشمال ولكنها المؤامرة النصرانية اليهودية، لم يمكث أحمد أبللوا بعد هذا سوىٰ زمن قصير حتىٰ هجم عليه العدو في منزلة ومع أنه قاوم ولكنهم أردوه قتيلاً رحمه الله.

وكان رئيس الجماعة الشيخ أبو بكر جومي التقيت به وأخبرته بمهمتي، وكانت الكويت قد تبرعت بافتتاح كلية الصباح للدراسات الإسلامية والعربية، ورغب مني التدريس فيها، فأخبرت الشيخ أن إقامتي في نيجيريا محدودة ربما تكون في حدود الأشهر الثلاثة، وأرغب أمضائها في التجوال في نيجيريا لغرض الدعوة والإرشاد فرحب بذلك وقال: سأقوم بجولة تفتيشية علىٰ المحاكم في الشمال وستكون بصحبتي فكانت الجولة في عدد من المدن، صحبةُ رئيس القضاة، ومن عجيب الأمر أنني حضرت جلسة في قاعة أحد المحاكم فكان القضاة أربعة القاضي الشرعي أبو بكر جومي، والقاضي القانوني والقاضي العرفي والقاضي العسكري يتداولون القضية

بحيث لا يختلف الحكم عن اختصاص كل قاضٍ الشرعي والقانوني والعرفي والعسكري، ولكن رئيس الجلسة هو القاضي الشرعي، عدنا بعد الجولة إلىٰ كادونا وأسكنونا في قصر كان مهجوراً بعد قتل صاحبه مع أحمد أبللو، وبه حارس، فناسب أقامتي غير أني لم ألبث بعض الوقت حتىٰ هجم عليّ اللصوص ليلاً، وكان الحارس قد أخذ عدته السيوف غير الحادة فتجالدوا طيلة الليل، وكنت أسمع الصراخ والتمتمات فوقع في نفسي أن هؤلاء يريدون قتلي تبعاً لصاحب البيت ولكنهم يريدون المال فخرجت من غرفتي ودخلت الحمام وقفلت عليّ الباب وأخفيت ما لدي من النقود، وفي الصباح الباكر وبعد اشراقة الشمس خرجت وقد تلطخ الحارس بدمه، ولكنه هزمهم ولم يجرؤ علىٰ دخول غرفتي.

في مدينة كانو

مضىٰ علىٰ إقامتي في كادونا قرابة الشهر وقمت بنشاط مع جماعة نصر الإسلام بالكلمات الوعظية، والمحاضرات، والندوات العلمية، ولكن بعد هذه الحادثة لم يطب لي المقام فتوجهت إلىٰ كانو وكتب معي الشيخ أبو بكر إلىٰ أميرها آدم لاستضافتي وتسهيل مهمتي في ولاية كانو وفيها قابلت الأخ رفيقي الأول من الرياض الشيخ بشير محي الدين فأخذني إلىٰ قصر الأمير ولكن جرت عادتهم ألا مقابلة حتىٰ يكون أمير الخيول والمكلف بالضيافة هو الواسطة للتشرف بالسلام والموافقة علىٰ استضافة الضيف، ذهبنا إلىٰ أمير الخيول وطرقنا بابه فخرج أحد خدامه وأخرج معه كرسياً نصبه لسيده إذ لا يحدثنا إلا وهو جالس، خرج أمير الخيول وجلس علىٰ الكرسي وأخذ خطاب الشيخ أبو بكر جومي وتأسف أنه لم يكتب الشيخ أبو بكر مسبقاً خبر قدومك حتىٰ نهيء لك الضيافة المناسبة ولكن عليك أن ترض بالميسور وتقبل ضيافتنا المستعجلة، انزلني في قصر من الطين ولكنه غريب التفصيل، كله غرف متداخلة، وكانت إلىٰ حد ما موحشة، فلم أنعم بها ولا رغبت البقاء فيها، قابلت الأمير آدم في أبهة العظمة والسلطان، لم يطل الحديث مع الأمير غير أنه أذن لي بالتجوال حيث شئت ورحب بالتعاون مع

الدعاة الوافدين من المملكة لاسيما من كان عن طريق الشيخ أبو بكر جومي رئيس جامعة نصر الإسلام، حدثت نفسي كيف الاستقرار في كادونا وحاجتي إلىٰ سكن مناسب ودليل أو مترجم لاسيما وأنني لازلت أشك في الأمن، وكثرة اللصوص، كان في كانو بعثة مصرية من الأزهر، وفيهم أخونا الفاضل الشيخ محمد الراوي وقد التقيت به وجرىٰ بيني وبينهم بعض المعرفة، وكان الشيخ الراوي يشجعني علىٰ البقاء في كانو لإلقاء الدروس والمحاضرات، فكان ذلك ولمدة ١٥ يوماً، اتفقت مع الشيخ الراوي لمناظرة القاديانين في كانو، وزيارة بعض العلماء ومنهم الشيخ ناصر شيخ الطريقة القادرية وكان علىٰ جانب كبير من الخلق والأدب الرفيع، وتجولت في مساجد كانو ومدارسها والمدن المجاورة لها بصحبة مترجم من أهل البلد، ومن كانو توجهت إلىٰ سكوتو، عن طريق كادونا وأخذت بصحبتي مبعوث دار الإفتاء الشيخ محمد هشام قدومة والذي سبقني إلىٰ هذه البلاد لبضعة أشهر، توجهنا إلىٰ دار الخلافة مدينة سكوتو وبها السلطان الذي كان وزيره من العلماء والأدباء المجيدين للغة العربية، وفيها قبر الشيخ عثمان فيدو، الذي قام بالدعوة في شمال نيجيريا ومنه تسلسل وراثة السلطة إلىٰ هذا السلطان، جرىٰ السلام علىٰ السلطان ولم يكن يحسن العربية غير أن وزيره حدثه عن كل شيء ورحب ودعا لنا وانصرفنا كما دخلنا، وكان السلطان لديه الأبهة الفخرية من العمامة المحنكة التي تلم بجميع الرأس وجزء كبير من وجهه وكذا الملابس الفضفاضة التي أشبه بالخيمة، ربما يكون عرضها في حدودالمترين مع إسبال، وتكون هذه الملابس مزخرفة بالنقوش من الصدر

والخلف، ربما كان هذا الثوب هو شغل صاحبه الشاغل يلفه عند القيام والجلوس، وكل حركة هو من أجل إظهار عظمة الملابس، لم نمكث في سكوتو سوىٰ يومين، ومنها توجهنا إلىٰ كادونا مرة أخرىٰ، لازال الحديث موصولاً عن شمال نيجيريا والتي تمثل مدن كبرىٰ مثل كانو، وكادونا وزائير وسكوتو وبها من الجامعات والمدارس النظامية والتكتيك العسكري ماليس في الجنوب ، فهم حكام نيجيريا وزعماءها وإن رغب أهل الجنوب في السياسة فلا مكان لهم بجانب الهوسا والفلاني، كان رئيس نيجيريا يعقوب قون من الشمال ولكنه نصراني، حدثني الشيخ أبو بكر قال: حينما قامت في شرق نيجيريا بيافرا حركة التمرد ذهبنا إلىٰ المملكة وقابلنا الملك فيصل وأخبرناه بالمؤامرة النصرانية التي تريد فصل شرق نيجيريا عن نيجيريا الأم بغرض إقامة دولة نصرانية لأن أكثرها نصارىٰ وهم من قبائل الايبو الذين تنصروا حديثاً ولم يكن لهم دين سوىٰ الوثنية، فأمر الفيصل بمقابلة وزير الدفاع سلطان بن عبدالعزيز وبمقابلة سلطان عرضنا عليه طلباتنا فكانت النصرة وكان الدعم غير المجدود حتىٰ تعجب الرئيس يعقوب وقال: لولا الظروف السياسية الحالية لأسلمت وعدت إلىٰ ديني الإسلام، الذي عليه أهلي من قبل أمضيت في نيجيريا ٩ أشهر، ستة أشهر في الجنوب وثلاثة منها في الشمال، وطوفت المدن الكثيرة في التجوال والترحال، وعدت إلىٰ المملكة وقابلت سماحة المفتي في الطائف، فقال أنت ضيفنا، أخبرته بأحوال البلاد والعباد، وقد أعددت له تقريراً مع الدعاة في نيجيريا وخطة العمل لسير الدعوة هناك، وفور عودتي إلىٰ الرياض، كان قد صدر الأمر

على الشيخ عبدالله التركي ومعه الشيخ محمد بن قعود بالقيام بجولة في إفريقيا لتقييم العمل ودراسة المناخ للدعوة، وكان الشيخ عبدالله التركي يكتب في جريدة الدعوة رحلته هذه متوالية الحلقات، وكلفت يومها بالقيام بالدعوة خلفاً للشيخ محمد بن قعود إلى حين عودته حيث أمضوا نحو قرابة الأشهر الثلاثة، وعاد الشيخ محمد إلى عمله وكنت المدير المساعد له في إدارة الدعوة، فما لبثنا كذلك حتى ضم إلينا أعمال الدعوة في الداخل، كانت تابعة لرئاسة القضاة، وتم شغل الوظيفة باسم رئيس قسم الوعظ والإرشاد فمضيت بها في المرتبة السادسة، فبقيت في عملي في الدعوة متزامناً مع أخي وصديقي الشيخ محمد بن قعود ولمدة ٢٠ عاماً، أمضيناها في وئام ومحبة نتبادل الأسفار، فإذا غاب قمت بالإدارة، وإذا غبت كان هو الآخر يتحمل أعباء الكل، وفي عام ١٣٩٠هـ، صدر الأمر الملكي بتوجيه النشاط إلى الخليج العربي بعد جولة قام بها الشيخ إبراهيم بن محمد مع الشيخ محمود الصواف على دول الخليج فتم ذلك وكنت ممن باشر العمل في هذه المهمة الصيفية ولمدة أكثر من ١٠ سنين. والحمد لله رب العالمين.

هل عدم التحدث بلغات القوم يكون حاجزاً من حواجز عدم تبليغ الرسالة؟

هذا ما يجب أن نقف عنده طويلا وننظر في تاريخ الدعوة الإسلامية التي حولت مصر والشام وبلاد المغرب ودول إفريقية إلىٰ دولة تدين بالإسلام، وتتكلم بلغة القرآن حتىٰ نسيت ما كانت عليه من اللغات والديانات أن الأثر باللسان العربي أقوىٰ حتىٰ علىٰ الذين لا يتكلمون العربية، وذلك أن المسلمين يعتزون بلغة القرآن، والواحد منهم يتمنىٰ أن يسمع كلام العرب من عربي هذا جانب، ومن جانب آخر فمن المستحيل إتقان جميع اللغات التي يتحدث بها المسلمون فضلاً عن اللغات الأجنبية الأخرىٰ، إذاً فيكون محور التخاطب هو اللغة العربية ولو بواسطة الترجمان كما أن أكثر أو كل عامة المسلمين يقرأون القرآن بلسان عربي كما هو، وربما فهموا بعض المعاني وبواسطة الترجمة أو بألفاظ مشتركة بين اللغة العربية ولغتهم وهذا كثير في اللغة الأوردية والفارسية والتركية. ولم نجد أن عدم التحدث بلغة القوم عائقاً من عوائق الدعوة وتبليغها، بل التحدث بالعربية من أسباب القبول وتعلم اللغة لغة القرآن وكثيراً ما نسمع الأطفال يقولون نحب العرب لثلاث : القرآن عربي والرسول عربي ولسان أهل الجنة

عربي، كما أن التأثير العملي في سلوك الداعية من أقوىٰ عوامل التأثير علىٰ المدعو، وبهذه المناسبة أذكر قصة دخول سكان جزر المالديف الإسلام علىٰ يدي عربي مغربي يدعىٰ أبو البركات قالوا إنه من العادة عند أهل الجزر أن يقدموا للعفريت كل عام عروسة تهيء له يدخل عليها ويقتلها وفي الصباح تؤخذ العروسة جثة فلما بلغ أبا البركات هذا العمل قال لهم: إني مسلم وإني أريد أن أكون محل العروسة فإما أن يقتلني أو أقتله وأريحكم منه ففعل ولم يأته ذاك العفريت وأصبح حياً وخرج من غرفة العروسة كما دخل، وبعد الحوار معه استدعاه السلطان وأسلم وأسلموا بإسلامه جميع الجزر وسكانها ولاتزال جزر المالديف علىٰ الإسلام ١٠٠٪ وهي ألفا جزيرة المعمور منها مائتا جزيرة وعاصمتها مَالي، ومن هنا ندرك أن أبا البركات أدخل الناس في الإسلام بفضل الله ثم بالسلوك العملي والتوكل علىٰ الله وعاد يعلمهم الدين بلغة القرآن والسنة، وأن من يدّعون أن اللغة الإنجليزية هي لغة العصر والحضارة أخطئوا بجانب لغتهم وحضارتهم.

إن مليار مسلم أو يزيد يتمنون أن يسمعوا العربية من أهلها، وأما اللغة الإنجليزية فهي لغة الاستعمار والظلم ولا قدسية لها وأن من عجيب الأمر ما رأيته في سكوتوا دار الخلافة في نيجيريا من مكاتبات بين سلاطين نيجيريا والإنجليز باللغة العربية والخط العربي، ولا نغفل أن فهم الإسلام وخاصة القرآن لا يمكن إدراك غوره وإبراز ألفاظه إلا باللغة التي نزل بها فالإستعارة والكناية والمنطوق والمفهوم هي من بلاغة القرآن. وقوله ﷺ: «إنك لعريض الوساده» وإذا كان هناك توجه لتقريب فهم الإسلام عن طريق الترجمة فإن

ذلك يعني عجز الراغبين في دراسة القرآن بلسانه والتخلي عن دراسة السنة وياليته لم يكن ليعود المسلمون إلى تجديد عهدهم لدراسة اللغة العربية وأخذ الإسلام من ينبوعه الصافي ولغته العذبة، إرجع إلى قواميس اللغة العربية بل وكتب السنة ماهي إلا بجهود المسلمين غير العرب كأمثال سيبويه والفيروزابادي وابن منظور وأئمة علماء الحديث كالبخاري ومسلم ولكنها التبعية للحضارة الغربية التي جعلت من حضارتها مؤلاً للهاربين عن لغة دينهم وتراثهم وحضارتهم.

وإذا كان الاختراع وإحداث الصناعة قد تحقق لدول الغرب فهل هذا من أجل اللسان؟ لا يقول بهذا عاقل ولكن حين دب في الأمم الإسلامية الخلاف تسلط أرباب القوة على الممالك الإسلامية فكانوا أعزه ونحن أذلة فبعزهم تسلطوا وبذلنا أستكنا فكانت لغتهم لغة العلم والصناعة والسياسة، ومع هذا فإن المسلمين سيظلون يقدسون اللغة العربية تقديسهم للقرآن ويحيون بها نهج الرسول والإسلام، وإني بجولاتي المتكررة لا أجد عنتاً أو صعوبة في الترجمة وبالأخص في الدول التي بها مسلمون أكثرية بأدابها وفنونها تفوق دولهم وهذا هو الذي كان للغة العربية فبماذا كانت الدولة لهم ولايزال الخير في هذه الأمة ما تمسكت بدينها، وأخذت بهدي رسولها، وعلى العموم فإن اللغة الأجنبية ليست من دواعي التأثير ونجاح الدعوة بل هي عائق من عوائق معرفة اللغة العربية وخدمتها كما أن الصلاة لا تصح من مسلم إلا بألفاظ عربية كالتكبير والتسبيح والأذان والإقامة وهذا ما يجعل المسلمين من غير العرب يحبون هذه اللغة والاستماع إليها من أفواه العرب،

ومثل ما نقول في التحدث نقول في الترجمة فقد هرع كثيراً من دعاة العصر إلىٰ ترجمة الكتب العربية باللغات الأجنبية ومنها ترجمة معاني القرآن الكريم وأذكر أن الآراء اختلفت وتشعبت حول ترجمة محمد يوسف لمعاني القرآن الكريم وهذا أمر طبيعي فإن المترجِم قد لا يتفق تماماً علىٰ معاني التفسير للقرآن الكريم كاختلاف المفسرين باللغة العربية وناهيك باللغات الأخرىٰ التي لا قواعد لها ولا حضارة ولا شهرة، وقد رأيت أن معاني القرآن قد ترجمت باللغة البلوشية التي لا يتحدث بها أكثر من أربعين مليون ينتسبون إلىٰ الإسلام وقد يكون من الصعوبة حصر جميع اللغات وبالأخص في دول أسيا وأفريقيا ممن ينتسبون للإسلام.

هل الحب غاية أو وسيلة؟

الحب رقه في القلب تعتري الإنسان بشعور الرحمة والعطف والحنان، ويجاري هوىٰ النفس في اللذة والمتعة ومحاسن الأمور، وتستمتع الحواس بما يطيب لها ويتلائم مع الطبيعة البشرية فهل هو غاية أو وسيلة؟ هو وسيلة لتحقيق ما يصبوا إليه الإنسان فحب المال يدفع الإنسان لكسبه لتحقيق مرامه وأهدافه من العزة والمكانة والشرف وعدم الافتقار للغير بطلب أو منفعة، ومثل ذلك جميع الأعمال ولأننا بصدد الدعوة فإن الداعية الناصح هو الذي يحب للغير ما يحبه لنفسه، فلا أبلغ من تحقيق هذه الغاية من قول الرسول ﷺ: «والله لا تؤمنوا حتىٰ تحابوا». فالداعية الناصح هو الذي ينحىٰ هذا المنحنىٰ، ويريد من الناس أن يكونوا كذلك، وهل التضحيات في الجهاد وطلب العلم وإرغام النفس علىٰ البذل في سبيل الله إلا من دوافع الحب الكامن في النفس ويظهر علىٰ الجوارح بما تباشره من أعمال الحب وهو وسيلة من وسائل إيصال الخير للغير، والبغض ضده.

لقد اتخذ بعض فلاسفة الهند اللاعنف مبدأ من مبادىء حياته واللاعنف حقق مصالح وطنية وسجل أمجاداً يهتز لها عرش العظمة ورؤوس الجبابرة، حمل غاندي غنمته ومغزله إلىٰ عصبة الأمم ومن هناك

أعلن أنني لا أحارب ولا أجرء على إزهاق ذوات الأرواح فضلاً عن البشر ولكنني سأشرب حليب غنمتي هذه وأنسج صوفها وألبسه ولا أحتاج إلى مصانع انجلترا باللاعنف حقق غاندي حقوق الهنود في جنوب إفريقيا من المنبوذين والعمال المحتقرين، وناصر المظلومين في الهند وأعلن أن لا حقيقة للحياة بغير الحب ونبذ العنف، لقد كان غاندي يصوم لمعرفة الحقيقة والتعبد لها فكانت الحقيقة عنده هي الحب اللامتناهي في خدمة الإنسان والسلام بين الأجناس البشرية لينعم الكل بنعمة الأمان، ولكن هل يكون هذا لجميع البشر؟ لا لأن الفطرة البشرية تقوم على المتضادات فكل حلو يعقبه مر، وكل خير لابد له من شر وبالمتضادات يعمر الكون وهذه حقيقة الإنسان يقررها القرآن (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) لذا فإن الإنسان يأخذ بالحقيقة في تعادل الخير والشر ويرجح جانب الخير وإن مسه الشر.

هل كان للدعوة منهج أو برنامج محدد؟

لم يكن شيء من ذلك، فكان الداعية يتوجه إلى مقر عمله من غير أن يُعطَى أي تعليمات حول ما يتخذه أو يعد له برنامج سير عمله وإنما يترك للداعية حرية اختياره في أسلوب العمل ومتطلباته ولوازمه، فقد يكون مدرساً أو واعظاً أو منظماً لجمعية أو جماعة، وقد يكون صاحب فكرة مولع بالتخطيط والتنظير مما كان عليه أرباب الفكر والإبداع، إلا أن الإطار الذي يمكن أن يحدد لهم معالم العمل وأسلوبه هو ما تلقوه من دراساتهم وتعلموه من أساتذتهم العلماء، مع مراعاة ما تكون عليه سياسة المملكة العربية السعودية، وأغلب الدعاة إن لم يكن كلهم يلتحقون بجمعيات خيرية أهلية للتدريس أو القيام بمشاريع تخدم الدعوة كالمنشآت من المساجد ودور الأيتام ومصحات العلاج وطبع الكتب والمساهمة في خدمة البلد عدى المجال السياسي والاجتماعي لغير المسلمين أهل السنة، وبالمقابل فإن بعثات الأزهر للدول الإفريقية تحمل معها صور جمال عبدالناصر، وتدعو للقومية العربية في محيط أعجمي لا يعتز بغير الإسلام وحب اللغة العربية لحب القرآن والرسول ﷺ.

وكثير ما يتساءل الدعاة عن خطة العمل ومناهج الدعوة الذي يجب أن

يتحقق فنلوذ بالعموميات بإنكم علماء حكماء وعليكم ينطبق المثل : إذا أرسلت فأرسل حكيماً ولا توصه ، غير أننا نوصي بدراسة البيئة والمجتمع وعدم الخروج على الظواهر الاجتماعية والأعراف التقليدية كاللباس وأخذ الزي الظاهري بل والمدارات في فروع الشريعة كالقبض والسدل في الصلاة والجهر ببسم الله أو الإسرار بها ، والجهر بأمين والإسرار بها ، والمهم في الأمر أن يتوجه الناس إلى عبادة الله عبادة صحيحة تتفق وما عليه أهل السنة والجماعة ، ويرد إلى إدارة الدعوة كم هائل من التقارير والمقترحات مما جعل سماحة الشيخ بن باز يُكّون مجلساً إستشارياً كنت أحد أعضاءه لدراسة جميع ما يرد من الخارج من المراكز والجمعيات والأفراد وأعطاء الرأي مجتمعين ، تكوّن هذا المجلس من نائب الرئيس الشيخ إبراهيم بن صالح آل الشيخ ، وأمين عام هيئة كبار العلماء الدكتور عبدالعزيز بن عبدالمنعم ، ومدير عام الدعوة في الخارج الشيخ محمد بن قعود ، ومدير عام الدعوة في الداخل الشيخ عبدالله بن فنتوخ ، ومدير عام المتابعة إسماعيل بن سعد بن عتيق ، ومدير مكتب سماحة الرئيس الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن باز ، وكان الاجتماع أسبوعياً يتولى العرض أمين عام المجلس الشيخ صالح بن عبدالعزيز المرشد وإذا اختلف المجلس على شيء يطلب من سماحة الرئيس الشيخ بن باز الاشتراك في الجلسة لعرض ما أشكل ويكون هو الذي يقيم الآراء وينتهي الأمر على مايراه سماحته ، ومع وجود الأمانة العامة للدعوة الإسلامية والتي يرأسها سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز وأمينها العام الشيخ محمد بن ناصر العبودي فإن أعمال الدعوة في الداخل والخارج تسير

سيراً حسناً من غير مراجعة هذه الأمانة في شيء غير ما يكون له ارتباط بدولة أخرىٰ في مجال المساعدات الرسمية لأن تعامل إدارة الدعوة إنما هو مع المواطنين وليس له صفة رسمية غير الأذن بإفتتاح المكاتب التي تشرف علىٰ الدعاة بصرف مستحقاتهم والإشراف علىٰ سير أعمالهم وحركة تنقلاتهم كملحقية في السفارة السعودية وعلىٰ هذا سار العمل من عام ١٣٨٥هـ حتىٰ تحولت أعمال الدعوة إلىٰ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد عام ١٤١٥هـ، وكان أول وزير لها معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأختصت رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالبحوث والإفتاء ويتبعها هيئة كبار العلماء إدارياً ومالياً فقامت الوزارة بأعمالها خير قيام ولكن لا تجديد في أسلوب العمل والذي تفوق به رئاسة سماحة الشيخ بن باز وأنه فتح باب كفالة الدعاة علىٰ حساب أهل الخير فانهالت عليه التبرعات وكانوا يدعون بدعاة بيت الشيخ حتىٰ تجاوز عددهم عدد الدعاة الرسميين وخاصة في إفريقيا وفي شرقها أكثر، وبعد وفاة الشيخ نضب هذا المعين حين تحول للوزارة وتم تصفية الأعمال الخيرية وآخرها قفل مؤسسة الحرمين الخيرية وتجميد أعمالها في الداخل والخارج بل وحجزت أموال المتبرعين والمحسنين وذلك إثر الحادث المشؤوم ١١ سبتمبر الذي أدعت أمريكا أن هذه الأحداث من أعمال الإرهابيين وركزت علىٰ الدور السعودي الذي يبث دعاته وينشر ماله في خدمة المبدء الوهابي القائم علىٰ الإرهاب وإزعاج الغرب وقد تجاوبت الدولة السعودية مكرهه علىٰ تحديد العمل الدعوي خشية فتنة أكبر

وزاد الطين بله وجود متفجرات من شباب سعودي يجعل التدين وسيلة لحرب الكفار ومنهم المقيمون في المملكة وحصل بذلك إرجاف وإضطراب في أمن المملكة مما جعل الدولة تحد من النشاط الدعوي الخيري ما لم يكن واضح المعالم ويرتبط بجهات رسمية كوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. والله المستعان..

هل تحقق شيء من أهداف الدعوة

مضىٰ ثلاثون عاماً علىٰ ارتباط الدعوة برئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وكان رؤساء هذا الجهاز سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم ابنه الشيخ إبراهيم، ثم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز. أما الرئيس الأول فكانت مهمته التأسيس وبدء العمل حتىٰ توفي عام ١٣٨٩هـ، أما الرئيس الثاني فكان يلتزم بالأعمال الرسمية والرتيبة التقليدية في سير العمل رغم أن الملك فيصل قد فتح باب الدعوة ونادىٰ بالتضامن الإسلامي مع الدعم السخي بالمساعدات للجمعيات والمنظمات الإسلامية وخاصة الأقليات، وأمر باعتماد خطة تشمل جميع القارات، وفتح مكاتب للدعوة إلا أن الخطه لم ينفذ منها إلا قليل بحجة عدم وجود كوادر سعودية تدير الأعمال في الخارج، أما الرئيس الثالث فهو سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز الذي أفنىٰ عمره وبذل جهده في سبيل الدعوة فتوسع العمل في رئاسته وأقبل الناس عليه إقبال المسترشد والطالب للإعانة والتعاون وتوالت البعوث للخارج، كما استقدم سماحته عدداً كبيراً من الشخصيات المهتمة بالدعوة واستضافهم للتشاور في الدعوة، فأزدهر العمل وتضاعف الجهد من جميع النواحي التعليمية والإرشادية، بل والمنشآت كالمراكز والمساجد

ودور الأيتـام وطبع الكتب، وقـد خـصـصت بنود في وزارة الماليـة لطبـاعـة الكتب كـمـا كـان الإشراف علىٰ المطبـوعـات والمنشـورات من خـصـائص وإختـصـاصـات رئاسة البـحـوث العلمية والإفتـاء إلىٰ أن ألحقت بوزارة الإعلام، كما كان للإفتاء مستودعاً لتوزيع الكتب بجميع اللغات ومنها ما يطبع علىٰ حساب المحسنين زيادة علىٰ البنود الرسمية.

صلة رابطة العالم الإسلامي

برئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

أما رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة فهي منظمة شعبية شبه رسمية حيث أن ميزانيتها ومصاريفها من المملكة ولم يساهم أحد بدعمها مادياً، كانت تقوم برعاية الأقليات والجاليات الإسلامية وتعنى بالنواحي السياسية من جانب ومن جانب آخر بالدعوة ودراسة مشاكل المسلمين في دولهم، ولها أمانة عامة أول من شغلها الشيخ محمد سرور الصبان، ثم الشيخ محمد الحركان، ثم الدكتور عبدالله العبيد، وتولى أمانتها الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي حالياً، فقد تختلف مع رئاسة البحوث العلمية بأختلاف الإدارة وأسلوب العمل إلا أن الإطار العام للرابطة أوسع لاحتوائها جميع مشاكل المسلمين، ولها مجلة شهرية ومراسلون وبعثات متلاحقة تدعو إلى التضامن الإسلامي ولو اختلفت التوجهات العقدية والفكرية فمن أعضائها من لا يتفق مع الدعوة السلفية كمشايخ الطرق وبعض المنتمين للحزبية، بل منهم من هو متهم بالماسونية كإنعام الله خان من باكستان وإن كان قد أعلن توبته، كما أنه لا توافق بين الإفتاء والرابطة في اختيار العاملين، فالرابطة قد ترشح للدعوة عن طريق الحكومات كما فعلت

مع تركيا وأندونيسيا، أما الإفتاء فإنها تختار الداعية وتجري معه المقابلة وتتابع سير عمله وبالأخص التوجه العقدي والسلوكي وعدم الإنتماءات الحزبية أو المذهبية غير مذهب أهل السنة والجماعة، وفيما أرىٰ أن كل جهة تؤدي عملها وفق ما يتطلبه الحال وتقتضيه المصلحة الضرورية والله المستعان.

المجال الشعبي في الدعوة إلى الله

ما كادت رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة ورابطة العالم الإسلامي تأخذ مكانها في العمل الرسمي وتبعتها الجامعات الإسلامية وجامعة الإمام محمد بن سعود حتى هب عدد من الأفراد لمسح المناطق في جميع القارات لتكتشف احتياجاتها ومتطلبات العمل الدعوي فيها، أعقب هذا فتح مؤسسات في الداخل والخارج برعاية الدعوة والدعاة فمن الداخل مؤسسة الحرمين الخيرية التي أدت جهوداً مشكورة في تبني الدعوة إلى الله على حساب المحسن السعودي وسدت احتياجات بعض الدول التي لم يكن لها نصيب في العمل الرسمي، كما قام الشيخ عبدالله المعتاز بصفته الفردية بفتح مكتب اسماه: إعمار المساجد والأعمال الخيرية ونشط في هذا المجال، وفي الخارج افتتح الشباب السعوديون مكتب المنتدى الإسلامي في لندن وأصدروا مجلة البيان وتوسعوا في العمل، وفي أفريقيا بالذات، كما افتتح مكتب الوقف الإسلامي في هولندا وأصدروا مجلة الأسرة ومضى هذا المكتب في رعاية الدعوة في أوروبا، كما أختص المنتدى في إفريقيا.

وعلى العموم فقد كان للشعب السعودي بين الشعوب الإسلامية اليد الطولى في تنشيط العمل الإسلامي، وإن كان للكويت ودول الخليج بعض

من ذلك كلجنة أفريقيا برئاسة الدكتور عبدالرحمن السميط وجمعية الإصلاح، وفي دول الخليج بعض الأنشطة ولكنها لا تقارب بما تقوم به المملكة العربية السعودية حكومة وشعبا كما أن التوجه العقدي ليس واضحاً عندهم ولا من معطيات العمل الدعوي.

رموز الدعوة في المملكة العربية السعودية

أولاً : الملك فيصل حيث أبدع في تخطيط العمل الإسلامي على أربع قواعد: القاعدة التعليمية: بافتتاح الجامعة الإسلامية التي تختص بتدريس طلاب العالم الإسلامي على مراحل الدراسة الجامعية والثانوية إلى نهاية تحضير الماجستير والدكتوراة في العلوم الشرعية.

القاعدة الثانية: افتتاح مكتب الدعوة لبعث الدعاة ممن تخرج من الجامعة ومن غيرهم ممن تخصصوا في الكليات الشرعية والدعوية.

القاعدة الثالثة : رابطة العالم الإسلامي التي تم بواسطتها استقطاب علماء وزعماء العالم الإسلامي لدراسة مشكلاته.

القاعدة الرابعة : مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ومهمته وسياساته وكل هذه القواعد بدعم وتأييد الملك فيصل بل باشر هو بنفسه العمل والتوجه للدول الإسلامية وأفهم الجميع ضرورة التكتل الإسلامي ضد أي عدو مشترك ومن ذلك إسرائيل فقد قامت الدول الإفريقية بقطع علاقتها مع اليهود من هؤلاء الحبشة التي هي حميمة لليهود وينتسبون إليهم كما كان ذلك لمحاربة الإشتراكية الماركسية ولم يكن شيء ضد الدول

النصرانية فلذا اغفلت أمريكا ودول الغرب طرفها عن حركة الملك فيصل، وقد كانت إسرائيل معنية بهذا إلا ان الملك فيصل يركز على محاربة الصهيونية العالمية التي منها بدأت الشيوعية، أما هؤلاء فلا نختلف مع اليهود كمواطن في الأرض الفلسطينية ولكن من غير دولة ولا الكيان الصهيوني.

ثانياً : الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي الأكبر ترأس ما يزيد على خمسة عشر جهة تعليمية ودعوية حتى كان هو المرجع لجميع ما يختص بالدعوة والتعليم الديني من ذلك رئاسة تعليم البنات، والكليات والمعاهد العلمية ورابطة العالم الإسلامي، والإشراف على الشؤون الدينية عامة يخوله الإشراف على جميع الشؤون الدينية من أهمها القضاء والمحاكم الشرعية والمساجد ومراقبة الكتب والمطبوعات عدا الإعلام.

ثالثاً : ابنه الشيخ إبراهيم كان هو النائب في حياة أبيه وبعد موته تفرد بالعمل في رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء حتى رشح لوزارة العدل خلفاً للشيخ ابن حركان.

رابعاً : سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز بعدما كان في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وفي عهده تطور العمل وأندفعت عجلاته للتقدم في زمن قياسي.

خامساً : الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي أول وزير للشؤون الإسلامية بعدما كان مديراً لجامعة الإمام محمد بن سعود، وهو

إلىٰ التنظيم الإداري أقدر ممن قبله وقد سار العمل في وزارته سيراً حسناً.

سادساً : معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ خلف الدكتور عبدالله التركي فقام علىٰ نهج يختلف عما عليه سلفه، وكانت الظروف والأحداث أدت إلىٰ ماحصل فإن لله وإن إليه راجعون ومن الإداريين.

سابعاً : فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم القعود أول مدير للدعوة في الخارج وأمين عام التوعية الإسلامية في الحج.

ثامناً : إسماعيل بن سعد العتيق عمل بجانب الشيخ بن قعود كمدير مساعد ولمدة عشرين عاماً في الدعوة ثم تحول إلىٰ مدير عام المتابعة.

تاسعاً : الشيخ عبدالله بن فنتوخ مدير عام الدعوة في الداخل ودول الخليج.

عاشراً : الشيخ محمد بن ناصر العبودي أمين عام الدعوة الإسلامية ثم تحول إلىٰ رابطة العالم الإسلامي أمين مساعد والله ولي التوفيق..

صلتي بالجمعيات والمنظمات الإسلامية

لم يكن قبل عام ١٣٧٣هـ أي معرفة بالأحوال التنظيمية، ولا بالجمعيات الإسلامية، ولا بما يعرف بالألقاب الحزبية، حتى نفث عبدالناصر رئيس الجمهورية المصرية آنذاك سموم دعوته وأبواق إذاعته بدعوى القومية العربية ورفع الشعارات الإشتراكية. ولم يكن لعلمائنا القدرة على مجابهة هذا التيار ولا معرفة حقيقته، وأصبح الزعيم العربي الذي لا يمكن أن يكون للعرب حضارة أو تاريخ وأمجاد إلا بعبدالناصر، وكانت البعثية السورية الحزبية تزج بمؤلفات ميشيل غفلق في الأسواق حتى بيع كتابه في «سبيل البعث» أمام كلية الشريعة بالرياض وبواسطة أحد الطلاب السوريين، وحتى عام ١٣٨١هـ عندما قام الشيخ مناع القطان بمصارحة ومصادمة القومية العربية والدعوة الناصرية كوّن شبيبة من حوله على هذا المبدأ فكانت المعركتان في أبنية المعاهد، وعلى أعمدة الصحف حتى دبّ الخلاف بين المملكة العربية السعودية ومصر العربية بعد ثورة اليمن فقد أمر الملك فيصل بطرد جميع المصريين من أطباء ومعلمين، ويقدر عددهم بخمسة وثلاثين ألف عائلة، أما من كان في المعاهد العلمية كالشيخ مناع القطان وغيره فلم يجر عليهم هذا الأمر، فانطمست معالم تلك النعرة

الجاهلية، ولكن بقي الأنصار لعبد الناصر، فكانت فكرة الشيخ مناع أن يؤسس عملاً يتوارثه الأجيال فقام بفكرة إنشاء مكتبة تجارية للثقافة الإسلامية وذلك بواسطة طلاب من كلية الشريعة فكانت المكتبة باسم «مكتبة الأداب» في شارع الشيخ محمد بن عبدالوهاب مجاورة لقصر الحكم بالرياض وبواسطتها تم نشر كتب كثيرة منها: كتب حسن البنا وكنت ممن أسس هذه المكتبة بالإشتراك المادي كما قمت بالإطلاع على ما ينشر وبالأصح أقوم بنشره من الكتب ككتاب «الإخوان المسلمون تحت راية القرآن» وجرى تعديل هذا العنوان ليكون «المسلمون تحت راية القرآن»، كما طبعتُ كتاب الشيخ أبو الحسن الندوي «الإسلام بين الصورة والحقيقة» وغيرها من الكتب، وتم مكاتبة المجلات الإسلامية الإخوانية كمجلة «الحضارة الإسلامية» للدكتور مصطفى السباعي، و«مجلة المسلمون» الصادرة من سويسرا رئيس تحريرها الدكتور سعيد رمضان زوج بنت حسن البنا، كما كانت الشُهاب اللبنانية تأتي تباعاً.

وصار لهذه المكتبة إقبالٌ لاسيما وأن التيارات الناصرية قد أقفلت أبوابها من المطبوعات والنشرات عدا (مجلة روز اليوسف) و (المصور) و(آخر ساعة) وهي مجلات مصرية، وكانت عواطف الشباب تميل إلى حركة الإخوان المسلمين ولكن لاسبيل إلى مرشد لتعبئة هذه الطاقة، وكان الأستاذ مناع القطان على حذر من التنظيم أو لفت الأنظار ولكنه يشير ويوجه من بعيد لئلا يتهم بتنظيم حزبي، فلذا ظلت صلة الشباب صلة ثقافة وعاطفة للإمامة والقيادة حينما يقرؤن ويسمعون عن تنظيمات لإخوان في

مصر وسوريا وتضحياتهم، وكان لحسن البنا صفة الإمامة والقيادة يقرأون رسائله وقد جمعت في مجلد واحد كما أن كتاب «معالم في الطريق» شق طريقه في قلوب الشباب لقوة عبارته ونصاعة فكرته ودعوته إلى تفسير «لا إله إلا الله منهج حياة» وإلى اليوم وصلتي بالإخوان صلة النظرية الثقافية المعرفية فحسب، ولا أنا ولا غيري من السعوديين ممن أعرف دخل في التنظيم الحزبي للإخوان غير ماذكر.

وفي عام ١٣٨٣هـ طرق علي بابي الشيخ يوسف بن عيسى الملاحي وكنت نزيل بيت الطلبة ويدعى بيت الإخوان وقد تزوجت ولكن زوجتي في وادي الدواسر لم آت بها بعد على أمل أني أسافر في الإجازة الصيفية لآخذ أهلي معي في الرياض، غير أن الشيخ يوسف ومن معه من الإخوان جماعة التبليغ من الهند عرضوا عليّ السفر إلى الهند ولمدة ٣ أشهر فكانت مفاجئة لي كيف أسافر الهند البعيدة وما هي المصاريف التي ستكلفني ومرتبي لا يتجاوز (٣٠٠ ريال) وأرغب مجيء أهلي للرياض، ولكن إصرار الشيخ يوسف ومن معه جعلني أوافق ولكن كم يكون مقدار ما أحمل معي من النقود فقالوا: (٥٠٠ ريال) تكفي للسفر في الباخرة ذهاباً وإياباً، وكنت قد تعرفت على جماعة التبليغ في الطائف عام ١٣٧٤هـ ولكنهم لم يقدموا للرياض إلا عام ١٣٨١هـ، كما كنت على صلة بهم حينما دخلوا الرياض في الاجتماعات الإسبوعية في مسجد سكيرنية بالرياض، عقدت العزم على السفر إلى الهند مع جماعة التبليغ فكان ذلك من البحرين إلى كراتشي، ومن كراتشي إلى دلهي براً، وفي العودة من بومباي إلى البحرين

ثمانية أيام في لج البحار، وكان يصحبنا في هذه الرحلة الشيخ يوسف الملاحي، والشيخ حسن الغانم، والشيخ عبدالرحمن الماص، وإبراهيم الخريجي وكنا قرابة الثمانية، والتقينا بالأخوة من سوريا في الباخرة ومنهم الشيخ سعيد الطنطاوي أخو الشيخ علي الطنطاوي، وعدد من الأخوة وكان أمير هذه الرحلة الشيخ سعيدخان، أمير جماعة التبليغ في المملكة، ومقره المدينة المنورة، وصلنا كراتشي من البحرين وكان يتلقفنا عدد كبير في ميناء كراتشي، حتى كان الواحد منا يتبعه أكثر من عشرة تبركاً بالعرب وحباً لمشاهدتهم، وصلنا مكي مسجد أو مسجد مكة وبه جرى التعارف ولمدة ٣ أيام نتلقى دروس الأعمال المقامية حتى جرى تقييمنا وتم توزيعنا على القرى والأطراف، كل عربي يتبعه جمع من الباكستانيين ويوم الجمعة يعودون إلى المركز الرئيسي «مكي مسجد» ليكون اللقاء العام.

ومن كراتشي إلى مُلتان، ومنها إلى لاهور حيث المركز الرئيسي للجماعة «ريوند» وهكذا أمضينا شهراً كاملاً في باكستان لننطلق منه إلى دلهي عاصمة الهند، وفي نظام الدين المقر الرئيسي للجماعة وبه قبر الشيخ محمد إلياس المؤسس والأمير على الجماعة ابنه الشيخ محمد يوسف، وهكذا بدأنا في نفس الأسلوب العملي من خروج ودعوة إلى نظام الدين، وفي كل عصر نلتقي بالشيخ محمد يوسف يحدثنا حديثاً خاصاً، ومما قاله «أنتم الأمراء يعني العرب ونحن الوزراء ولا يقوم العمل الدعوي إلا بكم، وأما أنا بالنسبة لوالدي فكان والدي يقف على قمة الجبل ويقول: أصعدوا وأنا في سفح الجبل وأقول للناس اصعدوا، هذا وقت كتبت عنهم كتيباً ليس

بالكبير عنوانه «جماعة التبليغ كما عرفتهم ماضيهم وحاضرهم ومناوئهم»(١) أمضينا في الهند شهراً ونصف الشهر وزرنا خلالها المدن الكبيرة كمدينة ديوبند التي بها الجامعة الديوبندية، ومدينة سهارنفور وبها الجامعة التي يرأسها الشيخ زكريا شيخ الطريقة، وعدنا في طريقنا إلى بومباي مروراً بحيدر أباد الدكن وبهو بال بواسطة القطار، وبعد مضي شهرين والنصف عدنا للمملكة بواسطة الباخرة (سردانا) ولمدة ثمانية أيام في البحر والمحيط الهندي والذي كدنا أن نلفظ الحياة خاصة عند مرورنا بالمحيط، وخلاصة القول: أن صلتي بجماعة التبليغ صلة ود واحترام مع بعض المآخذ التي ذكرتها في كتابي عنهم ولاشك أنهم سدوا ثغرة في بلاد الهند والباكستان وقاموا بدعوة سلوكية أخلاقية لا سياسية ولا زعامة ولا أطماع دنيوية وهي لا تصطدم مع المنظمات والجمعيات الأخرى وليس لها دعاية أو صحافة غير مجلة البعث الإسلامي التي تصدر من لكنهو.

أما جماعة أهل الحديث في الباكستان والهند فهم الأصحاب والأحباب ومن نتفق معهم في المبدأ والمنتهى إلا أن الملاحظات التي تلاحقهم من كل صوب هي من أسباب نزع الثقة فيهم إدارياً إذ لم يكونوا على تنظيم موحد ولا جامعة تجمعهم غير الانتساب للسلفية والاعتزاز بمواقفهم للدعوة الوهابية وبهذا الانتساب استفاد كثير من أهل الحديث في الهند وباكستان من المساعدات السخية التي تصرف للجامعات والمنظمات الإسلامية عن طريق الإفتاء أو الأشخاص المحسنين، ومثلهم أهل السنة في أفغانستان وسيرلانكا فقد سكنت عند الشيخ مختار أحمد الندوي أمين عام

جمعية أهل الحديث في عموم الهند كما كنت بباكستان لا أفارق بيت الشيخ الكريم ميا فضل الحق أمين عام جمعية أهل الحديث في باكستان ورئيس الجامعة السلفية في فيصل آباد، كما كان لي الصلة الوثيقة بجامعة غرباء أهل الحديث في كراتشي والتي يرأسها الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبدالوهاب الدهلوي، ولي مع الشيخ إحسان الهي التواصل المستمر في باكستان وخارجه دعاني ذات يوم وقال: سأدعو بدعوتك بعض الوزراء وأعضاء البرلمان فأبيت عليه خشية التكلف وأصر إلا أن يدعوهم، وفي منزله حضر أفراد من الوزراء كما ذكر وأعضاء البرلمان وجرىٰ تشنيف أسماعنا بمقالاته واستنكاراته لسياسة الرئيس بوتو وكان رجلاً شجاعاً خطيباً ملهماً يخطب الساعات الطوال باللغة الأردية والفارسية والعربية لا أدري عن مقدرته باللغة الإنجليزي. قال لي ذات يوم: لقد اعتقلت وهممت أن أوافق الحكومة علىٰ شروطها من أجل أن أخرج، فاتصلت بي زوجتي وهي بنت العلامة المحدث الشيخ محمد وقالت: لا تبيع دينك بدنياك ولست أول من سجن في سبيل الله فاصبر واحتسب.

كما أن علاقتي بالعالم العلامة الشيخ محمد حنيفة علاقة ود ووئام، كنت لا أفارقه حين إقامتي في لاهور ولمدة ٣ أشهر وهو العالم السلفي والمرجع لأهل الحديث، وعلىٰ العموم فقد كتبت محاضرة عنوانها «الجماعة الواحدة في التوحيد والتشريع والسلوك» تعرضت فيها لكثير من التنظيم الإسلامي وركزت علىٰ الجماعات الثلاث: الجماعة الإسلامية وجماعة التبليغ، وأهل الحديث أو أنصار السنة وسيطبع إن شاء الله.

أما الجماعة الإسلامية جماعة الشيخ المودودي فإن صلتي بها التعرف على زعيمها عام ١٣٨١هـ في الرياض فقد كنا معجبين به غاية الإعجاب عجبنا بالشيخ حسن البنا مع جمع من الأخوة المتعاطفون والمحبون لخط الحركة الإخوانية، وفي عام ١٣٩٥هـ أقمت في باكستان ٣ أشهر في مدينة لاهور وسكنت في المنصورة حيث تمركز الجماعة الإسلامية وكنت ألتقي بالشيخ في أغلب الأوقات كما كان صديقي الوفي الشيخ خليل حامدي سكرتير أبو الأعلى المودودي ومدير دار العروبة، وقد أمضيت وقتاً في قراءة كتب الشيخ المودودي في الحجاب والربا والاقتصاد الإسلامي وهي كتب جيدة لا اعتراض عليها، ولكن بحكم أن الجماعة منظمة سياسية دعوية فإن كثيراً من اجتماعاتها وتقاريرها لا تنشر فقد استضافوني الجماعة في المنصورة حيث كنت أحضر الماجستير في جامعة «يونستي بنجاب» ولمسوا مني التعاطف والتفاهم في كثير من القضايا الإسلامية، كما وقد جرى شراء كتب من مطبوعات المؤسسة الإسلامية التابعة للجماعة باللغة الإنجليزي على حساب دار الإفتاء بمبلغ لا بأس به، وعلى العموم إن هذه الجماعة على خط الإخوان إلا أنهم يفوقون الإخوان في التنظيم والتكتيك ووحدة الصف والسمع والطاعة للقيادة وهم على ٣ درجات: الأولى: المنتظمون في العمل بالبيعة والتوافق على جميع مبادئ الجماعة والمحبون وهم المساهمون مادياً ويعطون بعض الوقت في خدمة الجماعة وإن لم يلتزموا بجميع القرارات، ومؤيدون وهم الذين يتفقون مع الجماعة فكرياً وعقائدياً من غير أن يتسمو بهم أو يلتزمون بشيء غير الالتزام الأدبي كما أن الجماعة

وجهودها محصورة في الباكستان أعني الجهود السياسية، أما الثقافة وكسب الأصدقاء والمؤيدون فقد افتتحوا مؤسسات ثلاث لتمويل الفكر المودودي وذلك في لاهور، وفي كينيا وفي بريطانيا، وهذه المؤسسة بواسطتها تمول كثيراً من المشاريع التي تهدف إلى تحقيقها الجماعة الإسلامية ويرأسها الأستاذ خورشيد أحمد الوزير السابق لحكومة بوتو وفيما أعلم أنها من أصح الجماعات عدا أهل الحديث في التوجه العقدي والمنهج السلفي القريب مما عليه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ المودودي يصنف من رجال الفكر والسياسة ومن العلماء غير التقليديين كعلماء ديوبند وما شابههم من علماء المذهب الحنفي وصلتي بهم صلة ود واحترام وتعاطف بحكم معرفتي القديمة والتواصل معهم في باكستان.

الدعوة الوهابية أو المنهج السلفي.. هل فهمها الناس؟

أعني بالناس المسلمين، والمسلمون وحدهم هم الذين جهلوا هذا النهج أو الدعوة السلفية كما نسميها.

لقد طاش الكيل لما تمليه كتب أحمد زيني دحلان بصفته مفتي الشافعية في مكة المكرمة، والمؤرخ لحوادث الحرمين الشريفين والمحسوب على دولة الأشراف فقد تأجج نار شرارها في شرق آسيا ووسطها وغرب أفريقيا وشرقها وتبنت الدولة العثمانية الإطاحة بها وقطع جذورها وغزوها في عقر دارها فكان ما كان عام ١٢٣٣هـ من سقوط الدرعية عاصمة الإمامة الوهابية، وحملوا علماءها وبعض قادتها إلى مصر وإلى اسطانبول، واقتنع العالم الإسلامي بأنها دعوة دخيلة خارجة على الخلافة مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة وتأصل هذا المعتقد في المدارس التعليمية وأشهرها الجامعتان، جامعة الأزهر في مصر وروافدها من المعاهد والمدارس، وجامعة دار العلوم في ديوبند الهند التي تسمى بأزهر الهند ومن وراء أولئك الروافض داخل الجزيرة وخارجها في بلاد الفرس والعجم. وقد أظهرت الوهابية بأنها حنبلية وأنها تعطي الولاء لأهل البيت وللأولياء عامة، وأنها تُحَرم سفك الدماء أو تكفير المسلمين وأنها لا تدين بغير ما عليه أهل السنة

والجماعة ولكن من يبلغ هذا الصوت ويشدو به في أغاني الألحان المطربة ويطفيء نار الفتنة بين الوهابية وخصومها؟ .

لا أحد لعاملين أساسيين الأول: فقر الدولة الوهابية فقد تَرفعَ الإنجليز عن دخول نجد واستثمارها لقلة مواردها المالية فكانوا أعقل من العثمانيين في جلب المصالح، وماذا يريدون من نجد وليس بها إلا الجِمال ورعي الأغنام والجفاف في برودة شتائه وحرارة صيفه؛ العامل الثاني: قلة العلماء وندرة التأليف والدفاع عن الدعوة والدولة بالقلم واللسان وكل ما في الساحة من كتب هي كتب ابن تيمية وابن القيم وكتب الفقه للحنابلة وبشكل مضغوط وأكثر ما يكون بالمخطوطات والمطبوعات النادرة من مصر والهند ومثلها القرآن الكريم.

ظل ركام الغمام على المفهوم الوهابي أو الدعوة السلفية أكثر من قرنين وبعد أن توحدت الإمبراطورية العربية في جزيرة العرب من دول هي جيزان للأدارسة، وعسير لأل عايض، ونجد لآل الرشيد، والأحساء للأتراك، والحجاز للأشراف، والشمال تتنازعة القبائل. وبعد أن تم إعلان المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ ظهر صيتها كدولة حديثة هي أم العرب ومهد العروبة. وقد قدح في ذهن المؤسس أن التسمي بالإمامة أو الخلافة قد يعيد له شؤم الحوادث وسواد التاريخ فسمىٰ دولته بالمملكة العربية السعودية وأضفىٰ علىٰ نفسه لقب الملك، وكان لظهور البترول والمعادن الأرضية ما يتحقق به قول الشاعر:

وهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالاً

فقد امتدح الأخطل الصغير الملك عبدالعزيز واختار أمين الريحاني لكتابة تاريخه وأملىٰ عليه الكثير من الوقائع والحوادث التي مرت به وهو نصراني في المهجر، ولم يكن للملك عبدالعزيز رغبة في غير توطيد الأمن في الجزيرة واستقرار الحكم وسلامة الحجاج والمعتمرين، والاعتدال في السياسة الخارجية، بل لم يكن يعلن سوىٰ قوله إنه يريد أن يستعيد أو يعيد ملك أجداده ويعني بذلك الحجاز وجزء من عُمان واليمن، وكل من كتب عن الملك عبدالعزيز فإنما هو إظهار العبقرية وحوادث الحروب وذكاء الملك عبدالعزيز وشجاعة ودهائه في التخلص من الاستعمار ودواعيه. وَخَلَفَ الملك عبدالعزيز الملك سعود وأمضىٰ في حكمة إحدىٰ عشر عاماً وكان همه الإصلاح الداخلي فأحدث الوزارات وبنىٰ المطارات وسهل طرق المواصلات وفتح الجامعات. ثم خَلَفَه الملك فيصل شبل الأسد وسبط الشيخ عبدالله بن عبداللطيف فكانت توجهاته في خدمة الإسلام في الخارج والوقوف سداً منيعاً عن تسرب المبادئ الإلحادية كالشيوعية والإشتراكية بل والقومية العربية، فكان لمسيرته الدعوية ما أيقظ العالم الإسلامي وتعرف علىٰ حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب واختفىٰ العاملان في عدم وضوح الدعوة عامل الفقر وعامل قلة العلماء، وامتدت جذور العمل الإسلامي بما أسماه الفيصل بالتضامن الإسلامي إلىٰ أطراف المعمورة فتغيرت مفاهيم الناس أو المسلمين عن الوهابية وقد اختفىٰ اللمز بالوهابية إلا عند قلة قليلة من المتصوفة والرافضة وانتهىٰ دور الملك فيصل بعد إحدىٰ عشر عاماً من حكمه وبقيت تركته وآثاره واضحة العيان وبحكم انتشار



الدعوة والدعاة فقد تقشعت سحابة الصيف وتجدد المفهوم عن الوهابية لأنها الدعوة السلفية التي هي من صميم القرآن والحديث. فقد حاول البعض أن يزيل هذا اللقب ولكن البعض يرى إبقاءه مع توضيح معنى الوهابية بما هي عليه.

العمل الرسمي أنجح؛ أم التطوعي؟

يلزم من الكتابة على هذا العنوان أن نتعرف على واجب الدولة المسلمة القائمة مقام الخلافة أو الإمامة لقيادة الأمة المسلمة وهذا الموضوع يطول ويتفرع إلى شعب لا تنتهي منها إلى حد محدود، وذلك أن الأمانة العظمى أو الخلافة منوط بها جميع مصالح المسلمين ورعاية شؤونهم كالتزامها بنصب الأمراء والقضاة ورجالات الحسبة ومدرسي الشريعة وأئمة المساجد أن يكون للدعوة وتبليغ الرسالة النصيب الأولى في الرعاية والعناية والتنظيم لذا كان العمل الرسمي للدعوة يعطي صفة القوة والمتانة والمرجعية المركزية المدروسة على أسس الشريعة وعلى منظر ومخبر من علماء الأمة الربانيين وقادة الإصلاح. وقد صح عن عثمان رضي الله عنه أن قال: «إن الله يزع بالسلطان مالايزع بالقرآن»، فإذا انتظم العمل الرسمي وكان خالصاً لله على هدي رسول الله ﷺ كان ذلك أجدى وأجدر بالنتيجة السريعة والثبات المستمر ومواصلة العطاء المثمر؛ أرأيت لو بقيت المساجد يرعاها أفراد من الناس هل ستدوم هذه الرعاية على الوجه المطلوب من تنظيم مواردها ومصارفها والمحافظة عليها؟ وكم كان يلزم المساجد من خدمات تنوء بالأقلية الفقيرة المحتاجة ويعجز عنها الكثير من المسلمين إلا في الضروريات التي

لابد منها ولكن ليس على وجه الكمال والدقة. فالعمل الرسمي مهما تكن ضآلته فهو يعطي نتائج حسنة ومثمرة، ولكن بقي نظرية الثواب على الأعمال الصالحة، هل ما يقدمه المسلم من عمل صالح يفوق أجره أجر من عمل وهو أجير للدولة أو الجماعة؟ أظن الجواب لا يحتاج إلى تأمل أو إعياء بحث ومراجعة لقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا﴾.

والعمل التطوعي من غير مقابل أبلغ في نفس السامع والمستفيد، وغالباً تكون التضحيات والإقدام ممن يطلب الأجر من الله تعالى، وشيء آخر مهم وهو أن الشعوب بجملتها أقوى من الدولة الواحدة في إمكاناتها قال ذلك الملك فيصل حين جاء وفد من نيجيريا يعرضون استثمار أموال السعودية في نيجيريا فكان جوابه: الشعب أقوى من الحكومة فاعرضوا مشاريعكم على التجار والمؤسسات، ومثل الاستثمار المادي العمل الدعوي فإن طاقة الشعوب الإسلامية مجتمعة أقوى من طاقة الدولة الواحدة، وأمر آخر لا ننساه وهو أن العمل الرسمي مرتبط بروتين الدولة ونظمها، أما العمل التطوعي لا يكون له هذا الروتين، قد تنبه لهذه الحال الشيخ ابن باز فعمل على إيجاد دعاة من غير الجهات الرسمية يمكن لسماحته أن يعين من شاء، وفي أي وقت شاء مع تحديد الرواتب والمصروفات لهم وفق مايراه من المصلحة، بخلاف ما هو مرتبط بنظام الدولة من روتين الوظائف وما تطلبه من مؤهلات وتزكيات وسلامة البدن بشهادة الأطباء من الأمراض وعلى هذا يمكن أن يقال: العمل الرسمي يدعم العمل التطوعي وينظمه ويرعاه بالتوجيه والاستشارة كما هو الحاصل في الجمعيات الإسلامية والمنظمات

الخيرية يخرج عن ذلك التنظيم الحزبي أو التوجه السياسي الذي ينحىٰ منحىٰ الحزبية ويقوم علىٰ إثارة العواطف وتقييم أعمال الحكام بما يخدم المصلحة الجماعية في نظر القائمين عليه، وإلىٰ حد ما قد يستساغ هذا المنهج إذا قصد به الإصلاح وكان من باب النصيحة «فالدين النصيحة» إلا أنه قد يخرج مخرج الحقد والحسد والضغينة أو بأسلوب غير مؤدب فتكون النتيجة عكسية والحاكم يرعىٰ مركزه كرعاية أطفاله وذويه فلا يرضىٰ التجني علىٰ هيبته ووقاره وسمعته.

لقد أمر عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أبا ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ أن يغادر المدينة إلىٰ الربذه وذلك لما كان يسمع منه من الإنكار علىٰ بعض مايراه منكراً في نظره فيما يتعلق بموارد الدولة ومصاريفها ولم يكن أباذر ممن يصلح للسياسة أو نقد المجتمع فضلاً عن الدولة فقد قال ﷺ «يا أبا ذر لا تولين علىٰ إثنين فإنك امرؤ ضعيف» فقد تحقق ما أخبر به النبي ﷺ حين قال: «رحم الله أبا ذر يعيش وحده ويموت وحده ويبعث أمة وحده» وقد مات ـ رضي الله عنه ـ في الربذة طريداً شريداً وهذه من دلائل نبوته ﷺ.

وللعمل الرسمي مسوغاته فقد يكون في قالب السياسة والدعاية وقد يكون في خدمة فئة دون أخرىٰ، ولكن من محاسن العمل الرسمي أن ينبع عن قوة الحكم كقوة السلطان في نفاذ الأمور علىٰ الوجه المطلوب، وشيء يدعىٰ بالمحسوبية فقد يترشح للعمل الرسمي من ليس كفؤاً له، ولكن لرعاية الأحوال قد يبذل المال لغير أهله ولانعدام الدولة المسلمة الحاكمة في العالم

العربي غير الجزيرة العربية فقد اختل العمل الدعوي باختلال تطبيق الشريعة على الشعوب الإسلامية وإقامة الحدود، ورعاية الضروريات الخمس حفظ الدين والمال والنسب والعقل والنفس، ولذا اختلت موازين العدل، ومن حماقة الشعوب الإسلامية وحكامها أن يطالبوا بتحقيق الديمقراطية وتفسيرها حكم الشعب لنفسه. وإذا فسرت بالحكم الإداري باختيار الرئيس أو نوابه من الوزراء، فهذا يجري مجرى الشرع كالأمر بالشورى أما إذا فسرت الديموقراطية لتنظيم القوانين حسب ما يراه الكثير من الشعب فهذا هو المحادة لله ورسوله وهذا هو الواقع في عالم البرلمانات ومجلس الشعب نسأل الله السلامة والعافية.

هل أديت واجبي الوظيفي؟

يتوسع الكثير من الموظفين في استحلال المال العام أي مال الدولة بحجة أن له الحق في بيت المال، وأنه إنما أعطي هذه الوظيفة من أجل أداء واجب الوطن والمواطن وهي حق له، وإن لم يقم بواجب ويمضي الكثير في فلسفة إستحلال مال الدولة بشبه كثيرة أخطرها مايرىٰ من بعض الرؤساء والمسؤولين من سوء التصرف في المال العام وهم ينشدون.

أحرام علىٰ بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس

ولكن لو عدنا إلىٰ سيرة السلف رأينا أن أموال بيت المال هي أشد حرمة من مال الأفراد لأنه حق عام فأخذه إعتداء علىٰ المجموعة البشرية من المسلمين تحت الولاية.

يحكىٰ أن عمر بن عبدالعزيز كان يتورع من إضاءه السراج إذا كان في بيته لغير قضاء حوائج المسلمين، وقد تردىٰ هذا الوعي التربوي في تصريف الأموال وكسبها كشرود الإيمان بالله والخوف من جزاءه.

أعود إلىٰ سيرتي الذاتية في أداء الواجب الوظيفي الحكومي والذي منه أكتسب مالاً وأقتات لنفسي وأولادي ومَن تحت يدي لقد كان من الممكن

الإرتشاء ولكن هذا لم يكن معهوداً أبصفه مباشرة ولا متداولاً في العرف الوظيفي السائد، وبالأخص في الدوائر الشرعية الدينية غير أن هناك ما يدعىٰ بالوساطة أو المحسوبية وذلك بتفضيل بعض الناس علىٰ بعض مع الاستواء في الأحقية وهذا أمر بديهي في العرف والعادة، وقد كان سماحة شيخنا الشيخ بن باز رحمه الله يكثر من الشفاعة لأصحاب الحوائج عند من عنده للآخرين حاجة، عملاً بحديث «أشفعوا تؤجروا» وفي علمي أن الكثير يطلب الشفاعة فيما لا حق له فيه كطلب وظيفة مع وجود كفؤ أعلىٰ منه وقد يتجاهل الشافع المقارنة بين طالب وطالب وعامل الشفاعة مرجح فيغلب علىٰ من لا شافع له ولا مزكي، وقد أتجاوز مثل هذه عند وجود المتوسط أو الشافع أو المعرف إذا كان بصفة التزكية والشهادة له بحسن السلوك وأداء العمل، ونتذكر قول الفاروق ـرضي الله عنهـ ما ترك الحق لي صديقاً.

فقد نخسر الأصدقاء بهذا ألتعامل الفاروقي ولم يكن لي يد علىٰ عد النقود ونقدها بمعنىٰ لم يكن في حوزتي مال للدولة إلا ما كان يصرف للمساعدات الرسمية للمنظمات والجمعيات الخيرية فبعد عودتي من التجوال أقترح مساعدات مالية وعينية للمساجد والمدارس والهيئات الإسلامية وهذا كثير فمن ذلك أنه عقب جولتي في سيلان أقترحت تقديم مساعدة ٦٠٠ (ستمائة ألف ريال) حددت مصاريفها والجهات التي ستولىٰ تصريفها فكانت الموافقة علىٰ ذلك في خلال أسابيع كلفت باستلامها والتصرف فيها كما في التقرير فكونت لجنة وأشهدتهم علىٰ التوزيع وأخذت مندوبين من الجهات الإسلامية القائمة فالحمد لله علىٰ أداء الأمانة.

وقد كُلفت مع معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي ممثلاً لرابطة العالم الإسلامي، والشيخ عبدالعزيز بن ربيعان ممثلاً للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وكنت ممثلاً لرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء وذلك بتقديم مساعدات مالية ومنح دراسية لدول غرب أفريقيا الناطقة بالإنجليزية وهي نيجيريا وغانا وسيراليون وغامبيا مكثنا شهرين في أداء هذه المهمة وذلك عام ١٤١٢هـ، وكانت النقود بحوزتي منها ما هو بالشيكات السياحية ومنها ماهو نقداً عرضنا على السفير السعودي في أكرا (غانا) أن نسلم المساعدات بالدولار الأمريكي أم بالعملة المحلية فقال: بل بالعملة المحلية وأنا أشتريها لكم من السوق السوداء عند التجار اللبنانيين، أعطيناه المبلغ المقرر لدولة غانا وفي الصباح أخبرنا القائم بأعمال السفارة السعودية بأنه استبدل الدولار الأمريكي بالعملة المحلية وهاهي في الكراتين عداً ونقداً فكان ما يقرب من ٢٠ (عشرون) كرتوناً فكنا نسلم المساعدات بالكراتين بالعملة المحلية نعوذ بالله من الفقر والكفر وسوء عاقبة الأعمال السيئة، ويجرى هذا المجرى كل ما كان تحت يدي من المساعدات النقدية، وقد كان سماحة الشيخ بن باز لديه من المساعدات الشيء الكثير وقد عرض عليَّ استلام مبلغ كبير لتوزيعه في جيبوتي ومنه ماهو مرتبات للدعاة التابعين لبيت الشيخ وهم كثر ويمكن للمندوب أن يتحكم في تحديد المبلغ لكل داعية لأن هذا المال ليس له صفة رسمية بل هو من المحسنين فأعتذرت لسببين:

أولاً : الخوف من الإعتداء عليَّ حينما يعلم الناس أنني أصرف أموالاً فلا يمكنني أن أتجول في الأسواق وأنا على مأمن من اللصوص المختطفين.

ثانياً : أن لا يكون لي صفة عمل إداري في الشؤون المالية فأتحول في تصنيفي من دعاه إلى محاسبين إداريين كتبه، فَكَلَّفَ غيري بهذه المهمة وكان عدد الدعاة غير الرسميين يزيدون على ألف داعية وكل داعية يقدر راتبه تقديراً بعضهم ألف ريال وبعضهم أقل وبعضهم أكثر حسب مايراه المندوب وهذا فيه مدخل لمن أراد التلاعب أو السرقة والحمد لله على عدم المقدرة على المحرم.

ذهبت إلى جيبوتي لمدة ٣ أشهر فسمعت مالا يجوز الحديث عنه مما هو صدق وكذب فيما يتعلق بالأموال، أما أداء الواجب الوظيفي في الدوام وملازمة المكتب فلا أعرف أنني تخليت عن مكتبي يوماً كاملاً لغير إجازة، وقد رغبت من سماحة الشيخ بن باز أن يكاتب مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بموافقته على أن أعطي درساً في المعهد العلمي في الشفاء، وإن كان هذا ليس نظامياً ولكن تجاوزاً للمصلحة والفائدة المطلوبة تم ذلك بحمد الله.

وفي عام ١٤٠٢هـ صدر القرار لأن أكون مديراً عاماً للتفتيش والمتابعة في رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد فلا أدري لسوء حظي في الوظيفة أم يمنه وقد باشرت العمل في هذا المرفق الهام والمرتبط بسماحة الرئيس مباشرة وكانت هذه أول إدارة عامة للتفتيش في تاريخ الرئاسة مما أضطرني إلى وضع لوائح تنظيمية تحدد أعمال المتابعة في داخل الرئاسة وتم عرضها على الجهات المعنية، وكان من ركائز العمل ضبط الدوام الرسمي وأعمال المفتشين على متابعة المكاتب في بداية الدوام ونهايته

فكان هذا حافزاً للإلتزام بالدوام الرسمي، ولا أكتم سراً فقد اصطدمت بكثير من المحسوبين على الجهات المعنية وحينما أشكو لسماحة الشيخ هذا الوضع يشجعني على استمراري في ضبط الدوام الرسمي ويقول قولته: إن الله ليزع بالمال مالا يزع بالقرآن.

وهو مأخوذ من قول عثمان: إنا الله لا يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن، بقيت في هذا المرفق قرابة ١٣ عاماً، ثم انتقلت إلى الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء على وظيفة باحث علمي فكان ذلك من أهدافي وغاياتي هو التوجه إلى العلم وتحضير البحوث لهيئة كبار العلماء فيما يحال عليّ من أمينه العام فضيلة الدكتور عبدالعزيز بن عبدالمنعم وقد كان لي شرف الخدمة في هذا المرفق وأعددت بحوثاً مطولة ومختصرة، كما كنت أشترك في لجان تحديد واختيار المساجد لإقامة صلاة الجمعة.

اللباس والمظهر العام في رحلاتي

لا أعرف أنني حاولت محاكاة في المظاهر العامة غير ما أنا عليه إلا عند نزول دولة أكون فيها غريباً وحيداً في ظروف خاصة، ركبت القطار من كراتشي إلى لاهور بالباكستان فاحتجت إلى التنكر في لباس الباكستانيين لسببين متناقضين : الأول : احترام الباكستاني للعربي وكيف يليق به هذا المركب مع عامة الناس وسواد البشر، والثاني : خشية اللصوص لأن العربي عندهم غني وله مالٌ يطمع به، بل لبست القبعة الباكستانية ولا فوارق كبيرة بين سحنة العربي وسكان البنجاب من باكستان فالأمر قد يمشي ما لم أتكلم.

وفي لبنان حين إقامتي الطويلة كنت ألبس البذلة الأفرنجية مع الربطة في العنق تقليداً لا تأييداً وذك في مقتبل العمر، وزدت على ذلك وفرة شعر الرأس المقصوص على نظام الأفرنجية.

أما جولاتي في البلاد العربية كسوريا ومصر فإن لباسي هو هو إلا في النادر اليسير عند خروجي ليلاً أو إرتيادي أماكن السياحة والترفيه كما فعلت وأنا في اللاذقية، إذ هي بلد سياحية لا ترى من يلبس الثوب العربي فيها، أما البلاد الإفريقية فنحن عندهم أساتذة ومعلمون ونحن محل قدوة ويكثر

عندهم الملابس الفضفاضة وبالأخص غرب إفريقيا نيجيريا والسنغال ولكنني اكتفي بالثوب والغترة أما المشلح فربما ألبسه عند الخطب وعلى المنابر وفي الاجتماعات الرسمية مثلنا مثل السفراء والدبلوماسيين.

نزلت نيويورك ومعي الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين ونحن بلباسنا العربي، ومن المطار ركبنا تاكسي إلى نيويورك فكان السائق يهودي يتكلم العربية تراودت أنا والشيخ سعد فيه لبياض بشرته واستقامة أنفه وملامحه الأسيوية، كنا نظن أنه إيراني فقال: هو يهودي وأظنه قال: من المغرب العربي، أخبرت الشيخ سعد أنني أسكن عادة في فندق تيودور لقربه من مكتب رابطة العالم الإسلامي وسكرتارية هيئة الأمم، فقال: السائق أنا أدلكم على فندق آمن من فندق تيودور وهو ليهودي ولكنه لا يكره العرب، ويمكن أن تنزلوا به وعليه حراسة، ولا يبعد عن فندق تيودور كثيراً فأخذنا بنصيحته نزلنا ذلك الفندق ولازلنا بلباسنا الثوب والطاقية، ثم بعد إنهاء إجراءات السكن احتجنا إلى طعام الغداء فقلنا نخرج خارج الفندق لكن هل نظل بلباسنا أو نلبس ما يلبسه الناس فكان رأي الشيخ سعد أن نبقى على هيئتنا فربما كان ذلك أدعى إلى تميزنا عن الأمريكان ويعرفون أننا من المسلمين، وفور خروجنا من الفندق فإذا بصاحب سيارة الجيب يقف وهو لا يتوقع أن يرى عربياً بهذا اللباس وعليه مسحة التدين في نيويورك فسلم ورحب ودعانا للركوب معه ليرينا صنعاء اليمنية في نيويورك الأميركية وهناك المطاعم وهناك الناس ممن تعرفونهم من المسلمين الأخ يمني فما ترددنا في الاستجابة له وذهب بنا إلى مطعم صنعاء وفي أعلاه مسجد والشوارع

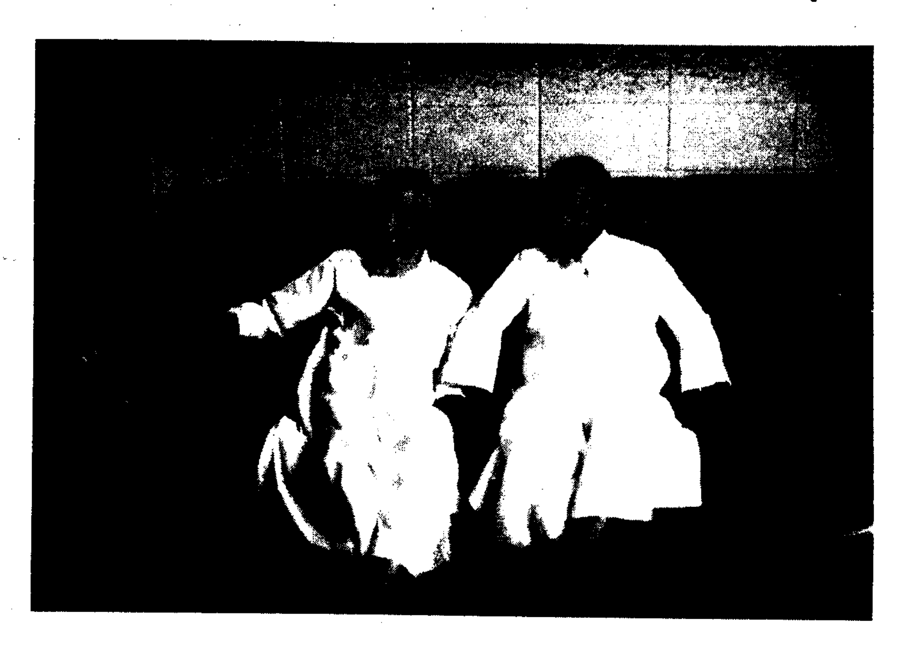
تكتظ باليمنيين من شماله إلىٰ جنوبه فقلنا هذه بركات الثوب العربي وعدم التقليد الكاذب .

وفي سيرلانكا والتي أقمت بها ثلاثة أشهر كنت في حفاوة المسلمين واكرامهم فكنت ملازماً للباسي كما أنا في الرياض بل يغلب عليَّ لبس البشت الأبيض الخفيف لأنني في الغالب لا أنفرد لوحدي بل بمعية الأصحاب والأحباب .

ومثل سيلان جزر المالديف المجاورة لسيرلانكا ، لكن في تايلاند والفلبين ألبس البدلة الأفرنجية لبذاءة العربي فيها وقلة حياءه وأدبه والعربي فيها ليس علىٰ شرف وعلىٰ عزة ، بلغني عن الشيخ المودودي أنه قال : العرب لا يتقدمون وهم بهذا اللباس يعني لباس العباءة والغترة والثوب الفضفاض لأن ذلك عائقاً من عوائق العمل ، لذا كان اللباس الباكستاني وسط بين الملابس فهو ساتر وخفيف وأقل تكلفة إلا أن القلنسوة الباكستانية قد تضاهي في ثمنها البشت السعودي .

حكاية :

قيل أن فئران غزت المزارع في الهند فأمر الملك الجنود بقتلها وغزوها فكان في ذلك صعوبة مع سوء السمعة أن الجنود يصارعون الفئران فاستشار الملك وزراءه وحاشيته فقال أحدهم : عندي رأي ، فقال الملك : وماهو؟ قال سآتيك به غداً ، وفي اليوم الثاني أتىٰ المشير بطربوش قد زين أعلاه بذنب الفأر وقال للملك : إلبسه فإن الوزراء والحاشية سيعملون عملك ويقلدون



لبسك ويكون الطربوش المزخرف بذنب الفار أغلىٰ من غيره ففعل الملك فنجحت الحيلة وأقبل الناس علىٰ لباس الطربوش المزخرف بذنب الفأر وكلما كثرت أذناب الفئران علىٰ الطربوش كان ذلك أعلىٰ له .

كان الشيخ الدكتور سعيد رمضان أحد أعلام الدعوة المعاصرين يلبس البدلة الأفرنجية قال لنا ذات يوم : أن الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر عاتبني علىٰ هذا اللباس فقلت : إذا قامت دولة الإسلام فنحن نعتز بلباس المسلمين أما وإن الدولة للكفار فإننا نتزيىٰ بزيهم ، ومعنىٰ هذا أن اللباس الأفرنجي أصبح لباساً عالمياً لاسيما من هم في سلك الجيش والعسكرية ، وأصبح هذا اللباس رمز الحضارة ولا يختص به الأفرنج ولا أرباب الديانة .

موقعي من الاحترام ومكانتي في المجتمع

قد لا أفصح عن مكانتي الإجتماعية ولا أقيم نفسي في المجتمع ولكن لابد من كلمة تحت هذا العنوان، جرت العادة أن الشهرة والشعبية تكون لأرباب المراكز والسمات الإجتماعية البارزة سواء كانت تجارة أو علماً، أو ممن يورث الأمجاد والشرف والنسب والحسب ولكن الإعلام له دوره مهما كانت شخصية المتحدث أو المتحدث عنه، شاركت في الإعلام وكان برنامج نور على الدرب في إذاعة القرآن الكريم في بداية بثه كنت ممن ساهم في إعداده وبرامجه ومتابعته إلى حين نهض وخطا، مع ما ألقية من كلمات في الإذاعة آنذاك في حدود أعوام ١٣٩٠هـ وما قبلها، أما اللسان الثاني للإعلام الصحافة وأخص منها الصحافة الإسلامية والمجلات وقد نشرت في مجلة البلاغ الكويتية، وجريدة الشهاب اللبنانية وجريدة الدعوة التي أصبحت مجلة أسبوعية، ومجلة البيان، وأخيراً في جريدة الجزيرة كتبت بعض المقالات والقصائد والرحلات، وبهذا القدر عرف الكثير عن إسماعيل بن عتيق أنه داعية ورحالة، والذي أعمق من هذا ما قمت به من تحقيق ومراجعة وتأليف بعض الكتب تجاوزت الأربعين كتاباً ظلت متداولة وذلك بواسطة مكتبة دار الهداية للطبع والنشر والترجمة، وما قبل عام

١٤٠٠هـ عرفني الكثير بصحبتي لجماعة التبليغ فكنت في إدعائهم أنني أمير لهم ولم أعترف لهم بذلك، أما الخطابة في المساجد في الرياض فكنت في مقدمة من كان يخطب أذكر أنه لا يعد الخطبة ولا يرتجلها في مساجد الرياض سوى الشيخ مناع القطان في مسجد شركة عثمان، والشيخ صالح اللحيدان في مسجد المطار القديم، والشيخ عبدالله بن قعود، والشيخ راشد بن رشود، وإسماعيل بن عتيق في جامع الملك عبدالعزيز في حي المربع.

أما في محيط العمل فهذا أمر وقتي ينتهي بإنتهاء الجلوس على الكرسي ولكني لا أعدم مظاهر التقدير والاحترام لزملائي وممن أعمل معهم أو من هم تحت إدارتي وإشرافي، أخذت في سياسة العمل سلوك رئيسنا وقدوتنا سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز اللين والرفق، وفعل مايقدر على فعله، وعدم تحميل الاخرين مالا يقدرون عليه فكان الدعاة يلجئون اليَّ في حل مشاكلهم وتفريج همومهم، اشتكى الدعاة في تنزانيا بأن المشرف عليهم غير مستقيم الحال ويقدحون في عدالته لأسباب أربعة أولاً: وجود كلاب في بيته أشبه بالأوروبيين والنصارى. ثانياً: كون إمرأته سافرة وتقود السيارة. ثالثاً: عدم تواجده في صلاة الجماعة في المساجد. رابعاً: سفر بناته إلى لندن للدراسة فيها.

أمرني الشيخ ابن باز بالسفر إلى تنزانيا والتحقيق في الأمر والتأكد من الدعوى فكان الأمر كذلك ولكن كيف نفسر هذه الوقائع.

أما الكلاب. فإن الشيخ يسكن في وسط الغابة ولم تكن الكلاب في بيته ولكنها للحراسة خارج البيت، وأما قيادة إمرأته للسيارة فتذهب

بأطفالها إلىٰ المدرسة في حالة غياب زوجها وهو كثير ما يتغيب لصالح العمل، وأما عدم حضوره في صلاة الجماعة فلا يوجد حوله مسجد ومن الخطر الخروج من البيت فجراً وأما بناته فإنهن في لندن مع أخيه للدراسة إذ لا يوجد في تنزانيا محل للدراسة، عدت للشيخ وكتبت تقريري على هذا الرأي فأمر سماحته بإبقاء الرجل على عمله من غير إشراف على الدعاة، ولكن المشرف رأىٰ أن ينقل عمله إلىٰ السودان بدلاً من تنزانيا وقد وفق في هذا النقل حيث واصل دراسته وأخذ الدكتوراه ثم انتقل إلىٰ بريطانيا مبعوثاً من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بصحبة أخيه وبناته.

وفيما قبل التقاعد بسنتين عام ١٤١٥هـ جرىٰ التعاون مع مؤسسة الحرمين الخيرية تمهيداً لتفرغي للعمل معها بعد التقاعد فكانت رحلتي إلىٰ موسكو، وإلىٰ السويد، ودول اسكندنافية، ودولة ألبانيا أمضيت بها أربعين يوماً وكتبت عنها كتاباً بهذا العنوان. أعطيت من وقتي لتأسيس مركز البحث العلمي في مؤسسة الحرمين الخيرية وقمت بإعداد الإجابات على المراسلات باسم مؤسسة الحرمين الخيرية من مركز البحث العلمي ولم أكتب أسمي علىٰ تلك الإجابات ومع كل رسالة يرفق كتاباً دعويا من المطبوعات للمؤسسة أو مما تنشره دار القاسم وصلت المكاتبات إلىٰ أربعين جزء يحتوي الجزء علىٰ مائتي جواب لمئتي سؤال، وتم تصوير كل المراسلات في مجلدات هي محفوظة في المؤسسة، أمضيت خمس سنين في المؤسسة علىٰ هذا العمل حتىٰ دب داء الأمم قبلنا وتفرق أكثر العاملين فيها كأمثال الشيخ عبدالملك بن قاسم والشيخ أبو عمر القاضي وعدد كانوا هم أقطاب العمل

في المؤسسة، وأخيراً صدر الأمر في عام ١٤٢٥هـ بإقفال المؤسسة وإنهاء أعمالها في الداخل والخارج وكان لها من الفروع في داخل المملكة أكثر من ١٤٠ فرعاً، وفي الخارج مثلها وقد نفع الله بهذه المؤسسة حتىٰ أصبحت معلماً من معالم الدعوة في شتىٰ المجالات الدعوية كبناء المدارس، والمساجد، ودور الأيتام، وحفر الآبار، وإغاثة المسلمين في الكوارث كما وقع في الشيشان وأفغانستان، ولعل التبشير الغربي هاله هذا الإندفاع من المسلمين حتىٰ نافست إرسالية التبشير المؤسسة الدعوية، بدعوىٰ الإرهاب حملت أمريكا وأعوانها علىٰ الدعوة وأملت علىٰ المسؤولين تصفية هذه الأعمال ومنها مؤسسة الحرمين الخيرية لازلت في الحديث عن موقعي من الإحترام في المجتمع بعد أن انهيت أعمالي في مؤسسة الحرمين ومثلها في رئاسة البعوث العلمية عقدت العزم علىٰ مواصلة ما يمكن أن أعمله في خدمة الجالية المالية وهي جالية كبيرة في الرياض لها ثلاث صفات رئيسة: الغربة، والجهل، والفقر. فقلت: هؤلاء هم كسب الدعاه ومحط أعمال من يبتغي الأجر من الله فقمت لتأسيس مكتبة هي بيتي في القديم بعد أن أعددت بناءه بالأسمنت المسلح وعددت به مكتبة ثرية بالمخطوطات والمطبوعات، وباشرت بإلقاء دروس في المختصرات والمتون «كالأصول الثلاثة»، «والأربعين النووية»، «وعمده الأحكام»، «وكتاب التوحيد»، «والقراءة وتحقيق بعض المخطوطات، وكنت أجلب لهؤلاء الطلبة مساعدات من بعض المحسنين وإعرف الناس بهم فزاد الطموح بتطوير العمل لخدمة هذه الجالية الفقيرة فعرضت علىٰ معالي وزير الشؤون



الإسلامية الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ شراء بيت لهم يكون ملتقى لهم في كلٍ وقت مع إعداد مكتبة وصالة اجتماع، وتحديد وقت لتدريسهم وجرى إعداده على أحسن حال، وكتب عليه رسمياً وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وباشر عدد من الأخوة الماليين التدريس في هذا البيت وجرى مكاتبات للمحسنين بمساعدتهم وسار البيت سيراً حسناً إلا أنني لم أشارك في التدريس فيه لأن أغلب تواجدهم يكون ليلاً.

تقييمي للجالية المالية

مما هو معلوم أنهم من أبناء الصحراء الكبرىٰ التي اشتهرت برعي الإبل والبقر، والغنم، ولظروف سياسية واقتصادية هرع الكثير منهم خارج بلادهم كـ ليبيا والمغرب والمملكة العربية السعودية، ودول إفريقية مجاورة لهم، ويقدر من سكن المملكة في مكة والمدينة والرياض والقصيم بحوالي عشرة آلاف، وفي الرياض قرابة ٢٠٠ أسرة، وقد قام بعض الأمراء بإعداد مساكن لهم كالأمير سعود بن محمد، وكذا أبناء الملك سعود في قصور المنصورية، وعلىٰ العموم فهم كما ذكرت ابتلوا بثلاث خصال بالفقر والجهل والغربة، ومما أعلم أنهم طبقات تعتز كل طبقة بجنسها وتفخر بأمجادها كالطوارق والسوقيين والأنصاريين، وقد تتداخل الألقاب بحكم الجوار ولكن قبائل الطوارق فيما علمت أشد تعصباً وأعلىٰ درجة من بقية القبائل، والذي أجزم به حسن سلوكهم الخلقي فلا أعلم من يشرب الدخان، ولا من يتعاطىٰ المسكرات، ولا من يتعدىٰ بالسرقة أو التلصص، ولا قيادة لهم ولا زعامة ولا تنظيم فهم رعاة الغنم وعليهم السكينة، إلا أن الحاجة تدفعهم إلىٰ عرض أحوالهم علىٰ المحسنين فيما يشبه التسول أو من سماهم الله (الفقير المعتر) وأغلبهم يدفعون مقابل كفالتهم لكفيلهم مبلغ قد يصل إلىٰ ٣٠٠٠ ريال مع رسوم الإقامة وتجديد الجواز لدىٰ سفاراتهم.

أعود إلىٰ بداية الكلام عن موقعي مع المجتمع فأقول: وللقبيلة والانتساب عاملٌ من عوامل الشهرة والمعرفة لقد لمع اسم اسرتنا آل عتيق بفضل علماء كانوا هم نواة للتعليم في بداية الحكم، ورثنا هذه السمعة

الحسنة وكان لأسرتنا بعض الفضل في التعليم والتوجيه وبالأخص في الجنوب الأفلاج ووادي الدواسر، وظلت وراثة العلم والدعوة هي شعار هذه الأسرة فكان سمعة حسنة يشفع لذلك بعض التحصيل، وأعتذر عن كتابة هذا الفصل ضمن سيرتي الذاتية فإن ذلك قد يؤدي إلىٰ العجب والرياء وحب الشرف والظهور والوجاهة، أما أنا وأولادي فهم أقل الناس استفادة مني في المادة العلمية بل أنا وهم علىٰ طرفي نقيض فكانت توجهاتهم علىٰ غير وجهتي. ولعل البيئة هي أشد تأثراً من عامل الوراثة، حاولت إقامة دروس في المنزل فلم أفلح وأكثرت من النصائح والتوجيهات فكان الجواب: ما أرىٰ لا ما أسمع، أنخرط بعضهم في السلك العسكري من غير مشورة، وانتظم بعضهم في العمل الوظيفي برواتب قليلة يرون أن والدهم علىٰ مكانه عند الناس، ولا مكانة له عندهم إلا ما كان في الجيب الذي يظهره الغيب، ونقول قول الحق عز وجل ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماماً﴾ ونأمل أن يحقق الله الأمال في صلاحهم وتوفيقهم لطاعة الله عز وجل ثم البر بوالديهم أحياء أو أمواتاً. هذه مذكراتي وهذا ما جرىٰ به قلمي والله يتولىٰ عباده الصالحين.

هل أنا نادم على مافعلت أو ترك ما لم أفعل؟

لا أجد في قاموس حياتي ما أسفت على فعله أو عدم فعله أسفي على ترك الدراسة للرياضيات والجغرافيا والخط واللغة الإنجليزية، والتخصص لعلم الاجتماع وعلم النفس، وقد كنت أسمع الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - حينما كان مساعداً لمدير المعهد العلمي إبان إفتتاحه يقول: عجبت لمن حرموا نعمه البصر وذلك أنه افتتح قسم خاص في المعهد لا يدرس فيه إلا المواد الشرعية بما فيها حفظ القرآن والمتون، والشيخ حمد يعني في كلامه الذين لا يدرسون الرياضيات والخط والإملاء ومع هذا لم يقع كلام ابن جاسر موقعه من نفسي ولم أتأسف على ترك الدراسة لهذه الفنون إلا بعد ما أقتحمت ممارسة الحياة، وحينما كنت ملازماً قضائياً في محكمة الرياض كان من عملي تسجيل الدعاوي بدفتر الضبط فإذا ما كتبت أتعبني كتبي وأتعبت غيري في قراءة ما كتبت وهذا من جوانب النقص الذي لا يعوض، أما علم الاجتماع فإني بتجوالي وترحالي وقفت على أحوال الناس ولا يمكن أن أجري عليهم دراسة كدراسة من درس علم الاجتماع على أصوله ولذا كانت كتابتي عن رحلاتي تقتصر على جانب من جوانب المجتمع الذي عرفته وشاهدته وكتبت عنه، أما اللغة الإنجليزية فهي اللغة العالمية في هذا

العصر وبها يمكن الوقوف على أحوال الناس ودراسة المجتمع دراسة مباشرة من غير ترجمان، وإن كنت لا أرى ضرورة اللغة الإنجليزية في تبليغ الدعوة، أو تكون لغة تخاطب بين المسلمين والعرب ولكنها أشبه بالعامل المساعد في تسهيل المهمات والوصول للغايات، ومثل النطق بالإنجليزي الكتابة والقراءة وقد حاولت وأنا في نيجيريا أن آخذ درساً للغة الإنجليزية فعجب طلابي كيف نفتخر باللغة العربية ونستهجن اللغة الإنجليزية وأنت تتعلمها، ومع هذا فإني أحسن التحدث باللغة الإنجليزية الضرورية فلا أحتاج في المطارات ولا الفنادق ولا الأسواق إلى مترجم وقد تكون الإشارة لغة حية لمن لايستطيع أن يعبر عن كل شيء في نفسه، أما الدول الإسلامية ومثلها الأقليات فلا غرابة للعربي ولسانه لا كما قال المتنبي :

(غريب الوجه واليد واللسان)

بل إن من العزة بمكان أن نرى من يحترمنا لعربيتنا وسماتنا وسمتنا ولباسنا، دخلت أحد البيوت للمسلمين فأعد لنا الشاهي على الطريقة العربية فسألته : لما فعلت هذا، فقال: لأن فيها نكهة العرب وعادة العرب ونحن تابعون لهم والكثير من المسلمين يقلدون العرب في الزي والمظهر، ومن عجيب ما رأيت أن جمعية النساء في نيجيريا وتسمى جمعية زمرة الحجاج يلبسن حين الاحتفال العقال المقصب ويقولون: هذا لباس الملك فيصل، يلبسون هذا إعتزازاً وافتخاراً وتذكيراً لأحوال الملك فيصل رحمه الله.

وإن مما ندمت على عدم فعله ترك مواصلة كتابة مذكراتي على الفور

كما فعل الشيخ محمد ناصر العبودي والذي صحبته في دول غرب أفريقيا الناطقة باللغة الإنجليزية وهي نيجيريا وغانا وسيراليون وغامبيا فكان كما رأيته يكتب كل يوم بيومه ويسجل مرئياته ومشاهداته على الفور، وإذا عاد من تلك الرحلة قام بطبع مذكراته وقد تجاوز ما كتبه ١٠٠ كتاب لأكثر من ١٠٠ دولة وهذا غاب عني، بل لم يغب وإنما كنت منصرفاً للعمل الرسمي، وحيناً لا أستحسن نشر كل ما عرفته أو شاهدته، وحيناً آخر أقول قد يجد فيما بعد ما يتناقض مع هذه المعلومات الحاضرة، والحق أقول عن نفسي: أنني عاجزاً عن كتابة كل المشاهدات ومواصلة للنشر عنها في حينها لاسيما الأوضاع السياسية والاجتماعية الحساسة. كان الشيخ العبودي يصف مايرى حتى طرائق النساء وعجائب المجتمع وكان في أمنيتي أن تكون كتابتي إن أردت الكتابة عن المهمات الأساسية التي قمت بها وطريق تصحيح العمل الدعوي ومسيرة التضامن الإسلامي والعمل على الكتابة عن المناوئين لهذه الدعوة وإن كنت قد فعلت مثل هذا في حواري مع القاديانية في نيجيريا وطبعت كتاباً مزوداً بالصور عنوانه «حوار مع القاديانية وجهاً لوجه»، وفي تركيا ودول أوروبية أمضيت الحوار مع جماعة حسين أشق وكتبت عنهم نبذة[1] وعلى العموم فأقول: لو استقبلت من الأمر ما استدبرت لعدت إلى إعداد نفسي إعداداً يتفق وطبيعة العمل الذي أنوي أن أقوم به ليكون الإنتاج والإبداع على أشده ولكن عجلة الزمان تدفع بنا إلى ختام الحياة ونهاية المطاف بما سجلت من صحائف الأعمال والأقوال فإن مما أسفت عليه وليس بالإمكان إعادته عدم خدمتي لوالدي فالأب مات وأنا في سن الصغر والأم

---

(١) وقد أدرجتها في كتابي هذا.

نكفكها الإخوة إخوتي من غير الأب إذ كانوا يصحبونها في البلد أما أنا فإني لم أسعد بخدمة أحد منهما اللهم إلا الوصل بالمراسلة في أيام الطلب لأربع سنين لم أشاهد أمي ولم تشاهدني ولكنها والحمد لله راضية عني كل الرضا وكثيراً ما تقول : أسقطت حقي وأبحت أولادي والله يبيحكم فجزاها الله عني خيراً ولا أعدم مواصلتها بالهاتف ووسيلة المراسلات أن ذاك ، ولا أدري لسوء حظي أو ليمنه أني لم أمكث مع والدتي كثيراً فقد فارقتها لفراقي أبي لها كما ذكرت ذلك في عنوان سابق من هذا الكتاب ادعوا الله لوالدي بالمغفرة والرحمة والرضوان .

هل أنا راغب أن أبقى على قيد الحياة؟

لم يكن لي إراده لو أردت ذلك ولكن الذي أتمنى على الله أن أختم حياتي بعمل صالح أثاب عليه. لقد نضب الماء المعين الذي كان في عروق الشباب يولد طاقة الإنتاج والإبداع ويدفع إلى العمل الجاد المثمر، فماذا أفعل بحياة حجزت عني وسائل الاتصال المباشر وأصبحت رهين البيت خليل الأطفال من الأحفاد والأسباط والذين تجاوزوا الأربعين من الذكور والإناث؟ حتى أصبحت بينهم كما أمسيت لا تجديد في اللقاء، وكانت الحياة معهم رتيبة تقبيل الرأس والإنشاد الجماعي: بابا إسماعيل، جاء بابا إسماعيل، خرج بابا إسماعيل، جلس أما تلك المتعة الجسدية بالفرش الوثيرة فقد غطى عليها لحن الزمان.

ألا ليت الشبابَ يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

وإن كنت لا أعدم الاتصال في سن السبعين عاماً، وليس الأمر قاصراً على الغريزة الجنسية في الجسد البشري بل تجاوز ذلك إلى الملذات من المطاعم والمشارب فقل أن أمد يدي إلى غير المألوف من المأكول والمشروب خشية أن تنكر الطبيعة هذا المزاد؛ فينطبق عليَّ رب لقيمه حرمت لقمات، كان الطبع الذي كنت عليه لا أزيد على المألوف في غذائي القديم، لما كنت

في نيجيريا عام ١٣٨٧هـ أكل ما يأكله الأفارقة من طعام يسمى (اليام) وكان لذيذاً أشبهه بالعصيدة التي كانت تعصدها جدتي من البر والشعير إلا أن هذه العصيدة تنكرت لها صحتي ولفظها ذوقي عام ١٤١٥هـ ولم أقدر على إستساغتها بعد ثلاثين عاماً من أكلي لها في نيجيريا وذلك عامل من عوامل تقدم بالعمر.

أعود إلى أمنيتي لو جاز ذلك شرعاً لقلت: إني سقيم قد بلغ الهزال مبلغه وأصبحت من رواد المستشفيات ولو لزكام أو أعراض خفيفة خشية من مضاعفتها وتجددها، ومع أني بخير غير أن قول الشاعر يخطر ببالي كثيراً وقد أنشده على أسماع بنات حواء عليها السلام.

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب

فأصبح الود مع من ذكرت طفيف الكيل مغمور الثمن غير أن ملاطفات قد تجري على اللسان عفوياً تقال لي ولغيري من غير قصد ولا أراده يتبعها عمل يطابق اللفظ وفي هذا أو ذاك فإن المرء على خير في حياته، فقد نهى النبي ﷺ بقوله: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ولكن يسأل الله العافية» والحق أن بقاء الإنسان في الدنيا يعطيه فرصة التوبة والإنابة والرجوع إلى الله في السراء والضراء، وينعم برؤية مالم يرَ ويسمع ما لم يسمع، وهناك شيء مهم في الحياة وهي مقارنة الماضي بالحاضر في شؤون الحياة فقد جد في نصف قرن مالم يكن في الحياة ولا يتصوره إنسان، أذكر أنه في عام ١٣٧١هـ قال أحد الناس: سيأتي زمان ترى المتكلم البعيد على جهاز الراديو ولما بعد تعرف أن أسمه التلفاز أو الرأي، وغير بعيد أن يجّد في

الحياة أكثر من ذلك، وعلى العموم فإن أسباب الموت قد كثرت لاسيما في حياة الأمم المتحضرة بأصناف الأمراض، وتنوعات الحوادث وأسباب المأكل المصنع بالكيماويات، وتغذية الحيوانات والدواجن بغير غذائها الطبيعي فكان ماهو محقق من قول المصطفي ﷺ : (تداعت علينا الأمم) ومصانعها ومنتوجاتها فهي في متناول الجميع حتى أصبحت الكرة الأرضية كبيت الأسرة الواحدة يرى البعيد ويسمع كما يرى القريب ويسمع، وقد تنوعت أجهزة الإتصالات بما لا يخطر بالبال ولا يتصوره الخيال من هنا كان ألم الأمم ومصائبها متقاربة متشابهة ولله في خلقه شؤون.

وسؤالاً يخطر بالبال؛ هل بعد الموت حياة؟ الجواب نعم هي حياتان: حياة في الدنيا ببقاء العمل وأثار الحياة الجسدية مع الروح في الدنيا فالعلماء أحياء وهم أموات وأساطير التواريخ أحياء بذكر خيرهم وشرهم، والعمر الحقيقي هو ما يخلد للإنسان من أعمال كان قد عملها في حياته لتبقى مرآة ينظر فيها الناس ونبراساً للأجيال كيف كان هذا وكيف يكون.

من معالم الحضارة الإسلامية في الهند ما يسمى تاج محل (أي محل التاج وهو بنية على قبر الملك وزوجته ولكن فيه من الإبداع الزخرفية ما يعجز عن تقليده مهندسوا العصر، ومنها النقوش الحجرية من ذات الحجر مما جعله معلماً من معالم السياحة في الهند ونحن نعيش مع العلماء والمبدعين عيشنا مع كتبهم ومقالاتهم وما صنفوه في حياتهم ليبقوا معنا أحياء، أما الحياة الثانية: فهي الحياة التي قال الله تعالى عنها ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ وهي الحياة البرزخية ما بين

حياة الدنيا وحياة الآخرة، ومثل الشهداء وإن لم يكونوا في درجتهم من أفنىٰ جسده في طاعة ربه فله أيضاً من حياة الآخرة في قبورهم، في الحديث: «إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار». والمهم في الأمر أن يكون المسلم علىٰ صلة بعمل الآخرة ليبقىٰ حياً بعد موته حياة طيبة وهذا ما أتمناه وأقول: «اللهم أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» والله يتولىٰ عباده الصالحين وهو حسبنا ونعم الوكيل.

جماعة حسين حلمي إيشيق كما سبرتهم

مقدمـــة

الحمـد لله ناصر الحق والصلاة والسلام على سيد الخلق وبعد، ففي حقبة من الزمن قرابة ربع قرن أو تزيد قمت بجولات استطلاعية وبأعمال دينية شملت القارات الخمس كانت عنوان إسعادي حين لقائي بالمسلمين في [illegible] الغربة غربة الزمان وغربة المكان ولكن ينغص هذا بل ويبتر طرق الوصول إليه ما أعرفه ويعرفه الكثير عن من تسمىٰ بالإسلام ودعىٰ إليه ثم هو ينهج منهج الظلال ويستمري الإسلام كمصدر رزق أو تسلط زعامة، هذا إذا سلم من نوايا السوء في التضليل والتخريب والعمالة للأجنبي الكافر.

عرفت كثيراً من أرباب البدع والخرافات وأصحاب الطرق والترهات وقد يصارح بعضهم بغايته وسوء طويته ففي عام ١٣٨٧هـ كنت عند شيخ تيجاني في أجيجي ضاحية من ضواحي لاجوس عاصمة نيجيريا الفيدرالية فأتىٰ جندي إلىٰ هذا الشيخ يطلب منه الدعاء وقد أُمر عليه ضمن المقاتلين في شرق نيجيريا أيام محاولة الإنفصال، فقال الشيخ للجندي: كم معك من النقود؟ فأخرج الجندي ما معه وسلمه للشيخ بتذلل وخضوع وافتقار فأخذ

الشيخ قلما وكتب في ورقة صغيرة «لا إله إلا الله» ثم كتب في أخرىٰ «محمد رسول الله» فجمعها وأمر الجندي أن يضعها في جيبه وقال اذهب يا بني فلن تحارب إن هاتين الكلمتين لا يتفارقان. فبعد انصراف الجندي المسكين قلت للشيخ: هل تعتقد هذا من قرارة قلبك فقال: إنهم من الصُم البُكم العُمي الذي لا يعقلون.

ومثل هذا وقع لي في سوريا عام ١٣٨٠هـ في مدينة حلب في مسجد فيه قدم رسول الله ﷺ مزارٌ يتردد عليه من يطلب البركة والدعاء من سادن القدم الشريف فتلطفت للسادن وطلبت منه أن يريني القدم فكشف عن حجر من الرخام الأبيض قرابة الذراع ونصف الذراع وعليه أثر قدم كبير، فقلت يا أخي لعل هذا قدم آدم عليه السلام لأن النبي ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير فنظر إليّ نظرة غضب ثم قال بلهجته الدارجة «حل عنا يا وهابي خلينا ناكل عيش» مثل هاتين الصورتين كثير وكثير في عالم الشرق والغرب ولكن هل بلغت هذه الخرافات حد التنظيم والتخطيط وعالمية العمل وهل هي تقوم علىٰ جهود أفراد أو جماعات؟.. نعم.. كانت في الزمن الماضي تكون هذه الجماعات في إدارة الرجل الواحد ولكن يُحسن نيّة وجهالة التبعية وغموض في أهداف القيادة. يقال إن أحمد التيجاني زعيم الطريقة التيجانية كان ضابطاً في الجيش الفرنسي وهو جزائري ومن معتقد جماعته أن رسول الله ﷺ كتم جوهرة الكمال وصلاة الفاتح حتىٰ ولد أحمد تيجاني وكبر وبعث رسول الله ﷺ خصيصاً للشيخ أحمد ليعلمه ما كتمه عن الناس وهي أفضل عندهم من القرآن الكريم ومنها: اللهم صلىٰ علىٰ سيدنا محمد

الفاتح لما أغلق ناصر الحق بالحق والهادي إلىٰ سواء السبيل . .

بلغ التيجانيون شأواً بعيداً في السيطرة علىٰ السواد الأعظم في غرب افريقيا كان آخر زعيم لهم نعرفه الشيخ إبراهيم إيناس الكولخي السنغالي والذي يقول من رآني أو رأىٰ من رآني في جنة الفردوس حقاً يراني ، هذا في المغرب الإسلامي كما وقد أخذت الخرافة في المشرق الإسلامي طابع التنظيم والسياسة ، ففي الباكستان قام حزب علماء باكستان وهم في المعتقد نورانيون زعموا أن رسول الله ﷺ نور ومن نوره خلقت الكائنات بل وخلق وعرش الرب ومن مشهور قولهم «لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك» ولكن الذي أنا بصدده في تحرير هذه السطور من هو من فصيلة النورانيين بل هما صنوان في الجهالة والضلالة . .

ففي عام ١٣٩٤هـ كنت في سيلان وفي كولومبو العاصمة دخلت مسجداً بعد صلاة العصر وقد تفرق الناس إلا شيخاً واحداً معمم بعمامة خضراء كان يجوب المسجد ويتلو ورده فأخذتني منه ريبة من حركاته يرفع رأسه ويخفضه ويلتفت يميناً وشمالاً فعلمت أن هذا من أهل البدع وممن يعتقدون قوله شاعرهم :

لولا العلو الذي في السفل ما سلفت وجوهنا تطلب المرئيَّ بالمقل

لذلكم شرع الله السجود لنا فنشهدُ الحقَ في علوٍ وفي سفل

فالذاكر يبحث عن الله في الجهات الأربع برفع رأسه وخفضه والتفاته يميناً وشمالاً . جلست في ناحية المسجد من غير أن أبادره بالسلام فأتىٰ ليّ

بعد وقت فقال لي من أين أنت فقلت لا أجيبك إلا بعد السلام فسلّم فقلت: أنا من نجد، فشهق شهقه قائلاً: أعوذ بالله نجد قرن الشيطان. فقلت: أنا مُسلم والشيطان موجود في نجد وفي سيلان ومسلمو سيلان ١٠٪ وباقوا أهل سيلان يعبدون الشيطان، فقال: هل أنت وهَّابي، فقلت: إمامي وقدوتي محمد رسول الله ﷺ، هل أنت وهَّابي، فقلت: إمامي وقدوتي محمد رسول الله ﷺ، فقال: عندي كتب صدرت من دار الخلافة الإسلامية بتركيا ثم ذهب وناولني كتاباً عنوانه «الوهَّابية وعلماء الإسلام» فقلت له: إن تركيا اليوم دولة علمانية وليست بدار خلافة إسلامية، أما الوهَّابية فهم يشهدون الشهادتين ويصلون ويصومون ويحبون رسول الله ﷺ. فقال: هل يعتقدون بأن الرسول نور أم بشر، فقلت: بل يعتقدون بأنه بشر ولد من أُنثىٰ وذكر، فقال: أعوذ بالله ألم تسمعوا إلىٰ قول الله: ﴿قل إن ـ ثم توقف ثم قال: ما أنا بشر.

طلبت منه مزيداً من الكتب فناولني عدة كتب باللغة العربية لأنه لا يجيد قراءتها وكانت هذه الكتب من نشر وتوزيع مكتبة إيشيق حلمي ومنذ ذلك العام ولي رغبة أكيدة في الإطلاع علىٰ ترهاته عن كثب ومقدراته حتىٰ سنحت لي فرصة التعرف علىٰ نشاط حسين حلمي إيشيق في عدة سفرات إلىٰ تركيا ودول أوروبا ومنها ألمانيا وبلجيكا وهولندا وفرنسا وبعد الإطلاع علىٰ ما يقوم به من نشاط رأيت من الواجب أن أكتب وأنصح وأقول وأفصح عن مؤامرة هذا الرجل الذي أعمىٰ الله بصره وطمس علىٰ بصيرته.

فبعد هذا التقديم أردفه بأربعة فصول وخاتمة.

الفصل الأول : لقاء وحوار مع القائم على المكتبة المركزية في اسطانبول (مكتبة حلمي إيشيق) .

الفصل الثاني : حسين حلمي إيشيق وشيء من أفكاره .

الفصل الثالث : بيان بأهم ما صدر منه من الكتب باللغة العربية .

الفصل الرابع : تصنيف النشاط الديني لدى الأتراك .

الخاتمة

الفصل الأول :

لقاء وحوار مع القائم على المكتبة المركزية في اسطنبول (مكتبة حلمي إيشيق).

* السلام عليكم؟ . .

ـ وعليكم سلام ورحمة الله.

* ما اسمكم؟ . .

ـ اسمي : محمد إسماعيل[1].

* ما وطنكم؟ . .

ـ من اليمن واسكن السعودية.

* ما مهنتكم ؟ . .

ـ تاجر مزارع أطلب العلم وأحب الاستطلاع . . نعم سل ما بدا لك . .

* متى بدأ نشاطكم في العمل؟ . .

(١) أردت من هذا إخفاء صريح الإسم والجنسية حتى يتم الإستجواب.

ـ بدأ منذ زمن ولكن منذ أكثر من ثلاثين سنة كان نشاطنا في الخارج . .

* بأي اللغات تخاطبون الناس؟ . .

ـ بالغات العالمية العربية والإنجليزية والفرنسية ولغة الألمان ونجتهد في اللغة الرسوية لمخاطبة مسلمي الصين وروسيا .

* هل لكم مراكز في الخارج؟ . .

ـ لا . . ولكن لنا مراسلون كثيرون .

* هل هناك حصر لمن تراسلونهم في الخارج؟ . .

ـ لا . . ولكن انظر هذه الأرم من المكاتبات فهي تعطيك بعض ما نقوم به . .

(وكان على مكتبه رزم من الظروف لعلها حصيلة شهر واحد) .

* ما هو هدفكم من هذا العمل الجاري؟ . .

ـ نقوم بنشر عقيدة أهل السُنة والجماعة .

* ألا ترون أن الشيوعيين والملحدين هم الذين يجب أن تحاربونهم؟ . .

ـ الوهابيون أشد على الإسلام من هؤلاء ومثلهم القاديانية والشيعة وجماعة مودودي .

* لماذا تسمعون الأسماء في الرد عليهم؟ . .

ـ لأنهم يسبون عقيدتنا فنحن نسبهم .

* هل أحد قد صرّح بمسبة أستاذكم . . حسين حلمي؟ . .

ـ لا . . ونحن لا نسمي أحداً بعينه، ولكن ننشر الكتب القديمة.

* ماهذا، بخط الأستاذ حسين حلمي؟ . .

ـ (وقد كتب بخط يده أن الحكومة السعودية حكومة ضالة ومضلة إباحية ويقول إن هذا حق وصدق مطابق للواقع). هذا ما كتبه أستاذنا ونحن لا نقول شيئاً.

* أين تجدون الأنصار في العالم؟ . .

ـ في أندونيسيا والهند والباكستان، كيف افريقيا؟ . . هم يكتبون كثيراً ونرسل لهم الكتب ولكنهم لا يعلمون حقيقة ما نحن عليه إلا البعض.

* هل لكم تنظيم سياسي؟ . .

ـ لا نعلم السياسة وأستاذنا لا يسمح لنا بالدخول فيها.

* هل هناك متفرغ للعمل بهذه المكتبة؟ . .

ـ كل من ترونهم من المتطوعين للعمل (وكانوا قرابة خمسة عشر رجلاً من الشباب ومنهم أساتذة في الجامعة والمدارس الحكومية).

* بلغني أن أستاذكم لا يصلي جمعة ولا جماعة في المسجد فهل أنتم كذلك؟

ـ العمل هنا أهم من الصلاة في المسجد ونحن هنا نصلي جماعة.

* هل لكم بيعة أو طريقة صوفية؟ . .

ـ أستاذنا أخذ الطريقة النقشبندية عام ١٣٧٣هـ بالسند المسلسل ولكننا لا

نلتزم بالطريقة لأنها تأخذ وقتًا طويلاً ونحن ليس لدينا وقت.

* هل تفرقون بين الحكومة السعودية القائمة وعلماء الوهابية أم هم عندكم سواء؟..

- إن الحكومة السعودية هي زعيمة الوهابية ومحاكمها تقول بكفرنا ومن كَفَّرَ مسلماً فقد كفر.

* أقصد.. هل سياسة الحكومة السعودية في نظركم سياسة إسلامية أم هي تهدم الإسلام؟..

- أنا لا أعرف إلا أنهم وهابيون فقط.

* ربما يكون بين الحكومة السعودية والحكومة التركية تعاون ومن هذا التعاون فقد تحتج الحكومة السعودية على الحكومة التركية ما تقومون به ضدهم؟..

- أنصارنا في الخارج كثيرون ويمكن نقل نشاطنا إلى بلد آخر في الخارج مع أن الحكومة التركية حكومة علمانية لا دينية فلا شأن لها بالعقائد والديانات.

* كيف تقول هذا وقد تحكمت في كل شيء حتى أغلقت المساجد ومنعت الآذان بالعربية وتعليم الدين مع قتل العلماء واستهجانهم؟.

- نحن رغم ما حدث في تركيا فإن عملنا يجري منذ زمان حتى في عهد كمال أتاتورك.

* هل أنتم راضون على ما حصل من كمال أتاتورك؟ لا نستطيع أن نصارح

بعداوته وهذه سياسة.

- هذا مجهود ضخم يحتاج إلىٰ أموال طائلة.. أعانكم الله؟.. الله يعين المخلصين وأهل السُنة والجماعة هم المنصورون.

* هل تبيعون كتبكم بالعربية؟..

- لا نبيع شيئاً من كتبنا بالعربية وإن بعنا منها شيئاً فبسعر قليل بل ندفع أجور البريد وهو أغلىٰ من قيمة الكتاب أحياناً.

- تشكرات لزيارتكم..

وقع هذا الحوار في ١٥/٨/١٤٠٤هـ في المكتبة المركزية لجماعة حلمي أيشيق بين من سمىٰ نفسه محمد إسماعيل وبين صلاح الدين أستاذ ومشرف علىٰ مكتبة حلمي أيشيق.

والله ولي التوفيق...

الفصل الثاني:

حسين حلمي وشيء من أفكاره

١ ـ اسمه العقيد / حسين حلمي بن سعيد إيشيق الاسطنبولي.

٢ ـ من مواليد عام ١٩٠٥م تقريباً.

٣ ـ التحق بالدراسة العسكرية وتخرج من الثانوية عام ١٩٢٣م.

٤ ـ كان مدرساً في الكليات الحربية في علم الكيمياء بموجب تخصصه الكيميائي.

٥ ـ كانت فكرة التدين تراوده منذ ١٩٢٣م والتزم بالطريقة النقشبندية عام ١٩٢٦م.

٦ ـ اشتغل بالسياسة فكان عضواً في حزب العدالة ما بين عام ١٩٦٥م إلى عام ١٩٨٠م.

٧ ـ يمتلك صحيفة يومية تصدر باسم تركيا ويعد نشرات دورية بلغات متعددة.

٨ ـ إلتقى حوله أتباع من الجيش وطلاب الجامعات وله جلسات واجتماعات بخواصهم فقط.

٩ ـ يقوم بطبع وتصدير الكتب الدينية المناوئة للدعوة السلفية أو ما يسميه بالحركة الوهابية.

١٠ ـ أَلَّفَ وَكَتَبَ عدة كُتب كما قام بالترجمة لبعضها إلى اللغة التركية.

١١ ـ يقولون عنه أنه يتحدث ويكتب باللغات العربية والفارسية والفرنسية والألمانية بجانب لغته الأصلية قد رأيت خطه بالعربي جيد جداً.

١٢ ـ ذكر نماذج مما كتبه :

أ ـ يقول في كتابه العلوم المفيدة في صفحة ٣٨٤ ما ترجمته يقول : أن الرسول يقول في حديثه تأتي حكومات بعدي تجدونها مضلون عن طريقي وأصحاب هذه الحكومات قلوبهم بيت الشياطين عليكم أن تطيعوا لهم ولو تسلطت هذه الحكومات على أموالكم وأنفسكم ولا تخرجوا عليهم واصبروا وعليكم بالعبادة ولو اضطررتم اخرجوا خارج المدينة إلى الجبال وتحملوا الصعوبات، وفي نفس الكتاب يقول : رجال الدين ليس عليهم أن يتدخلوا في أمور الدولة يستغلون الكفار بالطاعة لهم حتى يعيشوا في راحة لو قام المسلمون ضد الحكومات الظالمة يعتبر هذا الشعب باغياً.

ب ـ وفي نفس الكتاب صفحة ١٩٥ يدافع عن الديمقراطية فهي لا تمثل إلا بالعلمانية والعلمانية موجودة في الإسلام لأن الإسلام لا يجبر أحداً أن يؤمن بالإسلام بل يسمى ذمياً ثم يقول هل هناك أحسن من الديمقراطية والعلمانية؟ التي أقرها الإسلام وأمر بها.

جـ ـ وفي نفس الكتاب يهاجم سيد قطب صفحة ١٩٢ والعلماء مثله ويقول أنهم بغاة لأنهم باغون ضد الدولة باسم الإسلام وهناك حديث الرسول (ﷺ) اصبروا إذا لم تقدروا ولو على الظلم.

ويهاجم سيد قطب ويقول: لو قرأ كُتب أهل السُنة ما كان يؤلف هذه الكتب الضالة ويحرفون الإسلام وكذلك المودويي ومحمد قطب كلهم أيدوا الوهابية الضالة فهؤلاء دينهم بمثابة الصفر وعملهم صفر وأخلاقهم تحت الصفر ولذلك لا يستطيعون أن يردوا كبيرهم (السعود الذي يغني في أوروبا ويجاري أعمال الفساد من الزنا وشرب الخمر وهم لا يستطيعون أن يعارضوا هؤلاء بذنوبهم). السعوديون من الضلال ومن ضلالهم أخذهم أجرة من الحجاج.

د ـ ومن كتاب العلوم المفيدة صفحة ١٧٨ يقول: الوهابيون ينكرون الاستعانة بغير الله وهم لا يعقلون ولا يعرفون أن هناك أولياء الله يمكن أن نستعين بهم وهؤلاء الوهابيون الجهلاء هدموا تربة سيدنا الحسين في كربلاء وأخذوا الأموال ما يقدر بالملايين من داخل التربة وفي الطائف أحرقوا وخرّبوا وقتلوا الأولاد واسليدات واستولوا على أموالهم وهناك كُتباً قيّمة مثل البخاري وغيره من الفقه وعلوم أخرى أحرقوا هذه الكتب وأبقوا من هذه الكتب مصحفاً في مكة المكرمة هدوا التراب والقباب ومنعوا التدخين بالنارجيلة وآلات الموسيقى والطرب.

هـ - وفي صفحة ٤٠١ يقول: بعض المضلين كسيد قطب والمودودي ومحمد حميد الله وحسن البنا ومثلهم هؤلاء المغفلون يدرسون مؤلفاتهم ضمن مذهب الضلال مذهب الوهابية ولذلك أصبحوا كفاراً مثلهم وهذا الكلام البعض منه في هذا الكتاب والبعض في كتابه السعادة الأبدية في صفحة ٣٦٠.

و - وفي كتاب نصيحة المسلمين صفحة ٢٥٥ يقول: إذا ارتبط بقلب الولي ارتباطاً تاماً يصل من قلب الولي إلىٰ الله.

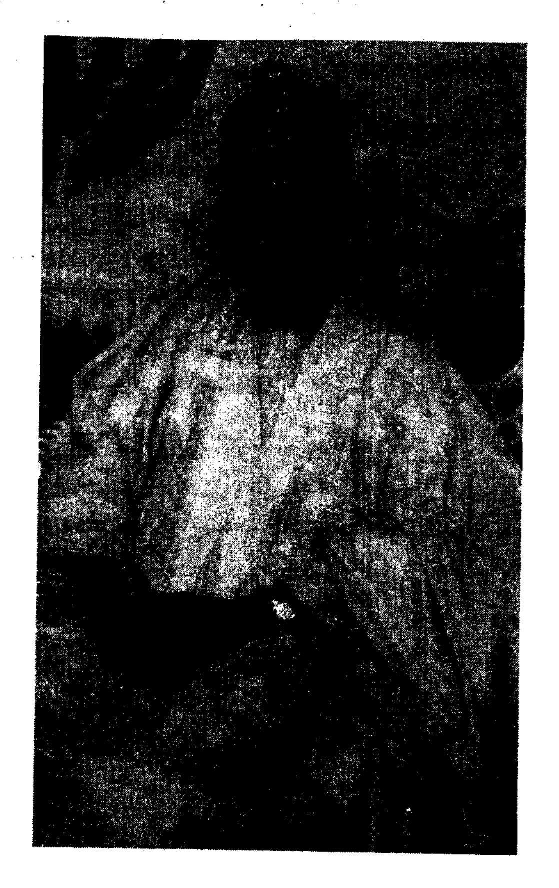
ز - وفي صفحة ١٥٧ من نفس الكتاب يقول: المرشد كالشريط تأخذ من الناس وتعطي إلىٰ الله بمعنىٰ أن الرتبة واسطة بين الله وبين الناس وهو المرشد.

ح - وفي صفحة ١٩٥ يقول: بعض الأولياء أعلاه من الرسل ويوجد الكرامة من الأولياء في حياتهم وبعد مماتهم.

ط - وفي صفحة ١٤٩ يقول: يستهزؤن باستغاثة المسلمين بالقبور ويعتبرونه شركاً مع أن هناك حديثاً يقول: أن الرسول يقول: إذا ضاقت عليكم الأمور فاستعينوا بالقبور.

ي - وفي كتاب العلوم المفيدة صفحة ٤٣ يذكر أن الرسول قال هناك رجل اسمه أو حنيفة يأتي إلىٰ أمتي قبل القيامة ويعمل في دين الله وسُنتي كما يفتخر آدم عليه السلام بي وأنا أفتخر بهذا العالم.

وقد أفتىٰ / حسين حلمي / علىٰ أن الربا في بلاد الكفار يكون



حلالاً للمسلمين وذكر هذا الموضوع بالتفصيل في كتابه السعادة الأبدية صفحة ٤٧٥ وصفحة ٧٥٤ وصفحة ٧٧٠ كما أفتى أن في بعض البلاد الأوروبية يكون الليل قصير والنهار طويل جداً في هذه الأماكن لا يجب عليهم الصوم ولا صلاة المغرب والعشاء والفجر نهائياً لالتباس شفق الصبح وشفق المغرب ولهذا السبب يسقط هذا الواجب.

الفصل الثالث

الكتب التي نشرتها مكتبة حسين حلمي إيشيق بتركيا

اسطانبول وأشهر من نشر لهم

ركّز حسين حلمي علىٰ مؤلفات من كتب ضد الدعوة السلفية من المعاصرين لها أو منهم علىٰ خطه في التصوف والإبتداع ومن أشهرهم :

١ ـ أحمد زيني دحلان : مفتي الشافعية في مكة المكرمة والمتوفي سنة ١٣٠٤هـ. والشيخ أحمد زيني دحلان من ألد خصوم الدعوة وقد تجاوز في الإفتراء والتقول علىٰ الشيخ وتزوير الحقائق، ففي كتابه الدرر السُنية صفحة ٤٦ يقول : والظاهر من حال محمد بن عبدالوهاب أن يدعي النبوة إلا أنه ما قدر علىٰ إظهار التصريح بذلك.

٢ ـ داوود بن سليمان بن جرجيس العراقي وقد استطون نجد وأقام في ناحية من القصيم وكانت مهمته إثارة الشبه ضد الدعوة حتىٰ ظهر له تلامذة يأخذون عنه ومنهم :

عثمان بن منصور النجدي التميمي ومن أشهر كتبه : المنحة الوهبية في الرد علىٰ الوهابية فألجمه العلماء بلجام الحجة وبياض المحجة وممن رد عليه

العالم الجليل المجدد الثاني الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتابه القول النفيس في الرد على ابن جرجيس . وكذلك مفتي الديار النجدية الشيخ عبدالله أبابطين وغيرهما من العلماء .

٣ ـ أحمد بن حجر الهيثمي : وهو وإن لم يعاصر إلا أنه شديد اللهجة عَلَمٌ في الإبتداع والتصوف ومن كتبه الصواعق المحرقة على أهل البدع والزندقة وكتابه النعمة الكبرى على العالم في مولد سيد ولد آدم وغيرها من الكتب التي طبعتها مكتبة حلمي إيشيق .

٤ ـ يوسف بن إسماعيل النبهاني : القاضي الشرعي في بيروت معاصر وله شطحات لا تغتفر فمن كتبه : شواهد الحق في الإستعانة بسيد الخلق وكتاب الأنوار المحمدية في المواهب اللدنية وغيرها من الكتب .

٥ ـ كما قد نشر كتاباً للشيخ سليمان بن عبدالوهاب والمسمى بالصواعق الإلهية في الرد على الوهابية ولم ينشر توبته ورجوعه عما قال رحمه الله .

وفيما يلي بيان بأسماء بعض الكتب التي نشرها وينشرها في العالم بسعر زهيد أشبه بالمجان وبلغات عالمية وبالمراسلة :

١ ـ الدرر السُنية في الرد على الوهابية للسيد أحمد زيني دحلان .

٢ ـ التوسل وجهلة الوهابية تأليف الشيخ حامد المرزوق .

٣ ـ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة لأحمد بن حجر الهيثمي .

٤ ـ البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر المؤلف أحمد الله الداجوي .

٥ ـ حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ليوسف بن إسماعيل النبهاني .

٦ ـ الأنوار المحمدية في المواهب اللدنية ليوسف بن إسماعيل النبهاني .

٧ ـ المنتخبات في المكتوبات لأحمد القادري السرهندي .

٨ ـ علماء الإسلام والوهابية مجموعة أربعة كتب لأربعة مؤلفين .

٩ ـ فتنة الوهابية السيد أحمد زيني دحلان .

١٠ ـ البهجة السُنة في آداب الطريقة العلية الخالدية محمد عبدالله الخالدي .

١١ ـ النعمة الكبرىٰ علىٰ العالم في مولد سيد ولد آدم لأحمد بن حجر الهيثمي .

١٢ ـ المنحة الوهبية في الرد علىٰ الوهابية لداود بن سليمان البغدادي .

١٣ ـ الحقائق الإسلامية في الرد علىٰ المزاعم الوهابية الحاج مالك بن الشيخ داود .

١٤ ـ الفتاوي الحديثية تأليف أحمد بن حجر الهيثمي .

١٥ ـ المعتقد المنقذ سيد شاه فضل الرسول القادري .

١٦ ـ الإيمان والإسلام تأليف من أسموه بالعالم العامل والولي الكامل قطب دائرة الإرشاد غوث الثقلين حضرة مولانا ضياء الدين الشيخ خالد البغدادي .

أما ما ألفه حسين حلمي إيشيق باللغة التركية فهي كالتالي :

أ ـ النصيحة للوهابي حسين حلمي إيشيق صفحات الكتاب ٢١٦ صفحة طبعت الطبعة التاسعة .

ب ـ المُحرِّفون للدين ٢٢٧ صفحة الطبعة العاشرة .

جـ ـ طريق أهل السُنة ٩٦ صفحة الطبعة السابعة عشرة .

د ـ عداوة رجل الدين للدين ١٢٠ صفحة الطبعة السابعة .

هـ ـ كتاب الفقه ١٠٤٤ صفحة الطبعة السادسة عشرة .

كل هذه الكتب بقلم حسين حلمي إيشيق مع ذكر الصفحات وتعداد الطبعات ولو ذهبنا نتتبع آثاره السيئة وأسلوبه في العمل لاقتضى المقام كثيراً من الكلام ولكن فيما أشرنا إليه كافٍ لذوي الألباب والأفهام .

والله الهادي إلى سواء السبيل

الفصل الرابع

تصنيف النشاط الديني

لدى الأتراك داخل تركيا وخارجها :

يمكن تقسيم النشاط الديني لدىٰ الأتراك إلىٰ مجموعات أهمها :

١ ـ المجموعة الأولىٰ :

رئاسة شئون الديانة (هكذا تعبير الأتراك) وهي جهة رسمية تعمل في نطاق تعيين أئمة المساجد والمؤذنين وخصيص بعض المدن بمفتي كما تشرف علىٰ المدارس القرآنية والتي تقدر بعشرة آلاف مدرسة ولها اتصال وتعاون مع الكليات الإلهية ويعنون بها كليات الشريعة وتعدادها ثمان كليات باختيار الأئمة الخطباء من خريجي هذه الكليات وتدفع لهم مرتبات من رئاسة شئون الديانة ومما يلاحظ أن هذه الرئاسة لها نشاط كبير في الخارج بترشيح الأئمة والخطباء فمثلاً في ألمانيا خمسمائة إمام يتقاضون مرتباتهم من هذه الرئاسة كما أن لهم اتصال برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وتعاون محدود بصرف مرتبات لبعض الأئمة ورئاسة الديانة في تركيا وإن كانت حكومية رسمية فوجودها خير كبير اعتراف من الحكومة التركية برعاية

الإسلام والحفاظ على البقية الباقية من العلوم الشرعية والمدارس الدينية ومن حيث الاتجاه العقائدي والمذهبي فهم لا يختلفون كثيراً عمن سواهم في التمذهب في المذهب الحنفي والعقيدة الأشعرية وفيهم من هو على مسلك أهل الحديث في التحقيق وعلى العموم فرئاسة الشذون الدينية في تركيا لا تخرج عن توجيهات السياسة التركية وفي حدود معقولة.

٢ ـ المجموعة الثانية :

الجماعة السليمانية ويدعون أنفسهم بالجماعة الممتازة وهذه الجماعة أسسها وقام على تنظيمها المدعو / سليمان حلمي توناخان / في مطلع الثورة الأتاتركية فقد كان يقيم في دول أوروبا في مطلع دعوته حمل على العلماء وأئمة المساجد وأخذ في الهدم والتخريب ليبني له مجداً على أنقاضهم وحرَّم أن يتقاضى العالم أو إمام المسجد مرتبات أو دعم من الدولة واعتبر العالم مسترزق بعلمه ودينه إذا قبض من الدولة مرتبات أو معونات وهو يرمي بهذا إلى قطع الصلة بين الحكومة وبين العلماء وأئمة المساجد.

ركّز سليمان حلمي على هذه الناحية وزاد فأوجد أئمة وخطباء يصرف عليهم بعد تدريبهم تدريباً فنياً في الخطابة والإمامة وهو يلتقي مع حسين حلمي إيشيق في كل شيء إلا أنه أخذ جانب التنظيم الإداري وكسب الاتباع المنتظمين في سلكه ومن أخطر ما يعتقده السليمانيون الرابطة الشريفة ويعنون بها ارتباط المريد بالشيخ رابطة قلب وعقيدة ومثلوا لذلك بالنفاذة التي يطل معها المريد إلى ذات الله فالنافذة هو الشيخ ولا سبيل إلى الوصول إلى الله إلا عن طريق هذه النفاذة كما يرون ويعتقدون أن الغنى في الشيخ

الغناء بمحبته وتقديسه هو طريق الغناء إلىٰ الله / وسليمان حلمي / هو الشيخ الذي يجب أن تطاع أوامره وتقدس شخصيته إلىٰ حد أن الكثير منهم يحمل صورته ويلصقها علىٰ قلبه في صلواته وخلواته وقد زرت كثيراً من مراكزهم في دول أوروبا وجلست معهم في ألمانيا بالذات فلمست تنظيماً دقيقاً أشبه بتنظيم القاديانيين من حيث الإدارة والمالية وقد فتحوا مراكز أسموها بمراكز الثقافة الإسلامية يتولي مدير المركز الإمامه والخطابة والفتيا وإدارة المركز والغالب في مراكزهم أن تكون متكاملة بالخدمات كوجود مطعم يباع فيه اللحم الحلال ومتجر وصالون للحلاقة ودورات للمياه . . الخ .

٣ ـ المجموعة الثالثة :

جماعة النور وهذه الجماعة أسسها وقام ببذر تواتها العالم المُصلح الشيخ / بديع الزمان سعيد النورسي / إبان مطلع الثورة والشيخ بديع الزمان ممن عرف بذكائه وشجاعته وكان متخصص في دراساته بعلم الفيزياء والطبيعيات إلا أنه نبغ في تفهم معاني القرآن الكريم معاني قد لا يفهمها إلا هو أو خواص تلامذته وذلك في كتابه المسمىٰ الإيجاز في معاني الإعجاز في القرآن الكريم وله ما يزيد علىٰ مائة وعشرين رسالة أسماها برسائل النور شارك في الحرب العالمية الثانية ونفي إلىٰ سيبيريا لمدة عامين تمكن من الهرب ثم اصطدم بسياسة الثورة الكمالية الأتاتركية وقيل أنه سيق إلىٰ المحاكمة ما بين عام (١٩٥٠ إلىٰ ١٩٦٠م) سبعة وأربعين محاكمة وكلها يفوز في المحاكمة فقد عاش في السجون والمعتقلات وأوذي إيذائاً في سبيل دينه

ومبدأه ورغم الإغراء الذي يقدمه له مصطفىٰ كمال / فقد فضلَّ أن يكون كذلك للحفاظ علىٰ دينه ومبدأه وعقيدته .

قام الشيخ سعيد النورسي / بدور عظيم في تثقيف الشباب تعليم الناشئة في وقت محرَّم فيه اقتناء المصحف الشريف فقامت جماعته علىٰ أثره في التنظيم ومتابعة خطوات العلمانية لطمسها وتحذير الناس منها ولا تزال هذه الجماعة في تركيا وخارجها تعد بالملايين ومنها انبثق حزب السلامة في تركيا والبعض منهم انضم إلىٰ حزب العدالة وهذه الجكاعة أعني جماعة النور تعاكس خط جماعة حسين حلمي إيشيق / وكذلك / سليمان حلمي / وهي أقرب إلىٰ مسلك أهل السُنة والجماعة وليس عليهم ملاحظات فيما علمت سوىٰ التعصب علىٰ رسالته وكتبه .

٤ ـ المجموعة الرابعة :

القوميون الأتراك وهذه المجموعة تتجه اتجاهاً وطنياً وإن كان نشاطها الديني ضعيف إلا أنها تتعاون مع الجهات الأخرىٰ من غير تمييز فقد تطلب أئمة من شئون الديانة ومن الجماعات الأخرىٰ علىٰ أمل أن تنهض فكرة القومية التركية علىٰ غرار القوميات الأخرىٰ ولها ميول سياسي خاص فهي تناوىٰء ثورة مصطفىٰ كمال / وترميه بالخيانة وتدمير الحضارة التركية وقد زرت بعض مساجدهم في ألمانيا فما رأيت ما يستدعي الاهتمام والبحث في مبادئهم وأسس أعمالهم وهم أيضاً لا يهتمون بالزائر وليس لهم طموح خارج بني جنسهم الأتراك .

٥ ـ المجموعة الخامسة :

وهم الذين يوالون كل الولاء لحركة الإخوان المسلمين وينتمون إليهم في التنظيم فقد قويت الرابطة بين تنظيم هذه الجماعة وتنظيم الإخوان بعد فشل حزب السلامة في تركيا وبعد أن أداروا وجوههم إلىٰ ثورة إيران فلم يجدوا بضاعتهم فقد زارهم وفود علىٰ مستوىٰ كبير من الساسة الإيرانيين في ألمانيا وطلبوا منهم زيارة إيران فلبوا واستجابوا طامعين منهم التأييد والاندماج في خط الثورة الإيرانية إلا أنهم عادوا بفكرة عن الشيعة والثورة الإيرانية وبالذات إمامها الخميني كانت سبباً لتراجعهم ورفضهم لتأييد الثورة الإيرانية ولهذه الجماعة اتصالات فردية وتعاون شخصي مع أفراد في المملكة أو في الكويت وهي أضعف الجماعات إمكانية وأقلها قدرة علىٰ الانتاج والابداع .

خاتمة

وحتىٰ يتضح الموضوع جلياً لابد من إعادة عقارب الساعة لما قبل خمسين عاماً تقريباً حيث قامت حركة الاتحاد والترقي وتولي مصطفىٰ كمال أتاترك وإنهيار الخلافة العثمانية أدىٰ ذلك إلىٰ طمس معالم الحضارة التركية الإسلامية وإعلان العلمانية وبتر كل ما هو إسلامي أو يمت للإسلام بصلة تعدي قيام الثورة الشعائر الدينية كمنع الآذان باللغة العربية كما حرَّموا الخط العربي واستبدلوه بالحروف اللاتينية.

وبرزت شخصيات في الميدان منها مؤيده ومنها مناوئه :

١ ـ الحركة المناوئة ضد الثورة العلمانية في تركيا منها ما هو مسلح أعلنوا حمل السلاح حاربوا بها الثورة ومنها ما هو تربوي وتثقيف وتعليم وسرية الكراهية للأعمال العلمانية الكافرة قام بالحركة الأولىٰ أعني الحركة المسلحة الشيخ / سعيد البيراني / في شرق الأناضول وأعلن عداءه المسلح للحكم والتف حوله بقية من الجيوش العثمانية كما قامت قبائل الأكراد بتأييده علىٰ المقاومة فنشبت الحرب بين الثورة والجيش المناوىء لها انتصر فريق المسلمين في المرة الأولىٰ ولكن جيش الثورة أعاد التعبئة فحمل علىٰ المسلمين وانتصر عليهم وقبض علىٰ

الشيخ / سعيد البيراني / ومن معه من القواد وأعدموا عام ١٩٢٧م وبهذا انتهت الحركة المسلحة ضد الثورة الكمالية، أما التثقيفية والتوجيه السياسي الديني فكان الرائد لذلك الشيخ / بديع الزمان النورسي / والذي رفض الاشتراك في المقاومة المسلحة ضد الثورة حيث اتخذ منهج التعليم والتربية ومحاولة فضح العلمانية والتخفيف من شرها تجاه الناشئة الإسلامية فنجح الشيخ بديع الزمان في خطته وبقيت مدرسته على الوجود ومنها انبثق حزب السلامة ولا تزال هذه الحركة تؤتي أُكلها في تركيا وخارج تركيا، يعتبر الشيخ بديع الزمان النورسي مجدداً ومصلحاً وإماماً، كتب مائة وعشرين رسالة سماها رسائل النور وقد ابتلي بلاءً في السجون والمعتقلات حتى قيل إنه سيق إلى المحاكمة مابين (١٩٥٠ إلى ١٩٦٠م) سبع وأربعين محاكمة، وللشيخ بديع الزمان النورسي / أتباع بلغ بهم الغلو في رسائله ومؤلفاته إلى حد التقديس والتعظيم.

٢ـ الحركة المؤيدة وتتمثل في شخصيتين قياديتين هما : حسين حلمي إيشيق وسليمان حلمي توناخان / أما الأول فقد كان في الجيش برتبة عقيد وكان مشتغلاً في التصوف على الطريقة النقشبندية كما كان بارزاً في جيش كمال أتاترك / حيث قام بالتدريس في الكلية العسكرية حتى أُحيل للتقاعد عام (١٩٦٠م) وقد أخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ عبدالحكيم الأرواسي / مابين عام (١٩٢٩ إلى عام ١٩٤٣م) تبنى حسين حلمي أسلوب النشر والدعاية ضد الحركة السلفية وتجنى على

كثير من معتقد أهل السُنة والجماعة بل وعلى الأحكام التشريعية ونصب نفسه إماماً ومرجعاً للفتيا والتف حوله من الضباط الجهلة من أعطوه حق التمثيل ومازال على قيد الحياة كبير السن يصدر تعاليمه وتوجيهاته للمريدين وأنصاره على ما بدَا له.

أما سليمان حلمي فقد خط لنفسه مدرسة في التخريب والتضليل فألَّب على العلماء وأئمة المساجد والخطباء ومن مبدأه فصل الأعمال الدينية عن الدولة بأي شكل من الأشكال وسليمان حلمي / ليس من أهل العلم وكان مقيماً في أوروبا مع أسرته النازحة من تركيا وبعد قيام الثورة قدم من أوروبا وأسس الجماعة السليمانية وتدعي نفسها بالجماعة الممتازة وهي تلتقي مع حسين حلمي في كل شيء إلا أن الأول أخذ جانب الإعلام والتشهير والثاني أخذ جانب التخطيط والتكتيك وتربية الجيل وكلا الحركتين تمتلك إمكانيات ضخمة يتحير المرء عن مصادر هذه التمويلات.

هذا ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يأخذ بأيدي الصالحين المصلحين لما فيه الدنيا والآخرة وصلى الله على محمد وسلم تسليما..

جماعة التبليغ كما عرفتهم

تقديم

الحمد لله القادر على كل شيء ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه الهادي لخير السنن وبعد، .

فكان من قضاء الله وتدبيره زيارة ندوة العلماء لكنهو الهند في الثامن والعشرين من شهر شعبان عام ١٤٠٢هـ، وهناك إلتقيت بالعلم الأشم الشيخ علي ميّا المشهور بأبي الحسن الندوي، وجرى التشاور معه في عدد من المواضيع كان منها موضوع جماعة التبلغ وتقصير الدول الإسلامية في مناصرتهم وجدية العمل معهم والتعقل لمبدئهم؟! بل هناك جهات تتخوف من حشود التجمعات الكبيرة وسرية القيادة العامة وعدم وضوح أهداف الجماعة، حيث لا يوجد لهم دستور مدون يحكم عليه أوله من خلال الصفحات وتواقيع الجهات المعنية فيهم. استشرت أبا الحسن في إعداد رسالة تعطي الصورة الواضحة عن حقيقتهم فقال جزاك الله خيراً شهادة حق. عدت إلى دهلي من لكهنود وسكنت فندق لودا على مقربة من نظام الدين المركز العام للجماعة ورسمت خطة العمل وبوبته في ثمانية أبواب

هي :

١ ـ أول لقاء عام ١٣٧٤هـ.

٢ ـ التقسيمات الكلية والجزئية لدىٰ الجماعة .

٣ ـ الموارد المالية والمنشآت الإنمائية .

٤ ـ أبعادها وسجل تاريخها الطويل .

٥ ـ أعلامها ورجالات الجهد فيها .

٦ ـ المناوئون لهم والمسالمون ومن هم؟!

٧ ـ هوية الكاتب وتحديد ملامح شخصيته .

٨ ـ آخر لقاء بهم في رمضان ١٤٠٢هـ.

وليعلم الناظر أن ما كتبته هو أسلوب إنشائي لم يعتمد علىٰ أرقام أو إحصائيات ولم أرجع فيه إلىٰ مراجع وما ورد من ذلك فهو من الذاكرة وإن أغفلت شيئاً يستحق الذكر فلم أحط به وجهلته ، أرجو أن يتجرد القارئ من كل عاطفة وأن يُعمل فكره وعقله في الحكم المطابق للواقع فهذه تجربة ربع قرن تقريباً أقولها شهادة حق وعلىٰ الله قصد السبيل (ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد .

أول لقاء بهـــم

أول لقاء في صيف عام ١٣٧٤هـ في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية يشاء الله أن أكون في عنفوان شبابي مولعاً بحب المساجد والتردد عليها للبحث عن مجالس التعليم فيها، فيقضي الله أن أرىٰ انموذجاً خاصاً من الناس قد خفت أرواحهم ولطفت أجسامهم، تحفهم الهيبة والوقار وتظهر بسمة الرضا والفرح علىٰ وجوههم. أوقفني أحدهم وأنا سائر في الطريق ومع دهشتي بالمظهر واشتياقي للقاء الأخوي لم أملك إلا التجاوب معهم حينما طلبوا أن أذهب إلىٰ المسجد، فهناك تقام حلقة التعليم (عرفت هذه فيما بعد بالجولة التعليمية)، وكان ذلك في وقت الضحىٰ قبيل الظهر وبعد استماع الدرس نهضت قائماً لأواصل سيري إلىٰ حيث شئت، فتقدم أحدهم بكل تلطف واحترام أن آخذ كأساً من الشاي.. فهمت أنهم أرادوا استبطائي في المسجد وفتح باب الحديث؛ نعم لبيت الدعوة وانتظرت الشاي ثم جرىٰ الحديث والحوار...

- من الإخوان؟... نحن من الهند.

- أليس لكم بيوتاً تسكنون فيها؟... لا! نحن نرغب الإعتكاف في بيوت الله، تركنا بيوتنا وأهلينا ونحن خارجون في سبيل الله.

ـ هل لكم منهج تعليم تؤدون فيه الإمتحان؟ . . . لا منهجية للتعليم وليس فينا عالم بل نحن نتعلم ويعلم بعضنا البعض وليس لنا مدرسة سوىٰ حلقات التعليم في المساجد.

توقفت عن الأسئلة لأسمع ما يقولون. قال أحدهم: هذا الشيخ سرحان من بلاد العرب قد خرج للباكستان في سبيل الله، وأنت إذا تريد أن تخرج معنا فيكون هذا أحسن. فقلت ما هي تلك الأصرة بيني وبينكم حتىٰ أسافر معكم؟ . . . قالوا: الإسلام. قلت وما الغرض من السفر؟ قالوا: في سبيل الله لتبليغ الإسلام والدعوة إليه وإصلاح النفس. وبعد شرب الشاي والحديث الطويل طلبوا مني أن أبقىٰ معهم حتىٰ صلاة الظهر وبعد الصلاة يمكن تناول الغداء.

كان هذا أسلوب جذاب، حسن الأخلاق والإكرام والتعليم مما جعل انطباعاً خاصاً لهذه الجماعة في نفسي منذ أول لقاء وأنا في الثامنة عشرة من عمري. أمضيت معهم فترة وترددت علىٰ مجالسهم وسبرت سير عملهم وسيرتهم فكنت كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوىٰ فصادف قلباً خالياً فتمكنا

ومما زاد الإشتياق والرغبة في الإلتحاق بهم والإستفادة من دروسهم ما كنت أسمعه عن سفر العلامة الشيخ سعد بن عتيق إلىٰ الهند وتلقيه العلم علىٰ علمائها وكذلك المكاتبات بين جدنا الشيخ حمد بن عتيق والملك العالم صديق حسن القنوجي ملك بهوبال بالهند، فكانت لي أذن صاغية وقلب يعي ما يراه حسناً وصالحاً وشاء الله أن تنطوي الأيام وتمضي ست سنوات لم

أسمع عن هؤلاء خبراً ولم أسبر لهم أثراً حتىٰ عام ١٣٨٠هـ وبعد عودتي من لبنان للإستشفاء والعلاج الذي إضطرني إلىٰ ملازمة السرير ثمانية عشر شهراً في مصح هملين بلبنان. عدت وأنا أتطلع إلىٰ عمل يروي غليل صدري ويشفي سقيم قلبي مما شاهدته ورأيته في لبنان مسرح الفجور وسوق الكساد للإيمان والعمل الصالح وكانت الجماعة قد أرست أقدامها في الرياض، فحق لي أن أكون أول مناصر وساعٍ في سبيل ذلك فكانت النصرة والمجاهدة.

أمضيت في سبيل ذلك خطوات تعد بآلاف الكيلومترات في بلاد الحجاز ونجدٍ وعسيرٍ ولمنطقة الشرقية والخليج العربي.

وفي عام ١٣٨٣هـ أزمعت السفر إلىٰ الهند في رحلة جماعية تضم عدداً من الإخوة السعوديين لنلتقي بالمركز الرئيسي والقيادة العامة للدعوة والتبليغ كانت رحلة بحرية قطعناها من البحرين إلىٰ كراتشي، لنمر بأهم المدن الرئيسة بباكستان ومن لاهور إلىٰ دلهي. ثلاثة أشهر أمضيناها في تجوال مستمر لتعود بنا الباخرة من بنمباي إلىٰ البحرين ثمانية أيام حسوماً في المحيط الهندي تصطفق الأمواج كالجبال وتبلغ الروح الحناجر وعلىٰ الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل. إلىٰ هنا كان الجو صافياً والإنسجام التام مع جماعة التبليغ ثم بدأت عوامل النقد والملاحظات. لم أكد أبلغ النهاية لمراحل الدراسة في كلية الشريعة حتىٰ تكاثر عندي عدد من الكتب لحركة الإخوان المسلمين مثلاً: الإخوان تحت راية القرآن، مجلة المسلمون الصادرة من سويسرا، رسائل الإمام حسن البنا ثم أخيراً معالم في

الطريق، . عدت أدرس وأفكر . . . أهذه حركة تهدف إلىٰ قيام الدولة الإسلامية والتربية الروحية والبدنية والفكرية وتعالج المشكلات الاجتماعية علىٰ ضوء ما جاء به رسول الله ﷺ ومن هنا بدأ الانحراف والتشكك في خط سير جماعة التبليغ وضلت عقدة الانتقاد والمآخذ علىٰ ما يقوله جماعة التبليغ في حصر التعاليم في أمور ستة وجعل الدعوة علىٰ رتيبة واحدة يرددها الكبار والصغار، كلام مكرر وبيان يعرفه كل أحد حتىٰ من أتىٰ بجديد أصبح خارجاً عن نظام الجماعة ومن المحظور أن يتكلم عالم أو يستضاف وتعطىٰ له حق الكلمة ما لم يكن من الجماعة أو عرف أصول الدعوة، هذا عامل، وعامل اخر أقوىٰ عوامل الإنكار وأشد وطأً ، ذلكم هو ما فهمنا عنهم من تفسير شهادة أن لا إله إلا الله يبدو أن هناك من يتطرف في معنىٰ التوحيد غير التفسير الذي درج عليه السلف وهو العبودية لله كما هو معلوم في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب غير أن من جالسته من مشاهير جماعة التبليغ لا يعطي هذا التعبير أهمية، فقد يتبع التفسير معنىٰ الربوبية إلىٰ حد يفهم منه ترك الأسباب أو تعطيلها أو عدم أهميتها وهذا بحث دقيق لا أخوض فيه غير أن عقدة الإنتقاد ظلت تتردد في ذهني، هذا الانحراف عما عليه علمائنا ودرسناه يناوىٰء دعاة السلفية القائلين بتفسير التوحيد تفسيراً يتضمن العبودية لله حيث أن الخلاف بين الأنبياء وأممهم في هذا المعنىٰ. أما توحيد الربوبية الخلق والقهر والإيجاد فهذا وإن أقربه الكفار لا يدخلهم في الإسلام. أما العقدة الثالثة فهو إرتباطي الوظيفي بجهاز حكومي في نفس

المجال في الدعوة والإرشاد وفي جهة دينية لها إحساس بالمواضيع الدينية والفئات والجماعات ولها موقف محدد رسمياً وتقليدياً من جميع المذاهب والإتجاهات. كل هذه العوامل أدت إلىٰ الإنفصام الجزئي عن جماعة التبليغ وأخذ جانب الحياد في النقد أو التبعية وكنت في جولاتي المتعددة رسمياً ألتقي بالجماعة وأتحدث إليهم، وفق الأصول والخطوط العريضة التي لا تنكرها الجماعة مما جعل الإطمئنان يضمر قلوبهم فيفسحون صدورهم للحديث والإستفادة وأقولها شهادة لله أنهم ينشدون الحق ويبحثون عن سبيل النجاة ويضحون في سبيل ذلك بالنفس والنفيس من المال والوقت، كما وقد انتشر هذا العمل إنتشاراً لم تحظ بمثله حركة من الحركات حتىٰ إنه من الصعب إصلاح المنهج والخطوط العريضة التي رسمت لهم، فقد أصبحت متواترة تواتر الأحاديث التي لا تقبل النسخ ولا التبديل. هذه الديباجة تعطي صورة واضحة للقارئ الكريم عن علاقتي بالجماعة وارتباطي بهم وأهم العوامل التي دعتني إلىٰ التحفظ وعدم الاندماج كلياً، ولعل هذا يكون لغيري من الناس الذين لهم يدٌ في الاستيضاح، وتتبع الحركات والهيئات الإسلامية أو لهم نقدٌ وجرحٌ في مثل هذه الأمور والله أسأل التوفيق والإعانة.

التقسيمات الكلية والجزئية عند جماعة التبليغ

١ ـ أصول الدعوة ستة :

أ ـ الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله).

ب ـ الصلاة ذات الخشوع والخضوع لله عز وجل.

جـ ـ العلم والذكر، علم الفضائل لا المسائل.

د ـ إكرام المسلم.

هـ ـ تصحيح النية في جميع الأعمال.

و ـ الخروج في سبيل الله لإصلاح النفس وتزكية الروح.

٢ ـ تَخرجُ الجماعة فيشتغلون بأربعة أمور :

أ ـ العلم والتعليم.

ب ـ الخدمة لنفسك ولأميرك ولإخوانك.

جـ ـ العبادة. صلاة الفرض وصلاة التطوع.

د ـ طاعة الأمير في المعروف.

٣ ـ ويتركون أربعة أشياء :

أ ـ السؤال .

ب ـ الإشراف .

جـ ـ استعمال حاجة الغير إلا بإذنه .

د ـ ترك ما لا يعني .

٤ ـ ويخففون من أربعة .

أ ـ الطعام .

ب ـ الكلام .

جـ ـ المنام .

د ـ الإستفراغ أو ضياع الوقت .

٥ ـ والدعوة لها أربعة أساليب :

أ ـ جولة عامة : تخرج الجماعة وفيها متكلم ودليل وأمير يتجولون في الشوارع العامة لدعوة الناس للمسجد .

ب ـ جولة خاصة : زيارة الناس في بيوتهم والتحدث إليهم على مختلف الطبقات بأسلوب معروف .

جـ ـ جولة تعليمية : يخرج اثنان إلى الشوارع لدعوة من يجدون لحضور التعليم في المسجد .

د ـ جولة تحصيلية : زيارة من سجل اسمه معهم في بيته لحثه على الخروج

وتسهيل إجراءات سفره وتقوية عزيمته على ما وعد به.

٦ ـ أساليب الحديث مع الناس :

أ ـ أسلوب مع العلماء وهو طلب الدعاء وتبيين الأحوال فقط وإظهار طلب الإستفادة.

ب ـ أسلوب مع الأمراء والمسؤولين : الإخبار عن الأحوال وطمأنتهم من عدم الدخول في ما لا يعني.

جـ ـ أسلوب مع التجار والشخصيات، عرض العمل عليهم ومناشدتهم بلطف وعدم إحراجهم في طلب الخروج وإظهار عدم الحاجة إلى ما في أيديهم من مال أو نشب، وضرب الأمثال للتجار المجاهدين في سبيل الله.

د ـ أسلوب مع عامة الناس : وهؤلاء هم بيت القصيد وعليهم يرتكز العمل فيطالبون بشدة وإلحاح ويقطعون جميع الأعذار والمثبطات التي تمنعهم من الخروج في سبيل الله ومثلهم طلاب العلم الصغار الذين لم يتولوا المراكز والوظائف ولم يتشبعوا بالجاه وحب المظاهر.

٧ ـ الأعمال المقامية ستة : ومعناها الأعمال التي يؤديها الفرد وهو مقيم في بلده وبين أهله.

أ ـ تلاوة جزء من القرآن يومياً على ألا يختم في أقل من ثلاثة أيام ولا في أكثر من شهر.

ب ـ المحافظة على الرواتب وصلاة الوتر والتهجد.

جـ ـ حضور الجماعة في الصف الأول وألا تفوته تكبيرة الإحرام.

د ـ إقامة حلقة تعليمية في البيت يومياً مع الأهل والبنين لدراسة القرآن والحديث من كتب فضائل الأعمال.

هـ ـ إقامة حلقة تعليمية في مسجد الحارة أو الحي الذي يسكنه.

و ـ حضور الإجتماع الإسبوعي والإعتكاف مع الجماعة في المسجد.

٨ ـ نصاب العمل :

أ ـ يطلب من العلماء أربعة أشهر في العمر.

ب ـ أربعين يوماً في السنة.

جـ ـ ثلاثة أيام في الشهر.

د ـ جولة واحدة في أحد المساجد المجاورة في الأسبوع.

الموارد المالية والمنشآت الإنمائية لجماعة التبليغ

يتساءل الكثير عن موارد الجماعة ومن ينفق على هذه الجموع الغفيرة من الناس أهي أمريكا؟ . . . لأنها لا تريد ذكر الجهاد عند المسلمين، وجماعة التبليغ يرفضون الحديث عن الجهاد.

أم هي الشيوعية؟ في روسيا والصين؟ . . . لأنهم لا يرضون عن الإسلام الكامل الشامل في الحكومة والتشريع.

أم رجال التصوف وأغنياء أرباب البدع؟ . . . لأن جماعة التبليغ لا تباد بالإنكار على البدع أو لا تنكر إطلاقاً.

كل تلك تساؤلات كانت تدور في خلد كثير من الناس، والذي يسبر الحال ويعرف الداخل والخارج يتضح له ذلك. حدثني بعض من هم في حاشية الشيخ محمد يوسف كندهلوي قالوا: إن مبدأ الشيخ محمد إلياس في الأموال ألا يتقبل هدية من مال أو غيره إلا بشرط أن يتقدم المُهدي بقدر ما أعطى من المال يعطي من وقته للخروج في سبيل الله ويبذل جهداً أكثر، وبذل الجهد عند الشيخ إلياس أحب إليه من بذل المال ويقبل هذه الأموال من

خواص الجماعة للإنفاق على المركز الرئيسي للطعام فقط . وذكر لي أن تاجراً كان ملازماً للشيخ إلياس وكان يناصره عملياً فيقبل الشيخ إلياس منه الهدايا فلما مات الشيخ إلياس إنصرف لتجارته وكتب إلى الشيخ محمد يوسف خليفة الشيخ إلياس : لا تخف من حاجة فإني سأجري عليك ما كنت أجريه في عهد الشيخ إلياس ، . فرد عليه الشيخ محمد يوسف : والدي كان يقبل منك لأنك تبذل جهداً في سبيل الله وتخرج وتشارك في العمل ، أما وقد اعتزلت العمل واكتفيت بالتجارة فإني لا أقبل منك مالاً ولا أضع يدي في يدك حتى تعود إلى ماكنت عليه . قال : فتأزمت الأحوال وكثرت الديون على الشيخ محمد يوسف حتى أشفقنا عليه فكنا نذهب إلى التجار ونطلب منهم الخروج والعمل حتى يتقبل الشيخ محمد يوسف ما يقدمونه له من الهدايا والإنفاق على المركز العام وبحول الله نجحنا وتقدم كثير من التجار بتضحيات فذة في الخروج والإنفاق ، وينحصر الإنفاق في إكرام الضيوف الوافدين وخاصة من البلاد العربية والبلاد البعيدة مدة إقامتهم في نظام الدين ، أما إذا خرجوا خارج المركز العام فكل على نفقته وكل على حسابه الخاص يشتركون في النفقة كأي جماعة مسافرة متى رغبوا الإشتراك في الطعام وعلى هذا يسير المركز . أما ليلة الإعتكاف فيأتي كل إنسان بطعامه من بيته ويشترك مع إخوانه مع أخذ الإعتبار بالتقليل من الطعام وعدم البذخ والاسراف .

أما المنشآت الإنمائية فهذه لا تخطر لهم ببال ولا يفكر بها أحد من قادتهم . حدث أن سافر الشيخ محمد يوسف للحجاز ، فرغب أحد التجار

أن يحسن مسجد نظام الدين ويزيد فيه وفعلاً زوده بالمراوح الكهربائية وطلي الحيطان بالرخام، فلما عاد الشيخ يوسف عاتبهم على ذلك وقال كيف يجوز لي أن أخرج الناس في الحر وأنا تحت المروحة وأمر بخلع المروحة من غرفته التي كان يجلس فيها واكتفى بالمروحة اليدوية وعلى هذا فإنه لا سبيل إلى التشكك في موارد جماعة التبليغ. ومن ضروب الخيال أن يظن أن الدول الكافرة تمون المسلمين وتدفع لهم ما يعينهم على دعوتهم.

اجتمعنا بالشيخ أبو الأعلى المودودي رائد الجماعة الإسلامية ونحن في مدينة الرياض وسأله أحد الإخوة عن جماعة التبليغ وقال إنهم يكفرونك فقال نحن لا نكفرهم. قال: زعموا أنه يصلكم أموال من أمريكا. فقال ساخراً: لعل ذلك في الطريق. ثم قال المتكلم وهل تظن أنهم يتلقون مساعدة من أمريكا؟. فقال أبو الأعلى المودودي: أمريكا أقل من أن تصل إلى هذا الحد.

وإن من عقم أفكار الجماعة أنهم لا يحرصون على مثل هذه الأمور وليس لها وزن ولا قيمة.

مررت نظام الدين في عهد الشيخ إنعام الحسن وشرحت له ما تقوم به المملكة العربية السعودية من مساعدات للمدارس والهيئات الإسلامية وعرضت عليه التعاون في سبيل إيصال المعلومات الصحيحة لبعض الجمعيات حتى تحظى بالمساعدة والدعم فكانت إجابيته أن قال: كل هذه ماديات. وفي بنغلاديش كنت أحمل مساعدة مادية للمدارس والهيئات الإسلامية على إثر حروب الإنفصال، فحاولت مع أمير جماعة التبليغ

الشيخ عبد العزيز في دكا أن يدلي لي بأي معلومات لجهة مستحقة، فرفض وقال: أنا لا أطلب منك سوى الخروج معنا في سبيل الله. أعتقد أن هذا من جوانب النقص وعدم الإهتمام بمنشآت المسلمين من المساجد والمدارس والمكتبات الإسلامية... إلى غير ذلك. من هذا نحكم حكماً جازماً أن جماعة التبليغ ليس لها أي مورد سوى ما يتبرع به للمركز الرئيسي من هم متفقون معهم في العمل وباذلون أموالهم وأوقاتهم في سبيل الله.

أبعادها وسجل تاريخها الطوي

قد يتصور البعض أن لهذه الحركة أبعاداً في تحديد مفهوم الإسلام في أمور ستة وأنها حركة دخيلة على الإسلام ترمي إلى حصر الإسلام في أضيق معانيه وتسدل بحجاب كثيف على قضايا المسلمين ومشكلاتهم السياسية والاجتماعية بل والعقائدية الصحيحة، . وذلك أنهم لا ينتمون لحركة إصلاحية سياسية ولا يتحدثون عن قضايا المسلمين ولا يد لهم في أي عون مادي أو معنوي في ما يجري من حروب أو كوارث ضد المسلمين، والمثل القائل : «دع ما لله وما لقيصر لقيصر» ينطبق عليهم. هذه أوهام وتخيلات وتصور لغير الحقيقة والواقع. ويمكن أن نوضح وندافع أو بعبارة أوضح نسلط الأضواء على الحقيقة والواقع. جماعة التبليغ اتجهت إلى تكوين شخصية المسلم الفرد في تصوره وعبادته وسلوكه ويُدعى هذا الإتجاه بالتحريك العمومي أي بإصلاح عامة الناس أو عوام الناس غير العالمين وغير المفكرين ومن هم على مستوى التخطيط أو النقد وإبداء المرئيات في المسائل وأنواع الخلاف. وكانت التجربة الأولى للشيخ إلياس في قبائل الميوات والذين يبلغ عددهم قرابة أربعة ملايين فيما حول دلهي. كانت تجربته الأولى مع العمال الذين يفدون إلى دلهي من الميوات. فكان يتلقف العمال

في طريقهم إلىٰ دلهي بعد أن استقر في نظام الدين والذي يبعد عن دلهي عشرة كيلومترات. يسأل العامل: بكم تعمل؟ . . . فيقول بكذا. فيأخذه إلىٰ المسجد ويطعمه ويسقيه ويغسل له ملابسه ثم يجلس يتحدث إليه. يسأل العامل: أين العمل؟ . . . . أنا لا استطيع أجلس بلا عمل، . . . فيقول الشيخ: العمل موجود والأجرة محققة، نحن الآن في عمل؛ إن وقتك هذا ثمين وضيعته عليك فسوف أدفع لك الأجرة كاملة وفي نهاية اليوم عند انصراف العمال من أعمالهم يكون هذا العامل قد أكل وشرب ولبس لباساً نظيفاً وعاد إلىٰ أهله بكامل الأجرة. أخذ علىٰ هذا فترة من زمن حتىٰ تحدث العمال عن شأن هذا الرجل وأخلاقه وكرمه وحبه للخير إلا أنه يأمرهم بدين لا يطيقون تطبيقه مع ضيق العيش وعدم المعرفة وقد يؤدي بالخروج علىٰ التقاليد والأعراف ثم فتح الله علىٰ بعضهم فتلطفوا للشيخ فقالوا: علمنا أنك تريد الخير لنا ونحن لا نقدر علىٰ ترك عيشنا وأولادنا وإذا لم نعمل فلا يكون لنا ذلك وليس من العدل والإنصاف أن تتعب ونحن مرتاحون ولكننا نعطيك من فاضل وقتنا لنسمع ما تقوله فكان لهم يوم في الأسبوع حتىٰ تكاثر الجمع وعُمِر المسجد وانتقل بهم إلىٰ قبائلهم خطىٰ الخطوة الثانية نحو مستوطنات قبائل الميوات والذين لا يدينون بدين. يحكىٰ عن الشيخ إلياس أنه ربما قبّل قدم الرجل الواحد يلتمس منه ساعة واحدة يتحدث معه بأنصاره من أولئك العمال وبعض تلامذته. كان يغزو الميوات حتىٰ لم يمض فترة من الزمن إلا وقد لمع فيهم أنصار وأحباب. أعرف من هؤلاء الشيخ ميراج محراب الذي كان في صحبة الشيخ إلياس وتعلم منه ثم

بصحبة الشيخ محمد يوسف ولا يزال على قيد الحياة وزيراً معيناً للشيخ إنعام الحسن الخليفة الثاني . أعود إلى صلب الموضوع فأقول إذا كان هؤلاء هم وأمثالهم نواة العمل وعليهم قامت أسس التبليغ فهل هناك من غضاضة أن يوجه هؤلاء إلى عبادة الله وحده بدلاً من لاشيء أو عبادة الطاغوت . لقد ظهرت فيهم أخلاق النبوة وسيرة السلف في مواطن العبادة والذكر وتلاوة القرآن والتجرد لله في العبودية والطاعة وحب رسول الله وحب من يحب رسول الله بل هم مثل في العفة والنزاهة وأكل الحلال وترك المخالفات الشرعية من سرقة أو اعتداء . وانقلبت صفحاتهم الشريرة الجاهلة إلى صحائف مشرقة بالعلم والهداية والنور مع اعترافهم الكامل بضرورة حكم الله ورسوله في كل ما قل وجل والعودة إلى كتاب الله في الحكم والأخذ والعطاء .

أما كيف تولدت الفكرة ورسم الخطة فإن التجارب التي مر بها الشيخ إلياس أو مرت به لم تكن على وفق تصوراته في ضرورة الإستجابة للعمل ما لم يكن هناك حاجباً شرعياً أو قضاءً كونياً . الحاجب الشرعي يعود إلى عدم صلاحية الداعية في الأداء والأمانة وصدق العزيمة والتضحية واللجوء إلى الله في قبول الأعمال وطلب الهداية ، وهذا ما يعاني منه الشيخ ، خطر الإخفاق لسوء طويته أو عدم قدرته ولهذا قيل عنه إنه إذا لم يستجب أحد لدعوته بالخروج ذلك اليوم يرى نفسه أنه لم يبلغ عن الله ، لم يذق طعم النوم أو لذة الطعام حتى إن بعض أقاربه يوافقه ظاهرياً مع عدم القناعة إشفاقاً عليه ويخرجون من أجل صحته . وكان يشتد على أصفيائه وإخوانه

حتى قال ذات يوم: أظن أنكم جعلتموني بمنزلة المطرب تعجبون لصوتي وتأنسون بألحاني وتأخذكم النشوة من أحاديثي، ما لهذا اجتمعنا وليس لي حق أن أدعكم في ظل ظليل وآمر الناس بالخروج في حمَّارة القيض ولهيب الشتاء. بدأت الفكرة وقد لا يصح عليها تسمية الفكرة ولكن منهج العمل بسفر الشيخ إلياس إلى مكة المكرمة ومعه بعض تلامذته، كانوا يتذاكرون آداب السفر وآداب الطعام وآداب النوم وآداب المحادثة. وهكذا ظلت كلمة الآداب تقرع في آذانهم وتنفذ إلى أفئدتهم لأنهم يتجهون إلى مكة ولابد أن يلتزموا بكل أدب شرعي وخلق أدبي. ثم من الآداب انتقلوا إلى فضل الأعمال الصالحة ليكون ذلك حافزاً ودافعاً للتزود بزاد التقوى في سفرهم الطويل ورحلتهم الشاقة إلى بيت الله الحرام، فضل الصلاة، فضل الصوم فضل طلب العلم، فضل التلاوة. . . وهكذا.

درجوا على العمل تلقائياً وخطرت خاطرة الفراغ من الأعمال والمشاغل والبعد عن البيئة والمجتمع الذي عاش فيه الإنسان، تكونَ بهذا منهج عمل لدى الشيخ إلياس قوامه مفارقة البيئة والخروج من أجل إصلاح النفس ثم كسب الوقت من أجل الأعمال الصالحة. وأنهى حجه وعاد وهو يؤمن أشد الإيمان بنظرية الخروج وتغيير البيئة ولعله استأنس بالهجرة النبوية والأمر بها أو بالإعتكاف والخلوة والتقلل من الأعمال الدنيوية في مواسم معينة كشهر رمضان وعطل الأعياد كالحج وغيره. هل كان هناك تجارب أو محاولات قبل رسم هذا المنهج؟ . . نعم لقد عمل الشيخ إلياس على عمارة المساجد وعلى فتح المدارس والتعليم فيها إلا أنه لم ير النجاح الذي ينشده

ويدعو إليه ولم يجزم بفساد هذا العمل ولكنه أراد العامة السواد الأعظم فكان العمل ماترىٰ، دعوة عمومية لتحريك العوام وتفهيم الناس أغلىٰ ما يمكن كسبه، حب الله وحب رسوله، فأداء الصلوات وتعليم العلم الضروري مع بيان فضلها والوئام والمحبة بين المسلمين وإخلاص العمل لله وهداية الناس ودعوتهم بالخروج في سبيل الله. علىٰ هذا انطبعت هذه الأصول الستة انطباع الشمع علىٰ المشموع في نفوس العامة وأصبحت المعاملة مع من دخل مع الجماعة في نطاق هذه الأمور فهل من غيض أن نلقىٰ مسلماً بهذه المثابة وهل الصلاح إلا أن يتقي الله في ما يملك وما يأخذ وما يدع، ولنا برهان علىٰ الصفح والتجاوز لهذه الجماعة الخيرة المباركة بتقسيم الصحابة واختصاص سيرهم.

عُرف خالد بن الوليد بالشجاعة قال عليه الصلاة والسلام «خالد سيف الله المسلول». وعرف أبو عبيدة بالأمانة فقال عليه الصلاة والسلام: «وأمين هذه الأمة أبو عبيدة». وعُرف عمر بن الخطاب بالشدة في أمر الله فقال عليه الصلاة والسلام: «وأشدكم في أمر الله عمر». وقال في حقه أيضاً: «إن كان في الناس ملهمون فعمر». وقال عليه الصلاة والسلام في حق معاذ: «وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ». ومع هذا فقال لأبي ذر: «إنك إمرئٍ ضعيف فلا تولين علىٰ اثنين».

هذه الصفات كسبية كانت أو فطرية خولت لكل فرد أن يعمل طاقته وقدرته لخدمة الإسلام والمسلمين ولا يمنع التداخل إذا قدر علىٰ ذلك فيكون شجاعاً أميناً عالماً بالحلال والحرام. فهل قال مسلمٌ: أن المطالبين بحكم الله

ورسوله وتنفيذ شريعته بدع في الإسلام؟ أظن هذا غير وارد قطعاً. إذاً فلندع العاملين وما انقطعوا له ولا نكدر صفواً أو تحلل صفاً. هم كسبٌ للإسلام والمسلمين وعدة لحماية الإسلام. وإن من المؤسف له أن من يناشدون تطبيق الشريعة وإقامة الخلافة الراشدة جعلوها غاية العبودية والطاعة لله عز وجل. حتى تطرف بعضهم في هذا الجانب وفُهم منهم أن الصلاة والصيام والحج وسيلة لا غاية في إقامة الحكومة الإلهية والخلافة الراشدة. وهذا فهم لم يفهمه سلف الأمة، فغاية الطاعة لله هي كمال الحب وكمال الذل له وحده سبحانه والتعبد لله في جميع الأحكام والشرائع من كتاب الله وسنة رسوله في التصورات الاعتقادية وتطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة الجهة المنفذة الحكومة الإسلامية، هذا والله الموفق.

أعلامها ورجالات الجهد فيها

١ ـ الشيخ محمد إلياس بن محمد بن إسماعيل الكاندهلوي : جرىٰ استعراض لبعض ما قام به في أول الحديث، غير أني أزيد فأقول لقد عُرف الشيخ محمد إلياس بعجمته وعدم إفصاحه عن الكلام وتلكئه عند النطق. ولكنه أنموذج في التفكير والجهد ومواصلة العمل في سبيل الله. والزهد والورع والتخفف من الدنيا حمله علىٰ خدمة الإسلام والدعوة إليه، وعامل الوراثة والبيئة الصالحة تحفزه لما عليه سلفه وما يرىٰ ويسمع. فوالده محمد بن إسماعيل وأخوه محمد يحيىٰ النواة الأولىٰ للعمل في نظام الدين حيث بدأ بمدرسة قرآنية فيه. كما كان العالم الشيخ المحدث خليل بن أحمد وابن أخيه المحدث الشهير محمد زكريا خير عون علىٰ إيجاد الحوافز في خدمة الإسلام والدعوة إليه. قيل إنه كان علىٰ جانب كبير من التصوف من غير ارتباط بيعة ولا مشيخة وإن كانت مشيخة الطريقة الجشتية فيهم، إلا أنها مرنة لا تعطي صورة التصوف المتطرف في الغلو أو التفريط.

ولد الشيخ محمد إلياس عام ١٣٠٢هـ وتوفي عام ١٣٦٣هـ. بعد أن ظهرت آثاره وخط سير العمل لمن بعده فكان نظام الدين منطلق الدعاة وتمركز القيادة ومنه وإليه تنطلق الوفود.

حدثني الشيخ ميراج محراب أحد القدامى من الميوات والذي كان يصحبنا عشرة أيام في قبائل الميوات قال: كنا في الخروج مع الشيخ إلياس وكانت ليلة شاتية ومعنا عدد من الأحباب الجدد، وفي نصف الليل قام أحدهم وهو لا يستطيع الخروج خارج المكان الذي بتنا به من البرد فقام وقضى حاجته طرف المكان وعاد الرجل ونام. قال محراب وكان الشيخ إلياس مستيقظاً كعادته لا ينام من الليل إلا قليلاً، نهض الشيخ لينظف مكان الغائط فقمت بقيامه وطلبت منه أن يأذن لي في ذلك فرفض واشتد رفضه وقال هذا عملي فقام بنفسه وأزال الأوساخ وعاد من غير أن يعرف الرجل البدوي من قام بتنظيفه. وقال مرة أن الشيخ إلياس يقول مهمتكم تنظيف الأوساخ المعنوية والمادية، حدث ذات يوم أن دخل سارق فسرق وهرب ولحق به بعض الأحباب وأوسعوه لكماً وضرباً وكان الشيخ إلياس ينظر إليهم فنهرهم وقال لهم لمَ لمْ لا تسألونه لماذا سرق فهل أنتم إلا منظفون ومصلحون، لا ينبغي لكم هذا، أنا أجمع لكم الناس لتطهيرهم وإزالة ما علق بأذهانهم إننا لا نكره صاحب المعصية، فالمعصية كالأوساخ فهل أحد يكره طفله حين يتلوث بأوساخه؟ إنه ينظفه ثم يضمه إلى صدره. فكونوا أنتم كذلك. وليس هذا أسلوب عملي الضرب والإيذاء وحب الانتقام. قضى الشيخ إلياس على الخلافات المذهبية للمشايخ وترك الخوض في مسائل الخلاف الفقهي، وركن التصوف الموروث إلى جانب بترك إظهاره وممارسته جماعياً لكن على انفراد لا ينكر على من يفعله مع عدم الرضى الكامل عن ذلك. وترفع عن السياسة بهجرها واتخاذ أسلوب ترك مالايعني

قاعدة عمل، ووحد بين صفوف ملايين البشر مع شدة التعصب وضيق أفق كثير من مسلمي الهند وسعة الفجوة بين الطوائف الإسلامية كجماعة أهل الحديث والجماعة البريلوية وجماعة ديوبند بل جمع بين قدما التحصيل بالعلوم والمعارف وبين عشاق الحضارة الغربية من خريجي الجامعات العصرية ومن أجناس الطبقات مع اختلاف مشاربهم في الثقافة والتلقي والإدراك.

٢ ـ سيد سردار محمد : عرفته منذ عشرين سنة في السفر والحضر وفي المنشط والمكره. خريج جامعة عليكره بالهند درجة البكالوريوس في الآداب واللغة الإنجليزية أبلى بلاء حسناً في حرب الباكستان مع الهند عند الإنقسام عام ١٩٤٨هـ فشج وجهه ولا زالت رسماً ظاهراً على جبينه وشلت يداه فهما مشلولتان من ضربة حادة قوست كفا يديه.

هاجر إلى المملكة بعد التقسيم وأخذ الجنسية السعودية وجاور بيت الله الحرام ودأب في عمل التبليغ إلى أن توفاه الله عام ١٤٠٠هـ. كان يعمل في أشهر الحج لخدمة الحجاج في بعض السفارات، أحياناً في سفارة الهند وأحياناً في السفارة الباكستانية وأحياناً في الخارجية السعودية بالأجر اليومي. فهو ملم باللغة الإنجليزية الملم الدارس لآدابها وفنون بلاغتها.

أغري بالوظائف فلم يقبل وقال أعمل لثلاثة أشهر في السنة وأتفرغ لخدمة الإسلام باقي الأشهر. لم يتزوج ولم يحدث نفسه لذلك. لم يكن راهباً ولا متبتلاً ولكن جسمه النحيل وهمته العالية لخدمة الإسلام تجعلانه لا يفكر في المتعة أياً كانت متعة الجنس ومتعة المظهر ومتعة المال ومتعة الشرف

والرئاسة، فهو غريب كغربة هذا الدين في غير أوطانه.

سيد سردار محمد لا يلتزم بأصول الجماعة حرفياً ولكن لهجته حب الإسلام وحب رسول الله، بعيد عن التصوف محقق في التوحيد مولع بالمتابعة لهدي السلف. سألته يوماً فقلت رأيتك تعمل أشياء كثيرة من السنن ولكن لم أراك تصوم ثلاثة أيام في الشهر فلم أرهُ بعد ذلك إلا صائماً لها وزاد فكان يصومها في الحضر والسفر والمرض. كانت صحته في انحطاط فوزنه لا يربو على ثلاثين كيلو جراماً أو خمسة وثلاثين كيلوجراماً تقريباً كنت آخذ بساعده وأقول هذا عرجون قديم أي ساق عذق النخلة فيعجب لذلك ويقول راحتنا في الجنة.

قمنا بجولة في خميس مشيط وفي الخميس لم يستجب لنا أحد ولم يلو علينا أي محتف فقال لا تحزنوا فأنتم بضاعتكم غالية، إنها الدرر لا يستطيع أحد شرائه بالثمن البخس. لو كانت البضاعة رخيصة لوجدتم لها من يشتري. قطعناها مشياً من خميس مشيط إلى أبها نحمل الزاد والمتاع على أكتافنا فكان لا يفتر من ذكر الله.

نزلنا بقرية آل عايض شرقي مدينة أبها، نزلنا على عادتنا في المسجد وذهبنا للأمير عبد الله بن عبدالرحمن آل عايض فاستشاط غضباً وأنكر غاية الإنكار نزولنا في المسجد وبيت ابن عايض مفتوح للقادم والمسافر فقلنا هذا أميرنا (نعني الشيخ سردار) فقلب ابن عايض كفه متحيراً متعجباً: أمثل هذا يؤمر ظناً منه أننا من جهة رسمية وأن تولية الأمير من قبل الدولة. الشيخ سردار لا يعرف الكلل والملل ولا يمل من العمل فهو خطيب في مقام الخطابة

أستاذ في الدرس والبحث والإفادة، خادم لإخوانه ولنفسه في أدنىٰ معاني الخدمة متورع غاية الورع في مأكله ومشربه حتىٰ يدع المشتبه خشية الحرام بلغني خبر وفاته فسكبت قطرات من دمع من محاجر تشح بها عند الأزمات ولكنها الرحمة وصدق رسول الله «العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي الرب يا إبراهيم» رحمك الله يا سردار والله لأنت أبعد عن الشبهات وأصدق لهجة وأصفىٰ ضميراً من كثير ممن يتنطع بالدعوة وهو كلٌّ عليها، أنت مجهول في عالم البشر لأنك لم تعمل لهم، فأنت تعامل ربك، وعنده تلقىٰ جزاءك. ليس المقام مقام رثاء ولا إظهار محاسن ولكن نموذج في العمل والتضحية والفداء والدأب علىٰ خدمة الإسلام في حدود معرفته وما وهبه الله من طاقة وفهم.

ضمن ذات يوم مجلس شورىٰ أعلىٰ في جده، بحضور الأمير العام للجماعة الشيخ إنعام الحسن والشيخ محمد زكريا والشيخ سعيد خان وعدد كبير من أعيان وعلماء الجماعة، فكان سردار آخر من يتكلم وفي رأيه الفيصلة وعليه ينطبق المثل «قطعت جهيزة قول كل خطيب». أمير الجماعة في المملكة هو سعيد خان ولكن سردار هو البطارية ومولد الطاقة للموتور، رحمك الله ياسردار، عشرة عشرين سنة أمضيناها معاً في محبة الله ورسوله، لا نسب ولا حسب ولا مال وحدة الإسلام فوق كل اعتبار. علىٰ مثل هذه النماذج المستوره المكشوفة سار العمل في جبال غامد وزهران وعسير وجيزان ونجد ونجران، وكسب آلاف البشر، إما بالموافقة أو بالمناصرة ﴿وقل اعملوا فسيرىٰ الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

٣ ـ الشيخ يوسف بن عيسىٰ الملاحي : لم أر عالماً من علماء المملكة تشبث بجماعة التبليغ وهضم طريقتهم مثل الأخ الشيخ يوسف الملاحي، وإن لم يكن من العلماء الرسميين، إلا أنه أستاذ في معهد الرياض العلمي وخريج كلية الشريعة لعام ١٣٧٩هـ وخطيب مسجد جامع مشهور في الرياض بشارع الوزير. اشتغل في أيام الطلب بمصادمة القوميين العرب وكانت دعوة القومية العربية في أوج نشاطها وحدة شراستها من العرب السوريين والمصريين والزعامات العربية علىٰ العموم، ترضىٰ عن هذا النتن وتدعو إليه وكاد صوت الوحدة الإسلامية والانتماء للإسلام بتاريخه المجيد وبطولاته الفذة يخبو لولا وجود شباب مثل الشيخ يوسف الملاحي . . .

أستدرك وأقول كاد يخبو في منطقتنا والمحيط الصغير الذي نحن فيه. وقفوا حجر عثرة في طريق صفصفٍ مع كل الدارسين والمدرسين والقادة وظل به الأمر في كفاح مستمر إلىٰ أن عزل عن الخطابة وهدد بالتبكيت حتىٰ كاد أن يدع ما لله وما لقيصر لقيصر، وأصابه شبه يأس وقنوط إلا من رحمة الله، لهذا كانت استجابته لجماعة التبليغ تدفعه لمواصلة الكفاح ولكن علىٰ نمط آخر يرىٰ أن إصلاح النفس وتقوية الإيمان منطلق الأعمال وما يقوم به القوميون من نظريات واعتبارات وراثية لا أرضية لها في العمل الصالح لا يمكن أحد أن يستجيب للدعوة ما لم يكن عنده استعداد فطري وتأثير خارجي، فالاستعداد مهيء بالطبع لكل ذي عقل وبصيرة أما التأثير الخارجي فهذا يكون بالمجالسة وإصلاح البيئة والمجتمع الذي يتكيف فيه الفرد وهو ما يعرف عند علماء الإجتماع لأن من خرج علىٰ ظاهرة اجتماعية

استحق العقاب والإنكار، من هذا صادفت دعوة التبليغ والخروج وإصلاح البيئة هوى في نفس الشيخ يوسف فانساب معها انسياب الماء الزلال على صفحات المنحدر، سيما وأنها لا تتعارض مع أحد ولا تصطدم بحيطان أرباب المكر والخداع والنفاق من القوميين العرب وغيرهم. قام الشيخ يوسف بالدعوة على خط الجماعة وتضاءلت عنده أهمية مقاومة القومية بل ازداد قناعة بالعمل عند محبة الناس له ومحبته للناس في الاجتماعات العامة والوعظ والإرشاد في محيط العامة ومع البسطاء من المحبين للخير الجاهلين أغوار الجدل وحدة المناقشة، فكان الشيخ يوسف الملاحي الرائد الأول لجماعة التبليغ في الرياض، لذا أخذ يدافع عن كل شبهة تعلق في أذهان إخوانه وزملائه بل اتبعه بعض التجار من أهالي القصيم ومحبي الخير لهذه الطريقة، فمونوا مركز الجماعة في سكيرينة بالأرز ومتطلبات الوجبة الأسبوعية في المركز العام على غرار ما هو موجود في نظام الدين بالهند. وكانت الاجتماعات تعد بالمئين من البشر وبتشجيع من الوافدين من أطراف المعمورة خاصة من الكويت ودول الخليج والباكستان. سار العمل في الرياض سيرة حسنة حتى تكاثرت السباع على خراش شذ طائفة منهم بدعوى إيجاد دعوة على غرار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآخرون نهجوا منهج البحث والتحقيق مع قصر باعهم وبعدهم عن مجال الاجتهاد، وتلاشت القيادة، وكان من المحذرين عن الإنقياد الكلي لجماعة التبليغ كاتب الأحرف لما علق في ذهنه من قصور دعوتهم وعدم شمولها للتصورات الاعتقادية الصحيحة والتشريع الإسلامي الكامل وعدم ذكر

الخلافة أو الدولة الإسلامية بترك الجهاد والعمل من أجل قيامها. فتّ في عضد الشيخ الملاحي وتلفت عن يمينه وشماله فعاد وانشغل بنفسه وترك كل يعمل على شاكلته وربك أعلم بمن هو أهدى سبيلاً. ولكنه يحفظ لهم الود ويثني عليهم في كل مناقشة ويتمنى أن يعود اللبن في الضرع وهيهات طغت الشيوخة وتضاءل الطموح وتفاقمت المشاغل فهو اليوم عابد صالح متجه إلى الله يتذكر ماضيه فيأنس به ويحدث نفسه بالعمل فلا يجد لذلك سبيلاً.

زار الشيخ يوسف الهند والباكستان مراراً والتقى بالقيادات ولكنه لم يكتشف عيباً ولم يبح بسر فضيحة رغم ما في أفراد الجماعة من مخالفة عن جهل وتقليد.

أخي يوسف أخو حميم وصديق وفي، تعجبه الصراحة ويكره التعقيد. لا يرى في الدنيا خيراً إلا العمل الصالح. وله مواقف مشرفة وصراحة واضحة مع كل من يناقشه أو يجادله وفق الله الكل لكل خير وأحسن الله له ولنا عاقبة الدارين.

٤ ـ الشيخ محمد يوسف بن الشيخ محمد إلياس بن اسماعيل الكاندهلوي، التحق بالدراسات في سهارنفور بجامعتها الشهيرة وكان فهمه في التحصيل أكثر منه في الدعوة والتبليغ، وبعد وفاة والده اضطر لأخذ البيعة وتولى القيادة فكان الخليفة الأول. قال الشيخ يوسف إن والدي وقف على قمة الجبل وقال للناس: الحقوا وأنا أقف على سفح الجبل وأقول للناس اصعدوا أخذ الأمور بقوة وكان أبعد في تفكيره وأقرب إلى نهج التحقيق مع إعجابه الكلي بوالده وما قطعه من المسافات في تحقيق الغايات ولكنه أتى

بطور جديد، فألف كتابه حياة الصحابة في ثلاثة أجزاء ورسم معالم العمل في صورة حكايات الصحابة وهو كتاب تاريخي قصصي جعله الدعاة زاد مسيرهم والقوة الدافعة لهم على العمل والتضحيات ثم أشار على ابن عمه الشيخ المحدث زكريا بن يحيى بن إسماعيل الكاندهلوي أن يصنف كتباً في الحديث باللغة الأردية والعربية للأنصبة التي يجب أن يتشبث بها الدعاة الخارجون في سبيل الله مع مرعاة الإقتصار وعدم الدخول في مسائل الخلاف، وصنف كتباً عدة طبعت وانتشرت بينهم، فكانت هي المراجع فيما يقرؤنه ويتداولونه والشيخ زكريا وإن كان من علماء الحديث إلا أن مسلكه الحنفي والتزامه بالطرق الأربعة أخل بتحقيقه وفتح عليه باب النقد لدى المحققين من علماء الحديث.

حدثنا الشيخ يوسف رحمه الله قال: كانت فتنة الإنفصال بين الهند والباكستان سنة ١٩٤٨م فكنا نخرج الجماعات أفواجاً أفواجاً رغم حظر التجول ورغم المخاوف التي تنتاب المسلمين، ولكننا نلجأ إلى المساجد ونحي أعمال المساجد بالذكر والتلاوة والتعليم حتى انفرجت الكربة وتقشعت سحابة الظلمة بالتفتيش الدقيق على المركز للبحث عن وثائق أو سجلات عمل أو ثروة من مال لتموين هذا العمل. كما وقد كلفت الحكومة عدداً من الجواسيس علينا بكل دقة فكانت نهاية تقاريرهم تشير إلى أن هؤلاء الناس يتكلمون عما في السماء وليس لهم علاقة بما في الأرض، وعن تسميه الجماعة بهذا الإسم قال: لم يكن هناك اسم معين لجماعتنا بل كانوا يخرجون فيقولون نخرج للتبليغ، فسموا بذلك جماعة التبليغ، وبقي عَلَمٌ

علينا ونحن لم نؤيد ولم نرفض، حيث إنه لا خيار لنا في ذلك، ولو كان لنا في ذلك خيار لكفانا ما سمانا الله تعالىٰ به ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾.

لازمنا الشيخ يوسف بن الشيخ إلياس ثمانية أيام في نظام الدين، وكنا نجتمع به عصر كل يوم وصباحه، أما الصباح فعلىٰ الإفطار، وأما العصر فعلىٰ شرب الشاهي، وهو يتحدث في هذه الأثناء. كان بمعيتنا عدد من الأخوان السوريين، أذكر منهم أخانا الشيخ سعيد طنطاوي أخو الشيخ علي الطنطاوي المشهور، وكان الإخوة السوريون أكثر جدلاً وأقدر علىٰ النقاش من السعوديين، فكانت الإستشكلات ترد علىٰ الشيخ يوسف فيردها برفق وفي صورة حكاية أو قصة واقعة. عندما سئل عن موقف الدعوة من حرب الشيوعية، قال الشيخ يوسف: جاء لوالدي شيوعي فقال: أنا أطلب المناظرة، فلي علىٰ الإسلام انتقادات وعلىٰ جماعتكم بالذات. فقال الشيخ إلياس: سنفعل ما تريد ولكن قبل أن نعقد المناظرة أطلب منك أن تخرج مع جماعتنا ثلاثة أيام وهناك يمكن أن تسجل زيادة ملاحظات علينا تكون هي محل النقاش والجدل، فوافق الرجل علىٰ ذلك وخرج مع جماعة البدو وهم لا يعرفون من صاحبهم ولا قصده في الخروج. فعاملوه معاملة المسلم للمسلم وعاشروه معاشرة كانت هي مفتاح هدايته وتوفيقه ومما عاملوه به أنهم كانوا في ليلة شاتية، والبرد قارس، وكان الرجل يتقلب جنباً إلىٰ جنب من شدة البرد، فقام أحد الأحباب من نومه وأخذ غطاءه فسجىٰ به صاحبهم، وقام يصلي صلاة التهجد حتىٰ أصبح الصبح وصلوا صلاة الفجر. فكان لهذه العملية أثرها الفعلي في نفسه. عاد بعد ثلاثة أيام والتقىٰ

الرجل بالشيخ إلياس وسأله عن الأحوال، فقال الرجل: أنا أستحي أن أقول شيئاً، واعتذر عما قلته، ولي رغبة في الخروج مرة ثانية لوقت أكثر. قال: فخرج مراراً مع الجماعة وزالت كل الشبهات وأصبح داعية معروف بيننا الآن والحمد لله. قال الشيخ يوسف: طريقتنا في الجدل لا تنبني على المنطق والفلسفة لذكر المقدمات والنتائج ولكن واقعنا العملي هو الذي يسوغ لنا الإجابة وبلا تكلف ولا يجوز أن نقول أكثر مما نعمل.

دورنا معه في تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله. سأله أحدنا فقال: لقد شرحتم توحيد الربوبية تفسيراً كاملاً بكل وضوح ولكن لا نراكم تعرجون على توحيد الإلوهية والعبادة على نحو ما درج عليه سلف الأمة. قال: إن التوحيدين متلازمان وإن الحاجة تدعو إلى إظهار صفات الله تعالى وربوبيته. فإننا في حالة أشبه بالحالة المكية التي نزل فيها الوحي على رسول الله ﷺ والناس يعبدون الأصنام، ولا أعتقد أن شخصاً يقر بربوبية الله إلا أذعن له وانقاد ورغب إليه في كشف الملمات وقضاء الحاجات. كان جواباً مقتضباً لم يقنع به السائل. الشيخ يوسف بن الياس يعد في مصاف العلماء وممن لهم نظرة ثاقبة في إدراك الأمور وتصور نتائجها حتى كان يقول: ويكرر إذا قام العرب بهذا العمل فهم الأمراء ونحن الوزراء، وكان يقول: أي نقص فينا فهو بسببكم أنتم العرب، ويضرب لذلك مثلاً لرجل يأمر أولاده لإحضار كوب ماء، فيقوم الصغير فلا يقدر على حمله، فينكسر الكوب، فاللوم على الإبن الكبير لأنه القادر على حمل الكوب وخدمة أبيه. عاش الشيخ محمد يوسف حتى عام ١٣٨٤هـ وتوفي في الباكستان

على إثر خطاب كان يلقيه في حشد كبير من الناس، قيل أنه كان يخطب بحماس وباندفاع قرابة ست ساعات. أصيب على أثرها بنوبة قلبية. لفظ آخر أنفاسه مودعاً ومعلماً طرق التضحية ونقل جثمانه إلى الهند ودفن بجوار والده في مركز نظام الدين، رحمة الله تعالى عليه، وتولى من بعده الشيخ إنعام الحسن، ورغم وجود ابن الشيخ محمد يوسف المدعو محمد هارون، ورغم أن محمد هارون في كامل قواه ومداركه ويمكن أن يقوم بعبء الإمارة ولكن مجلس الشورى رأى أن الإمامة في الدين لا تكون بالوراثة. والشيخ إنعام الحسن من تعداد العلماء ولكن يفقد الحماس الذي كان يتمتع به الشيخ محمد يوسف والقوة البدنية التي حظي بها محمد يوسف، إلا أن العمل يتوسع تلقائياً بكثرة الأنصار والأحباب مما جعل الشيخ إنعام الحسن يجوب العالم في اجتماعات عامة في أوروبا وأفريقيا ودول آسيا، وهذا لم يفعله الشيخ محمد يوسف، فقد كان ثقل الشيخ محمد يوسف على المركز الرئيسي في الهند ثم في الباكستان فقط، هذا والله ولي التوفيق.

المناوئون لهم ومن هم

لا أعتقد أن هناك مناوئة بالفعل لمركز التبليغ من أي جهة شعبية كانت أو حكومية، غير أن النقد وإبداء الملاحظات من جانب الجماعة الإسلامية وحركة الإخوان المسلمين أكثر تسلطاً وأقدر على التدليل على تخلي جماعة التبليغ عن ركب الجهاد ومقاومة الطاغوت على حد تعبيرهم. وإن وسائل التبليغ لم تستوف جوانب الإيضاح والتفسير الكلي لمفهوم الإسلام ولا لمنطوقه ومن هنا فهم يرون أن جماعة التبليغ حركة صوفية قاصرة عن بلوغ فهم حكمة التشريع فضلاً عن أن يعملوا على تقييم الحكومات غير الإسلامية والتي تزعم أنها مسلمة بجرح أو تعديل، ولكن البعض من الإخوان يرون أن حركة التبليغ روافد للعمل الإسلامي وقاعدة شعبية صلبة لتقبل تعاليم الإسلام ويقول بهذا الرأي من فشل في تطبيق الشريعة عندما اصطدم بالواقع، فالشعوب إذا لم يكن لديها استعداد فطري وتقبل طبيعي لتعاليم الإسلام، فالدولة لا يمكن أن تراقب كل شيء ولا أن تحاسب الضمائر وتتطلع على السرائر ويضربون لذلك مثلاً بالأمانة، يدعو للأمانة الوجدان والضمير الحي، فيأتي السارق أو الزاني ويعترف أمام الحاكم لأخذ حكم الله منه. والجاني المعتدي يستغفر الله من جنايته ويرى أن إتمام التوبة رد المظالم والندم وعدم العودة لذلك.

فمتىٰ كان المسلمون بهذه المثابة يمكن حينئذ أن يقال للقاضي الشرعي أحكم والحكم لا يكون إلا في ظاهر الأمور. هذا بالنسبة للحقوق العامة وفض الخصومات علىٰ حكم الله وحكم رسوله.

أما النظام السياسي والإقتصادي فذاك أمر دونه الثريا إلا إذا عاشت الدولة الإسلامية في عزلة من العالم الغربي والشرقي وكان لديها اكتفاء ذاتي لضروريات الحياة وملتزماتها ولا تلتزم برباط دولي في الإقتصاد والإنماء والثروة مع أحد. والسياسة أعقد من أن تنساق لحكم الله ما لم يكن هناك فتح ونصر تدين له الدول بالقوة والكبرياء وترىٰ نفسها قاصرة عن العبث بحمىٰ دولة الإسلام والتلصص علىٰ شواطئها، السياسة شبكة أو نسيج من مكر وخداع ودهاء ومصالح تفرض علىٰ أربابها الكذب وعدم الإلتزام بالقيم والمعاني والأعراف، بل هي عامل تدمير لكل معنىٰ فيه إيحاء للدين أو طواعية الله وحده مثل ذلك الاقتصاد علىٰ مبدأيه الإشتراكي الشيوعي والرأسمالي الغربي، كله بلاء ومحن، سلسلة من مشاكل فُرضت علىٰ العالم بفلسفات غربية ونظريات مادية أصبحت هي مدار الحديث وعليها تدور رحىٰ الأموال والاقتصاد في العالم، لا يقولون هذا يأساً أو قنوطاً من رحمة الله ولكن التجارب التي مرت بها الدولة الإسلامية لم تفلح في التخلص من الغرب وتبعيته السياسية والإقتصادية والإعلامية ولن تجد دولة إسلامية أنموذجاً في تطبيق الشريعة وفق ما يراود الإخوان من نظريات وتصورات وحلم وأماني. أصبحت في مهب الريح مع الواقع البشري والكتلة الدولية الواحدة التي لا تتجزء بأقاليم وحدود جغرافية أو جنس أو

لون أو دين. أما الهيئات الإسلامية الأخرىٰ غير الجماعة الإسلامية والإخوان المسلمين فهي هيئات إقليمية محدودة ترعىٰ جانباً من جوانب الإصلاح في المحيط والبيئة، فمثلاً أنصار السنة في مصر والسودان وجمعية أهل الحديث في الهند والباكستان يمكن أن نقول هي الحركة الثالثة بعد الإخوان وجماعة التبليغ ويُدعون بالسلفيين مثلهم علماء المملكة العربية السعودية في نجد وعسير وبعض علماء الحجاز ومنطقة الخليج، لا يفتّون عضد عامل للإسلام بل هم أنصار لجميع المنظمات الإسلامية أياً كان ذلك النشاط ما لم يكن فيه مخالفة شرعية ظاهرة ولا تحزب يُظهر معنىٰ العصبية والانتماء لقيادات مشكوك في اتجاهها الصحيح.

فالسلفيون يركزون علىٰ تفسير التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله ويجعلونه محور أعمالهم ومن ملتزماته العلم واليقين والإخلاص والصدق والمحبة والانقياد والقبول، جعلها بعضهم شروطاً للا إله إلا الله، وعلىٰ هذه الشروط لمفهوم لا إله إلا الله تنطلق أعمالهم وأقوالهم ومقاصدهم علماً بأن وطأت السلفيين علىٰ القبوريين والمبتدعين أشد وأنكىٰ ويرون أنهم الحربة القاتلة لمعنىٰ التوحيد والمتابعة لرسول الله ﷺ ومثلهم أرباب التصوف المتطرفين، كالرفاعية في مصر والتيجانية في غرب أفريقيا القائلون بوحدة الوجود والاتحاد أو بتفضيل الأولياء علىٰ الأنبياء ومثلهم الشيعة فإنه لا انسجام معهم البته مهما قالوا بالتقية وتلونوا كتلون الحرباء. أما غير السلفيين وجماعة الإخوان في مرآة النقد والملاحظة جماعة التبليغ، فلا أرىٰ أحداً يولي للأمر اهتمامه، اللهم إلا في المحيط السياسي.

أعرف أن المملكة منعتهم مرتين؛ الأولى على إثر اجتماع في منطقة الباحة، حضر هذا الاجتماع خلق كثير من الكويت ودول الخليج والهند والباكستان ومصر مما جعل الدولة تأمر بفض الإجتماع لا لشيء وإنما هو التجمهر الكبير على خلاف العادة إلا في الأعياد ومواسم الحج سيما وأن الإجتماع في طرف المملكة، وهناك من أصحاب القرى والبوادي من لا يعهدون مثل هذا التجمع وبهذه الصورة، والمرة الآخرى على إثر الحادث المشئوم؛ حادث الحرم المكي حرسه الله من كل سوء خشية أن يدخل في صفوفهم من رجال السوء وأرباب النوايا القذرة والإتجاهات المنحرفة الضالة سواء السبيل.

أعود فأقول: إن حركة الإخوان المسلمين ومثلهم الجماعة الإسلامية أصبحت مركز تثقيف، فقد زودت المكتبة الإسلامية الفكرية بثروة من الكتب ما كانت في المتناول من قبل، فكتب سيد قطب وفي مقدمتها الظلال، ورسائل الإمام حسن البنا وكتب أبي الأعلى المودودي أحدثت في عالم الأدب والفكر الإسلامي موجة تشبث بها كثير من المثقفين، جعلوها مورد ثقافة ومصدر إقتناع، فكانت في متناول أقلامهم شرحاً وإيضاحاً وتبياناً، والصحافة الإسلامية قربت هذه الأفكار في متناول الرجل العادي.

فالجماعة الإسلامية في الهند مثلاً تصدر ستة عشر منشوراً صحفياً، منها ما هو شهري أو أسبوعي أو يومي، وبعدة لغات: العربية والأردية والتاملية والإنجليزية. أما دور النشر التابعة لهذه الحركة فقد غطت عواصم العالم أو كادت فالمؤسسة الإسلامية في بريطانيا ومثلها في كينيا وقاعدتهما

في لاهور في الباكستان والاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية في الكويت والولايات المتحدة تلفظ بمئات؛ بل وآلاف الكتب على أحسن إخراج وأجمل طباعة وجودة في اللغة. هذه الحركة أشبه ما تكون بالرجل الذي يصف مأدبة طعام وما عليها من شراب ويعدد أصناف المأكولات بلغة بارعة وعرض جميل ثم يقول ولكنها خلف هذا الخندق المتأجج ناراً فهل من سبيل إلى دفن هذا الخندق حتى نصل إلى المأدبة وننعم بلذة العيش ومذاق الشراب؟ إنه من العيب إذا كان الواصف لهذه المأدبة قد جعل عمله هذا غاية ونهاية ومصدر عيش وتسلط زعامة وزعم نفسه رائداً وقائداً مع تخليه عن عوامل دفن الخندق وتحمله لهيب النار وحمل التراب. هذا مع تقديري وإعجابي بالتضحيات التي تقدمها رجال الحركة الإسلامية لولا أن نشوة حب الثورة والإنقلاب على عالم الغرب وأصفيائه حدا بهم إلى الاغترار بالثورة الإيرانية وتسجيلها في سجل الخلود محسوبة على الإسلام والمسلمين مما يدل على عدم الخلفيات لمعتقد أهل السنة والجماعة وكأن الصنم هو الشاه رضا بهلوي وبسقوطه تبزغ شمس الإسلام ويندحر الظلام فالكون مشرق وضاء، وما علموا أنها ظلمات بعضها فوق بعض كفى بزعيم الثورة كفراً وإلحاداً، تصريحاته المتكررة بأفضلية أصحابه على أصحاب محمد ﷺ وأن مقام الأولياء فوق مقام الأنبياء وعصمة أئمتهم وصلاحيتهم للتشريع وتقنين الدين ولكن كما قيل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

كما أن عين السخط تبدي المساويا

علماً بأن الأمر لم يَعُد كما بدأ، فقد تراجع الإخوان والجماعة أو علمائهم وأمعنوا النظر فيما صدر، صرح لي بذلك أبو الليث الصلاحي (أمير الجماعة الإسلامية في الهند) في اليوم الثاني من شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٢هـ وقال: لقد تكشفت لنا نوايا الثورة الإيرانية سياسياً وعقائدياً ونحن منها براء والحق أحق أن يتبع، كما وقد اطلعتنا الصحف الإسلامية على تصريحات من بعض المراكز التي يشرف عليها شباب الحركة الإسلامية في دول أوروبا والأمريكتين مما يدل على اليقظة والتفطن وأن يدور في محور الثورة الإيرانية إنما هو في لباس الإسلام والإسلام منه براء، ولا أصدق على ذلك من مناصرتهم لحركة العلويين في سوريا والتي أبادت المسلمين في حماه وأعلنت حرباً شعواء على الإسلام والمسلمين. ولازلنا ننتظر المزيد والإيضاح عما تتكشف عنه نوايا الثورة الإيرانية ورجالها المتعممون بعمائم الصدر الأول، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والله ولي التوفيق.

هويّة الكاتب وتحديد ملامح شخصيته

حتى لا أبقى مجهول الهوية بين الحركات والمنظمات الإسلامية فأنا سلفي المعتقد إخواني الحركة والمنهج، رباني الإنابة والخشية سلفي بالوراثة والتلقين إخواني بالكسب والتحصيل رباني بالجهد والعبادة لا أخرج على خطة عمل رضي بها قوم في إطار الإسلام ودائرته ولا أزدري بحركة وجهت مهامها للذود عن حياض الإسلام، ولا أتضاءل جهد المقل في إصلاح نفسه حسب فهمه ومقدرته، أنا مسلم أسالم المسلمين حربي أحارب من حارب الإسلام والمسلمين. أكشف الحقيقة عن معتقدي ولا أدين إلا بما صح عندي وعند علماء المسلمين من المحققين ومن أرضاهم في التقليد عما عجزت عن تحقيقه في فروع الدين لا في أصوله، أتخذ المداراة أسلوب عملي في الدعوة، ولا أرضى بالمداهنة ديناً مهما عظم الخطب وتفاقم الأمر أعفو واصفح وأحب وأكره وأرضى وأسخط واستعمل مواهبي لخدمة ديني وأدين لله بالولاء والمحبة وأرضى بالقدر وحتى لا يقال إن هذه الرسالة موجهة للنقد والتجريح أو إنني أردت ترجيح كفة على أخرى برهنت عن هويتي وموقفي العملي وتأثري بكل جديد نافع فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، وقد قيل تؤخذ الحكمة من أفواه المجانين ولا مجنون في

الساحة ولكن من باب الجنون فنون وأنا من أولئك الذين جنوا في البحث عن الحقيقة ودوافع العمل الإسلامي ورغم إخفاقي في القيادة التي جربتها مع جماعة التبليغ وعجزي عن التعبير الذي أعشقه في كتب سيد قطب وإخوانه وقصوري عن التفكير الذي حظي به عبقري الباكستان أبو الأعلىٰ المودودي إلا أنني لا أعدم حسن الاتجاه وسلامة المعتقد وحب النصح لكل مسلم ولهذا كتبت هذه الرسالة نصحاً لله ولرسوله ولأمة المسلمين وعامتهم. ومعذرة أيها القارئ الكريم فقد عرضت عصارة فكري حتىٰ استقام لسان الميزان من غير قدح ولا مدح ومن غير إطراء ولا جفاء حتىٰ لا أكون هدفاً للرماة ولا غرضاً يستشفي به الحاقد أو الناقد ويحمل الكلام علىٰ مالا يتحمله. أردت من كتابة هذه الرسالة الإعراب عن أحاسيس ومشاعر كثير ممن عرف الحركتين كفرسي رهان في ميدان السباق الجماعة الإسلامية وجماعة التبليغ ويسره الوئام بينهما وتلاحم صف الجهود الإسلامية في خدمة الإسلامية وحتىٰ لا يبقىٰ هوة بين الحركتين لابد من ملء الفراغ وقطع الحاجز الفاصل بينهما وذلك بوحدة العقيدة السلفية وهي التي اتفق عليها قادة الطرفين وإن جنحت إحداهما لميل خاص في التصوف والتبتل للعبادة، والأخرىٰ لحركة الجهاد والكفاح ومصارعة الخصوم المعارضين لنظام الحكم وتطبيق الشريعة الإسلامية.

أما صبغتي الرسمية فأنا موظف دولة إسلامية في مجال العمل الإسلامي فبعد فراغي من كلية العلوم الشرعية بالرياض عام ١٣٨٤هـ عينت في سلك القضاء ولازمت في محكمة الرياض ولكن فضلت مجال العمل الإسلامي وتوسلت به للتخلص من القضاء.

سافرت إلى نيجيريا تسعة أشهر كانت أيامها حرب الإنفصال بين نيجيريا والمقاطعة الشرقية (بيافرا)، وعلى إثر استشهاد الداعية المسلم رئيس وزراء الشمال أحمد بللو، وبدء نشوة العمل الإسلامي ودعوة التضامن التي نادى بها الملك فيصل رحمه الله وتأسيس رابطة العالم الإسلامي والمقاومة الفعالة لحرب العنصرية الهادفة إلى ذوبان الشخصية الإسلامية في بوتقة القومية العربية والمحيط الإقليمي كانت هناك أمواج من الدعوات وشعارات رفعتها أبواق الدعاية وقوة الإعلام كما كانت تقلبات في الأوضاع السياسية سقطت مملكة اليمن وسقط بيت حميد الدين بسقوط مملكتهم وثار العسكريون على ملك ليبيا وتولوا زمام الحكم وتولى سلطنة عمان ابن الحاكم الأسبق سعيد ابن تيمور وطرد أباه. وتمت في تلك الأيام أو هاتيك السنوات كان الفكر منصباً للعمل الإسلامي، لم أرتبط بأسرة كبيرة تحجزني عن العمل فيصدق عليَّ قوله ﷺ «الأولاد مبخلة مجبنة»، ولا بثراء يكون حاجزاً للجهد والتضحية ولا حب النفس فوق حب الله ورسول. تعرضت لعدة هجمات كان أخطرها ما حدث لي وأنا ضيف جماعة نصر الإسلام في كادونا بشمال نيجيريا فقد أسكنوني في بيت الحاكم الأسبق أبو بكر تغيوا بللو، فهجمت عليَّ عصابة في منتصف الليل لصوص مسلحة تصورت أنهم أرادوا قتلي تحذيراً وتهديداً لمن سكن هذا البيت والذي قتل صاحبه قبل بضعة أشهر، ومنذ مقتله والبيت مهجور، ولكن الله سلم فقد كانوا يريدون المال فقط فكان لهم ما أرادوا، والعجيب في الأمر أن الحكومة لم تلفظ ببنت شفه وأن جماعة نصر الإسلام لم تتقدم بأي احتجاج ولا طلب تحقيق أو

بحث فيما حدث لضيفهم مما يجعل الأمر عادي بالنسبة لهم.

أما أنا فقد أسرعت بالسفر والتوجه إلىٰ مدينة كانوا من كبريات مدن الشمال.

صادقت الأحمديين القاديانيين في لاجوس وسكنت غرفة مجاورة لمكتبهم كنت أعودها كل خميس وجمعة واطلعت علىٰ أحوالهم ومنهجهم في العمل حتىٰ توقعوا مني أن أكون قاديانياً. لم أفتح معهم باب نقاش جدي بل كنت أبدي لهم إعجابي وخطة العمل في الصحافة والتعليم والخدمات الطبية والتفاني من أجل العمل. حدثني أميرهم قال: أخبرك بما هو سر عندي فقلت لقد عظمته بقولك أنه سر فما هو قال مُرتبي (مُرتبي) في هذا العمل أحد عشر جنيهاً أسترلينياً فقط في كل شهر ومؤهلاتي الدراسية تخولني أن أتوظف بألف ومئة جنية استرليني.. أزيدك... قلت: نعم قال: ولا يحق لي أن أتصل بأسرتي في الباكستان إلا عن طريق القيادة العامة في ربوة وهم كذلك فقلت: زد.... فقال: وأبقىٰ أربع سنوات لا أخرج من نيجيريا. فقلت وماذا؟ قال: لا يحق لي أن أقبل هدية أو هبة أو أختص بشيء لا تهبه لي القيادة في ربوة في الباكستان. فقلت: ولكن أسرتك ستكون علىٰ خطر، قال: ليس لي أسرة ما دمت كذلك هي أسرة القيادة وهي المعنية بها في كل ما يلزم من الطعام والشراب والتعليم والعلاج، فكل هذه توليها القيادة العامة لزوجتي وأولادي ما دمت علىٰ رأس العمل فقلت له مازحاً مداعباً: ولكن هناك عمل يختص بك مع زوجتك ويختص بها معك فمن يا ترىٰ يقوم بالهمة؟ فضحك وقال: أنتم

العرب تولون هذا الجانب غاية همكم.

أمضيت في نيجيريا تسعة أشهر وعدت عام ١٣٨٨هـ بعد أن تجولت في أكثر ولاياتها ومنها دار الخلافة مدينة سكتو التي أبى أميرها أمير المؤمنين أن يقول ونسمع أو نقول ويسمع هو، ما منعه إلا الكبر نعوذ بالله من ذلك.

عدت إلى الرياض، أُعطيت مركز المدير المساعد للدعوة والإرشاد ومن هنا بدأ النشاط يتجدد بالتجول والأسفار فطفت كثيراً من عواصم العالم في القارات الخمس وتعرفت على كثير من الأنشطة الإسلامية كان منها ثلاثة أشهر في سيلان وجزر المالديف ومثلها في الهند والباكستان وخمسون يوماً في الولايات المتحدة الأمريكية وبقية أسفاري لا تزيد عن ذلك.

تضخمت الأسرة وكبرت المسؤولية ودخل عامل الترف في إحباط الهمم. كتبت هذه المقالة بعنوان تحديد هوية الكاتب وملامح شخصيته فماذا بقي، وقد عَرفتَ كثيراً من جوانب حياة الكاتب وما أحب أن أتحدث عن نفسي كثيراً ولكن طبيعة هذه الرسالة تفرض إعطاء الصورة الواضحة كما عرفته وشهدته عن هذه الجماعة فهو بالنسبة لي عمل ميداني أو هو علم تجريبي وقع تحت المجهر العقلي والصفاء الروحي فامتزج بالشعور والأحاسيس. أشار القلم إلى جوانب الخير فيهم وأعطى رموزاً عن نقاط الضعف ولكل وجهة هو موليها والله ولي التوفيق.

آخر لقاء بهم

آخر لقاء يوم الخميس الموافق لليوم الثالث من رمضان عام ١٤٠٢هـ فقد دخلت مسجد نظام الدين ـ المركز الرئيسي للجماعة ـ متنكراً ظناً مني أنني سألتقي بمن أعرفه من الأحباب والأصحاب القدامى. فيجبرني على الإقامة أو يتكلف في الإكرام. ظللت ساعة ونصف الساعة من بعد العصر حتى إذا ما بدأت حلقة التعليم وهي باللغة الأردية، جاءني شخص، وقال: تفضل هناك تجمع الأحباب العرب وعندهم المترجم فقلت: لا حاجة فأنا أفهم ما يقول فكانت لفتة نظر عربي يفهم الأردية وفي نهاية الدرس جاءني متلطفاً وقال: يا أخي ما اسمكم الكريم فقلت ابن عتيق، قصدت عدم إعطائه الإسم الكامل فذهب وجال ولعله سأل العرب: هل سمعتم بشخص اسمه ابن عتيق؟ فقام كويتي وقال أنا أعرف الشيخ إسماعيل بن عتيق في الرياض ولكن لي عنه عشر سنوات. فعاد وقال ياشيخ إسماعيل أرجوكم أن تتفضلوا فوق هناك يمكن أن نفطر مع المشايخ والأحباب.. فقلت إذا حان وقت المغرب فأرسل من يدلني وأنا الآن أفضل البقاء هنا للذكر والتلاوة. وقبل غروب الشمس بدقائق جاء الرسول وصعد بي حيث تجمع الأحباب العرب وقد مد لهم صماط طوله خمسة عشر متراً تقريباً وقد

أحاط الجميع به على امتداده وجلست في طرفٍ منه وأنا خجول لم أسلم على الجميع فنظر إلى أحدهم فقال أأنت الشيخ إسماعيل العتيق من الرياض؟ فأشرت له أن أسكت فهذه ساعة استجابة فلا تفتح باب الحديث فأسف وندم واستغفر. . ظلت المجموعة وكأن على رؤوسهم الطير. . . أفطرنا وأقيمت الصلاة فانصرفت فور الصلاة والناس مشغولون بأداء السنة ولكن ما كدت أقدم رجلي اليسرى في الخروج حتى أخذ صاحبي بكتفي وقال: ما برنامجكم فضيلة الشيخ فقلت الإفطار ثم الإنصراف حيث شئت. . . قال: عفواً أنا لا أقصد هذا. . . هل جئت لزيارة أم لشغل خاص فقلت المقام لا يسمح بالتفصيل فأنت إذا شئت أن تزورني في فندق (لودا) على بعد أمتار من المسجد، هناك يكون الحديث. قال: حسناً إن شاء الله ولكن ما كدت أنفك من هذا الحبيب حتى جاء الكويتي الذي عُرف باسمي وقال بصوت عالٍ: يا شيخ إسماعيل؟؟؟ أنت هو . . الله أكبر منذ عشر سنوات عليك أن تبقى معنا. أين أنت ذاهب الآن فقلت بصوت خافت من الأخ؟ فسمى اسمه فقلت: لكنني لا أعرفك على الحقيقة وأنا الآن مشغول فاسمح لي أن انصرف.

وفي اليوم الثاني عاتبت نفسي لما هذا التنكر؟ يجب أن أعود لنظام الدين وألتقي بالمشايخ حتى لا تنفصم سلسلة التاريخ. ذهبت ضحى يوم السبت وهناك التقيت بالشيخ إنعام الحسن وهو يودع الجماعات الخارجة في سبيل الله فسلمت عليه وقلت أنا اسماعيل بن عتيق فضمني إلى صدره وهذه لا يحظى بها إلا الخواص فعامة الناس مصافحة على عجل ثم أشار أن

أجلس حتىٰ انتهت الجموع ونهض من كرسيه وأخذ بيدي فقلت إني مُسلّماً ومودعاً فقال جزاك الله خيراً ولم يتكلف في الاكرام وانصرف ودخل غرفته نظرت يمنة ويسرة لعلي أجد صاحبي فلم أجده وفي شرقي المسجد غرفات نظرت في إحداها فإذا الشيخ ميراج محراب يتلو القرآن كأنه يشرب ماءً زلالاً بعد الدرك من العطش وقفت استمع تلاوته لعله يرفع رأسه فيعرفني من غير أن أقطع عليه التلاوة فلم يفعل ثم سألت رجلاً أهذا هو الشيخ محراب (لاسمعه) فقال: نعم ولكن الرجل في عالم آخر فقلت لابد أن أقاطعه لأنني أحب أن أسلم عليه وأنا علىٰ عجل فقلت: السلام عليك يا شيخ محراب وقام وعانقني بعد أن عرفني ولا أظنه يذكر اسمي قبل عشرين سنة. كان لقائي بالشيخ محراب الذي كان دليلنا لقبائل الميوات وهو من أول الأنصار للشيخ إلياس بلغ الثمانين من العمر وكأنه شاب جلد لا يفكر في غير الدين ومستقبل الدين يذكرني بقول رسول الله ﷺ «رب أشعث أغبر لو أقسم علىٰ الله لأبره ذلك هو الجندي المجهول». ودعت الشيخ محراب وعيناي تذرفان مما أعرفه عن الشيخ وصبره وجلده ونور اليقين عنده لا يرىٰ الحياة الدنيا إلا لعباً ولهواً. علىٰ مثل هؤلاء قام العمل وسر النجاح هو سر الإخلاص وسر لطف الله تعالىٰ بالعبد أن يتقي الله تعالىٰ حيث ما كان وأن يتبع السيئة الحسنة ويخالق الناس بخلق حسن. أشهد أن هذا هو أقرب الناس لهذه الصفات ولا أزكي علىٰ الله أحداً. لم أكد أصل إلىٰ الفندق بعد لحظات فإذا الرجل الذي قابلني في أول وهلة ودعاني للإفطار وطلب برنامج عملي يدخل علي ببشاشة وفرح يحمل هدية من طيب العود فقلت

سبحان الله وبعد هذه المدة معكم نحن من المؤلفة قلوبهم. قال نشكركم على زيارتكم والشيخ إنعام الحسن يبلغكم السلام وتقبلوا هذه الهدية فقلت قول المثل: إن اللُّها تفتح اللَّها... الآن أخبرك وأحدثك عن برنامجي في هذه الرحلة فقد جئت بمهمة تهم العلماء والمسلمين على السواء تتعلق بالجامعة الإسلامية دار العلوم في ديونيد والتي كتبت عنها الصحف في داخل الهند وخارجه وأعطت صورة قاتمة عن أحوالها، جئت ممثلاً لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز لإعمال الصلح بين مجلس الشورى ومدير الجامعة الشيخ محمد الطيب أو نقل الصورة الواضحة لجامعة ديونيد الشهيرة أبلغ الشيخ إنعام الحسن أن رابطة الدين وآصرة العلم تحتم علينا جميعاً أن نكون يداً واحدة في خدمة الإسلام وقضايا المسلمين شكر وزاد في الدعاء. وانصرف بعد حديث معه دام نصف ساعة.

هذا آخر لقاء للمركز الرئيسي نظام الدين دهلي الهند والمستقبل بيد الله وما تدري نفس ماذا تكسب غداً... أما بقية المراكز في غير الهند فإن التعاون معها شيء يفرضه العمل الإسلامي، ودائرة الإسلام العامة توجب النصح والمحبة لكل مسلم فقلَّ أن أزور عاصمة من عواصم العالم أو من كبريات مدنه إلا وأجعل من برنامجي زيارة مركز جماعة التبليغ ولكن ليس هناك ارتباط عملي ولا وثاق في موعد أو التزام.

وفي المملكة العربية السعودية انقطعت عنهم منذ سنوات لأغسل ما علق بالأذهان إنني عضو فعال في الجماعة أو أن لي بيعة وعهد سري مع المركز العام بدهلي، سيما وأن الإنكار عليَّ تكرر من عدة جهات أفراداً

وجماعات رماني بعضهم بالغفلة والسذاجة والإغترار بالأعاجم وآخرون زعموا أنني لم أفهم الحياة ولا أقدر المستقبل قدره وأن فرصة جمع المال والثرىٰ غابت عن ذهني مع طفرة الاقتصاد والنمو في المملكة العربية السعودية .

فقد كاد أن يكون اسمي مربوطاً بذكر جماعة التبليغ فكل من عرفني من عامة الناس عرفني في الاجتماعات واللقاءات بداخل المملكة وخارجها أما اليوم وإلىٰ تاريخه فقد زال عن الأذهان ذلك التصور وأصبحت موظف دولة يعمل في محيطه الوظيفي ولا ينتمي لحزب أو مذهب أو جماعة وهذا ما كنت أريده والمحبة والعاطفة موجودة لكل من يعمل للإسلام والمسلمين والنقد والملاحظة هي من باب النصيحة «فالدين النصيحة» والله ولي التوفيق .

خاتمــة واعتــذار

وفي ختام هذه المقالة أعتذر إلى كل من ضايقته صراحتي فلم أوافق ما في نفسه كلياً فإن القلم عنوان صاحبه ويأبى الله أن أقول ما لا أعتقد أو اعتقد ما لا أقول فتلك صفات المنافقين ولست خاطباً ود أحد ولا معروفه ولا متجراً. بصنعتي وعلمي ولا مجاملاً لمن أحبهم ويحبونني في ديني فذاك والله الحرام، إجتمعنا في سيلان بحضور الأطراف المعنية بالتبليغ والجماعة الإسلامية وأنصار السنة فقالوا: على يدك نتحد فقلت إنكم متحدون العقل للجماعة الإسلامية والقلب لأنصار السنة وبقية البدن لجماعة التبليغ وهذه كلها متلازمة فلا عقل إلا بقلب ولا قلب إلا بجوارح فسروا بذلك: نسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

بقلم الملتجىء إلى مولاه في الحال والمآل إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد آل حميضة المولود في وادي الدواسر عام ١٣٥٧هـ المقيم بالرياض منطقة الشفاء.. والله الموفق.

حوار مع القاديانية وجهاً لوجه

مقدمة

الحمد لله ختم أنبياءه بمصطفاه والصلاة والسلام على نبي الرحمة القائل بالحكمة: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

فلعلَّ الشاعر القائل:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدواً له ما من صداقته بد

يعطي لفتة بضرورة التجمل والتحمل لعدو في باطنه صديق في ظاهره إن يكن هذا، فقد وقع لي إبان إقامتي في نيجيريا عام ٨٧/ ١٣٨٨هـ صلة وثيقة بطائفة القاديانيين الأحمديين المرزائيين الباكستانيين منهم والنيجيريين، فقد أنست بهم دهراً وسكنت إليهم قهراً لأساير هذه الطائفة الزائغة حتى ألم ببعض ما هم عليه وأستنزف أفكارهم ومخططاتهم ومراميهم فكنت صديقهم العربي الوفي لا يألون جهداً في إكرامي، أحل من مجالسهم الصدارة، دعوني بالمبشر الإسلامي الكبير المتحرر من قيود التبعية والتقليد فطمعوا في هدايتي، وأنسوا بحديثي فترة من زمن حول ضرورة مجابهة التبشير النصراني وتزييف ما عليه الطرق الصوفية وضرورة وجود الإعلام الإسلامي حتى بدأ الانفراج بذكر الجهاد والقتال والحديث عن الكرامة

والولاية والنبوة أعقبه الحديث عن مساوىء الاستعمار وبخاصة الإنجليز ثم كان الخلاف على أشده في ختم النبوة والأنبياء والحديث عن ميرزا أحمد، من هنا أدركوا أنهم يكتبون على صحائف أشبه بالكاتب على الماء وأيسوا من هداية العربي فقد قلب لهم ظهر المجن، وهو يكن في صدره حماقة الجهلة الطغام المتخبطين في دياجر الظلام.

وقصتي مع الأحمديين المرزائيين تتلخص في التعارف فالتذاكر فالتناكر فالمفارقة. قصدت من هذا التحرير إبراز مكامن الحقد ودسائس الكفار في ضرب المسلمين باختلاف الطوائف ودعم الانشقاق وتفريق الأمة تحت مسميات وشعارات وهويات وجنسيات وألوان من الكيد والمكر. فقد خلصت مما تعرفت عليه إلى أن القاديانيين أشبه بطائفة السيخ المنشقة على الديانة الهندوكية بمبادئها وأطماعها التي أوجدها الإنجليز في القارة الهندية لترفع جناحة وتهوي برماحه فكانوا كما أراد لهم الإنجليز وكما صُنعوا من أجله.

إن الديانة السيخية مزيجٌ من الديانات ولكنها في الاتجاه السياسي معول هدم وتخريب، وخلق طائفة متميزة في قلب القارة الهندية من بين الديانات والمقدسات في الهند، هكذا أوجد الإنجليز الطائفة القاديانية لتحمل هي الأخرى جناحها الآخر فيكونان بجانب السيخ جناحين خفاقين يتوسطهما قلب الإنجليز وقالبه فيبقيان له عملاء وخبراء أولئك بجانب الديانة الهندوكية وهؤلاء بجانب الإسلام والمسلمين.

تتلخص دعائم الديانة القاديانية فيما يلي:

١ ـ إنكار الجهاد قطعياً ويرمون بهذا إلى ضرورة مسالمة الاستعمار الإنجليزي وقد شحنوا كتبهم بالولاء والمحبة والإخلاص والعبودية والذل للإنجليز.

٢ ـ إدعاء نبوة ميرزا أحمد ليكون له حق الصلاحية في التشريع والتنظيم الرباني الإلهي يرمون بذلك إلى طمس معالم الإصلاح والتجديد وفق الشريعة المحمدية.

٣ ـ حمل تفسير القرآن الكريم محمل الباطنية وإبطال ما عليه أئمة التفسير ورجال الحديث.

٤ ـ إيجاد زعامة تتجر باسم الإسلام وتتسنم المناصب والألقاب وتستمري حلاوة الدعم والتأييد في قارة آسيا وأفريقيا ودول أوروبا والأمريكتين.

هذه ملامح الديانة القاديانية وهذه مطامع الإنجليز كما هي سياسة «فرق تسد» وقد سقت هذا الحديث في غير ما لقاء في ندوات ومؤتمرات وفي تجوالي وترحالي كان لي شرف إلقاء خطبة الجمعة في أول مرة تقام صلاة الجمعة في ربوة بالباكستان للمسلمين عام ١٣٩٧هـ وكانت مكبرات الصوت تشق شوارع مدينة ربوة وتصم أسماع القاديانيين. ومدينة ربوة هي البلد المقدس في زعم القاديانيين والواقعة قرب لاهور، كانت محصنة لا يدخلها المسلمون فهي أشبه بالفاتيكان في إيطاليا دولة في وسط دولة إلى أن أذن الله بتحطيم أسوارها وإقامة الشعائر التعبدية فيها بل وإقامة المؤتمرات والندوات في مساجدها. وقبل أن أبدء في حديث مفصل عن القاديانية

والقاديانيين نشير إلىٰ أنه قد قام في الباكستان جمع من العلماء تبنوا محاربة هذه الطائفة الزائغة وقاموا بتشديد الخناق عليها وكونوا مجلساً يدعىٰ بمجلس تحفظ ختم النبوة كان من زعماء هذا المجلس العالم الكبير والسياسي القدير مفتي محمود رئيس جمعية العلماء ورئيس المجلس هو الشيخ يوسف بنوري من المبرزين في الجهاد والنضال ومدير المدرسة العربية في كراتشي. كان لهذا المجلس الأثر الطيب في فضح الطائفة القاديانية والضغط علىٰ الحكومة الباكستانية حتىٰ أصدرت قراراً باعتبارها طائفة أقلية غير مسلمة.

هذا ولعل القارئ الكريم يرجع إلىٰ ما سأذكره من مراجع للتعرف علىٰ هذه الطائفة الزائغة المارقة وما أكتبه في هذه المذكرة ليس بتحقيق علمي ولا هو بحث جدلي ولا مما يعتمد عليه في الدراسات أو المقارنات بين الديانات ولعل القارئ الكريم يسمح لي إن تجاوزت في القول بأنه لا يستوي من يكتب عن تجربة وخبرة وفطنة ومن يكتب من بطون الكتب ويؤلف كلاماً بالعناوين ليكبر حجم ما كتبه فيستزيد القراء بلفت أنظارهم إلىٰ ما يكتبه ويجمعه «وللناس فيما يعشقون مذاهب» هذا وبالله التوفيق ومنه أستمدُ الإعانة والإصابة وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

قصة التعارف

ما كدت آخذ مكاني في قاعة الانتظار في مطار لاجوس بنيجيريا الفيدرالية حتىٰ وقع بصري علىٰ شاب يافع تظهر ملامح الذكاء والفطنة في تحركاته ونظراته يرتدي اللباس الباكستاني وكأنه ينتظر ساعة اللقاء بهذا الشيخ الذي فاجأ بالدخول من غير سابق معرفة بوجوده في نيجيريا. كنا معاً في توديع معالي السفير السعودي الشيخ «علي الصقير» وقد أنهىٰ أعماله في نيجيريا، فكان في توديعه جمع غفير من الناس علىٰ مختلف الطبقات وقد حضر هذا القادياني ممثلاً لجماعته في توديع السفير السعودي صاحب الأيادي البيض بدعم المشاريع الإسلامية في نيجيريا.

فاجأني بالسلام والكلام بلسان عربي فصيح وقدم نفسه قائلاً: أنا فيروز محيي الدين صحفي ومبشر إسلامي في نيجيريا أبديت له السرور والحبور وحييته بكلمات من اللغة الأردية لعل ذلك يزيد في سروره وحبوره فطار فرحاً فاستزادني من الكلام باللغة الأردية ثم جرىٰ جدية الحديث معه بعد توديع السفير السعودي وقدم لي بطاقة التعارف وعنوان ومقر العمل ووعدته بزيارة في وقت لاحق، كانت هذه بداية التعارف بالمبشر القادياني الصحفي فيروز محيي الدين قرشي الباكستاني. ثم كانت اللقاءات المتكررة.

عدت إلى منزلي في ضاحية مدينة لاجوس في قرية أجيجي حيث المركز الإسلامي العربي وسألت أخانا الفاضل عميد المركز الشيخ آدم عبدالله الألوري عن هذا الشاب الباكستاني الذي كان في توديع السفير السعودي. فقال هذا أحمدي وممن يدعون بالقاديانيين. وقلت للحاج آدم: هل تعرف عنهم شيئاً؟ وما رأيك في التعرف عليهم؟ فقال الشيخ آدم: زعم زعيمهم أنه نبي وقد جاؤوا إلى نيجيريا ١٩٣٣م ودخلوا في صفوف المسلمين باسم الإصلاح والدعوة والتجديد وأنشأوا كثيراً من المدارس على مختلف المراحل كما كونوا جمعيات وإن كان لهم من فضل فقد أيقظوا مسلمي نيجيريا بلفت أنظارهم إلى تكوين المؤسسات والجمعيات الإسلامية، كما أنهم عملوا في الإعلام وساهموا في الصحافة الإسلامية، فهم يصدرون صحيفة أسبوعية ويمتلكون مطبعة ولديهم خبراء وصحفيون. وقد مضى زمن طويل وعلماء نيجيريا في سبات ولم يدركوا غور هذه الطائفة حتى بدأت تصاريحهم بأن ميرزا أحمد المهدي الموعود والمسيح المعهود وزعموا أنه نبي يتلقى الوحي من الله وهكذا انتهى المطاف باكتشاف القاديانيين بأنهم دخلاء وعملاء للاستعمار الإنجليزي ومع هذا فإن علماء نيجيريا لم يتمكنوا من زحزحة مركزهم وقد دخل فيهم من النيجيريين من رجال السياسة عدد كبير، وهم اليوم ولا يزالوان منذ البداية يسيرون على هذا الخط تتركز أعمالهم التبشيرية في التعليم والإعلام وفتح المستشفيات التجارية والمراكز المتعددة الأغراض وهم بهذا العمل يكسبون شعبية وولاء بخلاف الجاليات الأخرى وخاصة العرب. ففي نيجيريا ما يزيد على سبعة

آلاف لبناني وكذا قليل من السوريين والأردنيين ولم يتقدموا بشيء من المشاريع الإنسانية والخدمات وإنما هم مجرد تجار جاؤوا لكسب المال فحسب فرغم وجود كثير من الجمعيات الإسلامية والمراكز وما لديها من إمكانيات مادية فإن جودة العمل والتنظيم والالتزام ظاهرة في أعمال القاديانيين وللأسف الشديد.

وبعد أسبوع من هذا الحوار وذاك اللقاء توجهت إلىٰ لاجوس لأنظر المركز الرئيسي للقاديانيين وقد اخترت لباس الزي الباكستاني إذ كنت أحمل معي كعادتي في أسفاري أكثر من لبسة والقصد من هذا أن لا يرىٰ أحدٌ شيخاً عربياً بزي عربي دخل مركز القاديانيين كيف وقد ساءت سمعتهم واتضحت أهدافهم وأصبحوا في عزلة عن العلماء ورجالات الإصلاح والدعوة. ما كدت أصل إلىٰ أول مكتب من مكاتبهم حتىٰ قاموا مستبشرين بزائرهم والذي وصلهم خبره بواسطة المبشر الصحفي فيروز محيي الدين سابق الذكر. وقد التقيت بمبشرهم الكبير رئيس المركز والمدعو نصير الدين أحمد فأنس بحديثي واستبشر بزيارتي ولعله قد ألمَّ بأخباري ومهمتي في نيجيريا. أما حديثه فقد كان مطلعه أن قال: جئنا لكسر الصليب وإعلان دعوة سيد المرسلين ونحن منذ ما يزيد علىٰ أربعين سنة نعمل جاهدين في تحرير الأمة الإسلامية من ربقة العبودية للنصارىٰ وعباد الصليب ثم أشار إلىٰ صورة ميرزا أحمد وهي تحتل إحدىٰ الواجهات للمكتب وقال: هذا المسيح الموعود والمهدي المعهود ميرزا غلام أحمد. جاء بالبينات من عند الله فهو مصلح ومجدد ومهدي الزمان إلىٰ اخر ما قال من الكلام حول تمجيده.

أجبته بعد أن فسح لي المجال في الحديث وأبديت له استعدادي في التعاون فيما اتفقنا فيه فإن المحرمات الشرعية لا يختلف فيها اثنان من المسلمين كتحريم الزنا وشرب الخمر وترك الصلوات واستباحة أموال الناس بالباطل. ففي المجتمع الإسلامي ظواهر سيئة تخالف نهج الرسول فيا حبذا لو اتفقت المنظمات الإسلامية والمراكز والجمعيات على اختلاف طرائقهم وتباين مذاهبهم على التعاون فيما اتفقوا فيه وإني معكم في مجابهة التبشير وضرورة وجود الإعلام الإسلامي الديني منه والسياسي فرغم الخلاف بين ما نحن عليه من توحيد وإيمان وتصديق بالنبوات وما أنتم عليه وكذا ما عليه التيجانيون وسائر الطرق المتعددة فإن الإطار الإسلامي الواسع الشامل يضم تلك الطوائف ويدعون عند أهل العلم بأهل القبلة. كان هذا لقائي لأول مرة بالزعيم القادياني في مركزه ولم ألتق بالصحفي فيروز في المركز. انصرفت بعد فترة طويلة. جرى الحديث حول هذه المواضيع وقدمت له بطاقة التعارف ووعدوا بالزيارة وتمت اللقاءات المتكررة انتهت بعقد ندوات حوار وما أسميه مذاكرة وفيما يلي بيان تلك الندوات والمناظرة التي وقعت بيني وبين القاديانيين في نيجيريا وبالعاصمة الفيدرالية لاجوس في العامين ١٣٨٧ ، ١٣٨٨هـ.

الجلسة الأولى :

في اليـوم الموافق ١٥/ ١١/ ١٣٨٧هـ كـانت أولىٰ جلسـات البـحث والمناظرة مع الأحمديين في جلسة خاصة وقد أرادوا من عقد هذا الاجتماع تقييم الشيخ العربي واستعداده لتقبل أفكار الأحمديين القاديانيين. ومن جانبي رأيت أن أطلع بصفة خاصة علىٰ أهم نقاط الخلاف بصفة جدية لا مجاملة فيها ولا دبلوماسية.

إسماعيل : (يبدأ الحديث) لقد تصفحت ما أهديتموه لي من كتب باللغة العربية.

١ ـ حمامة البشرىٰ.

٢ ـ مكتوب أحمد.

٣ ـ تحفة بغداد.

٤ ـ الاستفتاء.

فوجدت أن البون شاسع بين ما تدعون إليه وما عليه المسلمون.

نصير الدين : نعم.. نعم.. أحب أن أسمع.

إسماعيل : أحب أن أجمع (ضحكة جماعية).

إسماعيل : لا أريد أن يختلط الحديث بمتشابه القول فنخرج بلا نتيجة لذا أورد نقاط الخلاف مجملة ثم نعود للتفصيل.

فيروز : هذا هو الطريق السوي للمناظرة.

إسماعيل : لا . . لا . . . بل للمذاكرة.

إسماعيل :

١ ـ تعريف الرسول والنبي.

٢ ـ الولاية والكرامة.

٣ ـ التصوف والوصول.

٤ ـ العشق الإلهي والفناء.

٥ ـ الهوس والجنون في تصور الغيب.

هذه النقاط الخمس التبست عليكم كثيراً وألبستم الحق فيها بباطل.

نصير الدين، فيروز (يتحفزان ويصوبان أنظارهما للمتحدث).

إسماعيل : أقول ما أعتقده بإيجاز في النقاط الخمس وأعرض عما ترون ولكم حق الإجابة والاعتراض فيما بعد.

تعريف النبي والرسول : النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه وأنبياء الله كثيرون. الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه منهم نوح وإبراهيم وعيسىٰ وموسىٰ ومحمد وقد قال الله تعالىٰ فيهم : ﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ فكل رسول نبي وليس كل نبي

رسولاً. فما تقولان؟

نصير الدين : هذا التحديد والتعريف لا أعرفه.

إسماعيل : العلم بالشيء فرع عن تصوره. إذاً فليس لكم علم بمعنىٰ النبوة والرسالة (ضحكة جماعية) أعقبها صمت وتفكير.

فيروز : ولكننا لا ننكر حقيقة قائمة وهي أن الله أوحىٰ ويوحي إلىٰ من شاء من عباده فهل ترىٰ أن الله كان متكلماً، ثم سكت وانتهت فائدة الوحي وانقطع الخبر من السماء.

إسماعيل : هذا يرجعنا إلىٰ تصور الكون وما به من عوالم فالله يوحي إلىٰ خلقه فيما شاء وكيف شاء ونحن عالم الإنس قد تقرر أن الوحي شيء كان للأنبياء وحي تشريع وتعبد ونص القرآن ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلىٰ نوح والنبيين من بعده﴾.

نصير الدين : وما هو المانع من تجديد الوحي والإلهام لمن شاء من خلقه.

إسماعيل : من هنا جاء الدس يا مولانا نصير الدين، فرق بين الإلهام والوحي الشرعي الوحي نبوة وتشريع والإلهام حادس النفس قد يكون شيطانياً وقد يكون رحمانياً.

فيروز : ماذا قرأت عن وحي الله لميرزا أحمد؟

إسماعيل : أتريد أن أعترف بهذا؟

فيروز : أقصد هل تتصور أنه إلهام شيطاني أم رحماني كما ذكرت .

إسماعيل : الإلهام شيء والوحي شيء آخر . وقد قال النبي ﷺ : «إن كان في الناس محدثون فعمر» فقد كان ملهماً رضي الله عنه وكان ينزل القرآن على رأيه أحياناً .

نصير الدين : لقد تشعب الحديث .

إسماعيل : أنت كالطير يغرد بين أغصان الفناء إذا ما أعجبه غصن انتقل إلى غصن آخر ، فقد كنا في النبوة والرسالة ثم انتقلت بنا إلى الإلهام ، ونحن بهذا لا ننتهي إلى نتيجة .

فيروز : النتيجة عندي . . ميرزا أحمد نبي أوحى الله إليه بكسر الصليب وهو المهدي المعهود والمسيح الموعود فإن لم تصدق فارفع رأسك وتصور ملامح النبوة في وجهه من رسمه وصورته وكانت على الحائط المواجه .

إسماعيل : لا أريد أن أغضبكم وفي أول جلسة ، ألا ترون أنه ممسوح العينين والآخر ممسوح غير واحدة (أعني المسيح الدجال) .

قيام وانتهت الجلسة بشرب الشاهي .

الجلسة الثانية من الندوة الأولى :

نصير الدين : تفضل يا شيخنا العربي أنت من أولياء الله.

إسماعيل : أرجو ذلك، ولكن لست من أنبياء الله.

فيروز محيي الدين : هذا مطلع جيد للمحادثة في الولاية والكرامة.

إسماعيل : الولاية والكرامة بينهما ترابط من بعض الوجوه وقد أدمجتهما في الحديث لأنهما شبهة الكثير من الناس، ولأن أولياء الله هم أصحاب الكرامات، فالولاية ضابطها قول الله تعالي : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾. وفي الحديث القدسي : «من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب» والآية الكريمة والحديث القدسي يدلان على أن الأولياء هم الذين يوالون أمر الله وليست الولاية درجة معلومة ينتهي إليها العابد والناسك ثم تعقبها الكرامة والتنزلات والكشوفات، الكرامة قد تقع لبعض الصالحين وهي كالخوارق للعادات ولكن لا تصل إلى درجة التشريع، والوحي الرباني المخصوص بالأنبياء والمرسلين. وقد تقع الخوارق لغير المؤمنين والصالحين وقد يكون من جنس الاستعانة بالأرواح الخبيثة كما يقع للكهان والسحرة والمنجمين ويسميها أربابها كرامة. أما الكرامة التي جاءت من رجل مستقيم الحال كما وقع لعمر

بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال وهو يخطب في المدينة: «يا سارية الجبل الجبل» فكانت كرامة عمر أن أطلعه الله على حال الجيش المقاتل وأبلغ صوته الجيش فتحصنوا بالجبل وكانت الغلبة للمسلمين لهذه الكرامة ولكنها ليست نبوة ولا تشريعاً ولم يدع عمر أنه يلهم بالمغيبات فيتحدث عن الله تبارك وتعالى.

نصير الدين: لقد حجرت واسعاً يا أعرابي، الولاية طريق النبوة وعلامة الولاية الكرامات ومن أعظم الكرامات أن يتفضل الله بمخاطبة عبده.

فيروز محيي الدين: أنا مع الشيخ العربي يا مولاي نصير الدين، لقد قال عنك في الجلسة السابقة إنك كالطير إذا لم يعجبه غصن طار إلى غصن آخر وقد وقعت في حديثك هذا على عدة غصون نترك الشيخ يحددها لنا غصناً غصناً.

إسماعيل: لقد علمت أنك لا تخالف رئيسك ولكنها المجاملة والاستعطاف لمحادثكم. لقد خلط الشيخ الباكستاني بين أمور الكرامة والنبوة ومخاطبة الله عبده وقد أوضحت لكم ما أعتقده في الكرامة والنبوة. أما مخاطبة الله لعبده فهذا ممتنع ويمتنع في الدنيا إلا ما حدث لموسى عليه السلام ومحمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج كما علمنا ذلك من القرآن وجاءت به السنة المطهرة وإن كان هناك من يزعم أن الله كلّم أحداً من خلقه سوى من ذكر فهناك من يقول بأن الله يمتنع في حقه الكلام وهم أرباب الاعتزال من الجهمية والمعطلة.

فيروز محيي الدين : أظن أن النتيجة واحدة كما هي في الجلسة الأولىٰ، لا وفاق بيننا وبين الشيخ العربي في نقاطه الخمس التي قال إنه استدركها علينا .

نصير الدين : ما رأيك في الإمام المجدد أحمد السرهندي .

إسماعيل : هو كما علمت مصلح ومجدد الألف الثاني في دياره وقد قرأت ما كتبتموه عنه في تحفة بغداد ما نصه : اعلم أيها الصديق أن كلامه سبحانه مع البشر شفهياً وذلك لأفراد من الأنبياء وقد يكون ذلك لبعض الكمل من تابعيهم وإذا كثر هذا القسم من الكلام مع واحد منهم يسمىٰ مُحَدثاً وهذا غير الإلهام وغير الإلقاء في الروع وغير الكلام من الملاك إنما يخاطب بهذا الكلام الإنسان الكامل والله يختص برحمته من يشاء . . . انتهىٰ .

وقد جرت العادة ممن ينقل الوثائق أن يعزو إلىٰ المصدر الذي نقل منه وقد أهمل الكاتب في تحفة بغداد الإشارة إلىٰ مصدر هذا القول ولذا فإنني أشك في صدور هذا الكلام من الشيخ أحمد سرهندي وعلىٰ فرض صحته وثوبته فإن الرجال يعرفون بالحق والحق لا يعرف بالرجال . والإمام أحمد سرهندي فيما علمت أنه قام بالإصلاح والتجديد ولم يدع أن الله كلمه ولم يدع أنه نبي ولو كان وقع شيء من ذلك لاشتهر عنه وعرف ونرجو أننا فيما نحتكم له أن نتثبت من النص والنقل والإسناد حتىٰ لا ندخل في جملة الكذابين .

فيروز محيي الدين : ونختصر الوقت ونناقش النقطة التالية في ما ذكره الشيخ واستدرك وهي التصوف والوصول.

إسماعيل : التصوف حدث وبدع في الإسلام لا من حيث التسمية ولا من حيث الأعمال المبتدعة وقد اختلف الناس في وجه التسمية فلان صوفي، أهي من لبس الصوف أو من صفاء السريرة. أما الصفات الشرعية وما سمى الله به عباده الأخيار فسماهم المسلمين والمؤمنين والصادقين والخاشعين والمهتدين إلى غير ذلك من الأوصاف الحميدة ولم يرد نص قرآني أو حديث نبوي في تسمية الناسك أو العابد صوفي وإن كان البعض من الصوفية قالوا إنه مأخوذ من أهل الصفة وهم الزهاد والعباد الذين كانوا في حجرات المسجد، هذا وإن التصوف بمعناه المعروف قد تشعب بالمسلمين إلى طوائف وطرق بل جعلهم أحزاباً متشاكسين وصدق الله : ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ وأخطر ما عليه الصوفية حكاية الوصول ومعناه الوصول إلى غاية من العبادة توجب طرح التكاليف الشرعية من الولي والعابد هذا ما عندي باختصار فما الذي عندكما؟

نصير الدين : نحن معك في أكثر ما قلت ولكننا لا نوافقك في طرح التصوف وازدرائه فهو جانب روحاني مهم في تطهير النفوس وتزكية القلوب والالتجاء إلى الله في الخلوة والجلوة وهو لا يتعارض مع الأحكام التشريعية وإن كان العرب السعوديون لا يوافقون على كلمة التصوف فليكن باسم التزكية والطهارة والتعبد وبهذا نلتقي.

إسماعيل : أنتم الآن في غرب أفريقيا في أكبر دولة. ويشتهر فيها طريقتان التيجانية والقادرية بينما الطرق التي في القارة الهندية الجشتية

والنقشبندية وليس هناك وفاق بين هاتين الطريقتين في بلادكم وبين الطريقتين في نيجيريا، ربما تلتقون أنتم الأحمديون القاديانيون مع الطريقة التيجانية في أن الله كلم خلقه بعد خاتم الرسل محمد ﷺ ومع اعترافكم بخاتم النبوة فقد قلتم أن الله أوحىٰ إلىٰ ميرزا أحمد، وقال التيجانيون كتم الله جوهرة الكمال فلم يبلغها محمداً ﷺ حتىٰ ولد التيجاني فأنزل الله له جبريل وأوحىٰ له بصلاة الفاتح وجوهرة الكمال ولربما قال قائل إن هذه الأحاديث والتنبؤات هي من باب الكرامة والولاية وعلىٰ كل فإننا نؤمن بأن الكرامة والولاية ليس طريقهما التصوف والابتداع في الدين.

فيروز : لقد أجدت يا شيخ ونحن معك في ضرورة توحيد صفوف المسلمين فيما اتفقوا عليه وترك التحدث عن وجوه الاختلاف حتىٰ لا تنشق عصا المسلمين وتتشعب بهم الطوائف ويكون فرصة للعدو الخارجي من النصارىٰ واليهود.

إسماعيل : إذا كان البحث في فروع الدين من مستحبات وسنن أما إذا كان الخلاف في أصول الدين ودعائمه فكيف يكون الوفاق؟ علينا أن نتصور وندرك أن الخلاف فيما ذكرت من أصول الدين لا من فروع الدين.

فيروز : نحن لا نقول بالوصول ولا بالفناء ولكن العشق الإلهي قال به الكثير من علماء التصوف وأهل الكرامات مما سبب لهم الفتوحات الربانية والتجليات الإلهية وهذا لا يكون لعوام الناس بل لخواصهم. أما الوصول الذي يقصد به طرح التكاليف الشرعية والخلاص من الأعمال التعبدية فهذا ننكره ولا نقره ونرىٰ أن فاعله أتىٰ بدين غير شرع الله.

إسماعيل : كل شيء يبدأ بتدرج كما فعل ميرزا أحمد. فقد بدأ بإعلان التجديد ثم انتهى بإعلان النبوة والرسالة، فإذا كان أرباب التصوف قد وقعوا في شراك التلبيس والتضليل فإن ما وقعوا فيه يكون ضرره مقصور عليهم أما إدعاء ميرزا أحمد النبوة والرسالة فهذا اعتداء على رسول الله ﷺ وعلى القرآن الكريم ولكن بكل صراحة ووضوح أن الهوس والجنون في تصور الغيب والعوالم الخفية قد يكون جنوناً بالفعل وقد يكون دوافع ذاتي. القصد منها التضليل ولا أستبعد أن يكون هناك وحي شيطاني يمس المدعي بهذا الإدعاء ويمده قوة إلى قوته ويفتح له أبواب التضليل ويعينه على طرائق يتخذ منها وسيلة لإدعاء النبوة وآخر باسم الكهانة وثالث باسم التنجيم ورابع باسم الزجر والعيافة إلى غير ذلك مما يشترك فيه الجميع بإدعاء الغيب للتضليل والابتزاز أعاذنا الله وإياكم من كل سوء.

نصير الدين : لقد أبديت أسلوباً علمياً ومصطلحات خرجت بنا إلى فنون علم نحن في الحقيقة بعيدو التصور له ومذاكرته. فالتنجيم والكهانة والطرق والعيافة كل هذا نجهله ولا نعرف موقف الإسلام منه وهذا علم جديد بالنسبة لنا.

إسماعيل : لا أستبعد أن في دولتي الباكستان والهند من أعطى هذه المصطلحات أهمية سيما وأنها قد تستمد من الديانات المتعددة في الهند أو الباكستان.

فيروز : لعل الاجتماع قد تمخضت نتيجته فيما ذكره الشيخ ولابد لنا من حكم فالحكم هو فيما قلنا وقال وننتهي بنتيجة حتى لا نكون في دوامة.

إسماعيل : رضيتم بهذا فأقول : النبيّ : من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه . والرسول : من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه . ودعوىٰ ميرزا أحمد إما أن يكون جمع بين النبوة والرسالة أو يكون نبياً فقط فإن كانت الأولىٰ فقد جاء بتشريع وزيادة علىٰ ما في القرآن الكريم والسنة المطهرة ويكون هذا رد صريح علىٰ النصوص الواردة بأن الإسلام قد كمل كما قال تعالىٰ : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ كما هو ردٌ صريح علىٰ إجماع الأمة وتوافق الأدلة النقلية والعقلية علىٰ أن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل والحكم في هذا علىٰ من ادعىٰ ذلك كافر مرتد والعياذ بالله ، وإن كانت الثانية أي أنه نبي بلا رسالة فلماذا هذا التبشير ولماذا هذا النشاط المتزايد وهذا خلاف ما عليه النبي الموحىٰ إليه بشرع خاص به وكما نقول لا حاجة أن يقوم أحمد ميرزا بتعبدات أخذ بها المسلمون اقتداء بالنبي ﷺ من صلاة وصوم وحج إلىٰ غير ذلك . أما الولاية والكرامة لا تكون إلا لمن راعىٰ أمر الله وانقاد لشرعه وتأسىٰ بنبيه محمد ﷺ فعلىٰ قدر الولاء والمحبة لله تكون ولايته وقد يكرمه الله بعض خوارق العادات وليس من الضروري أن كل ولي يخص بكرامة خارقة للعادة وفيما علم الناس من واقع حياة ميرزا أحمد وسلوكه وتقوله علىٰ الله وولائه للإنجليز والاستعمار الأوروبي مما يبعده كل البعد عن مبدأ الولاية والكرامة ، أما التصوف فلا يستبعد أن يكون له طرف من التعبد والتنسك ولكنك يا أستاذ قرشي قلت لا تؤمن بحكاية الوصول وطرح التكاليف ، ولو قلتم بهذا لاعتبرنا نبيكم من هذا الجانب وصل فقال بما شاء

لأنه أطرح التكاليف، الصوفية ادّعوا كثيراً من المعتقدات الباطلة كالحلولية والاتحادية، فإذا كان نبيكم يقول بهذا الاعتقاد فربما جاز له أن يتحدث باسم الله وأن يقول عن نفسه أن الله حل به إذاً فهو حلولي اتحادي أشبه بابن عربي والحلاج والتلمساني وهذه هي فصيلته على الحقيقة وأما العشق الإلهي والفناء فقد قال به كثير كجلال الدين الرومي وقد كان لبعض العلماء في القارة الهندية ولهٌ بالتصوف كما أن لهم نهماً بالفلسفة، أخذ الكثير منهم جوانب وأغفلوا جوانب أخرى، فالشيخ ولي الله الدهلوي والمجدد أحمد السرهندي والشيخ أحمد عرفان والشاعر الفيلسوف محمد إقبال هؤلاء من خيرة وأمثل من ينعتون بالتجديد والإصلاح في القارة الهندية ومع هذا فإنهم لا يقولون بالفناء ولا بطرح تكاليف ولا بالوصول والعشق الإلهي (أظنها عبارة فارسية) شاعت على ألسن كثير من العلماء، وفي الكتب الإسلامية باللغة الفارسية ولسان العرب لا يستسيغ هذا التعبير وليس في المصطلح الشرعي من الكتاب والسنة وقول السلف المعتبرين. فإن العشق نوع من المحبة وليس هو أعلى درجة الحب وهو مصطلح بين العاشق والمعشوق بين بني الإنسان ومثله الهيام والغرام والتشبيب ولا أظن ميرزا أحمد يقول بشيء من هذا أو يفكر به فهو ما يدعيه ولكن لا يأبه به فلهذا لم يضمنه كتبه وتعاليمه وإيماءاته وتنبؤاته من هذا الباب وأغلب الظن كما سمعت وقرأت أن الهوس والجنون وأمراضاً عجيبة تنتاب بني القاديان فصار يهذي بما لا يدري. ولكن كيف اتخذه الإنجليز عميلاً وكيف اختاروه لهذا التضليل؟، هذا ما يدهش الإنسان كثيراً، وقد قيل إن الجنون فنون ولعل ميرزا أحمد قد

خدم الإنجليز وراثياً فإن الأسرة بكاملها كانت عميلة وصنيعه للإنجليز وهو بحق شجاع في إبداء رأيه قد خرج على الظواهر الاجتماعية وخرج عن المعتقد الإسلامي ولكنه بحماية الإنجليز وتشجيعهم ودعمهم له وصل إلى ما وصل إليه، هذا هو رأيي في كل ما تقدم وهذا ما أدين الله به فالمجاملة لا تكون في الدين ولا على حساب العقيدة.

نصير الدين : هل يا ترى ستقوم بحملة إعلامية لإعلان ما تراه ضدنا فيما جرى البحث فيه.

إسماعيل : لست برجل إعلام ولا أملك أجهزة إعلام ولكن لو سُئلت عن الحق أجبت ولو دُعيت إلى مناوأة الأحمديين لفعلت مع تقديري وإكرامي لشخصكما فإنني سأستفيد، من جلسات واجتماعات بكم، من خبرتكم الطويلة وأساليبكم لنجعلها في قالب حق ونعمل جهدنا في نشر حقيقة الإسلام على قدر المستطاع.

فيروز : الحمد لله إنك اعترفت بأنك ستستفيد منا وإن خبرة الأحمديين أكثر من خبرتكم وإنك تريد أن تعمل على طريقتنا التوجيهية.

إسماعيل : الحكمة ضالة المؤمن ونحن نستفيد من عدونا كما نستفيد من صديقنا فالمبشرون النصارى أبدعوا في الخدمات واستعطاف الضعفاء ولو كانت باسم الخدمة الإنسانية لكنا معهم سواء. وهكذا الشيوعيون أحكموا أنظمتهم ودرجوا على التخطيط فأقاموا لهم دولة عظمى في الشرق على أنقاض ممالك المسلمين ولست أعني أنني حين أستفيد منكم أنني متفق



معكم فيما ادعيتموه وقلتم به وما تدعون إليه.

نصير الدين : نحن دوماً في خدمتكم وسنلتقي بكم دائماً على بساط السماحة والأخوة الإسلامية وكلنا غرباء في هذه البلاد.

انتهت الندوة الأولي والحوار فيما تقدم بتاريخ ١٥/ ١١/ ١٣٨٧هـ



صورة تمثل جهة من جانب الحفل

من اليمين :

١ ـ الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق

٢ ـ الحاج أجالا .

٣ ـ السيد أبو بكر

٤ ـ الحاج دارفولا

٥ ـ الدكتور إسماعيل بالوكا

٦ ـ نصير الدين أحمد

٧ ـ فيروز محيي الدين قرشي

الندوة الثانية : الجهاد ومحاربة الاستعمار

تقديم

سبق وأن جرىٰ الاتفاق مع الأحمديين القاديانيين أن ألقي خطبة الجمعة في مسجدهم علىٰ أن أقوم بالإمامة واختيار الموضوع فكان موضوع الخطبة حديث : «أُمرت أن أُقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله» ولا أدري فيما إذا كان المترجم قد خان في ترجمته وحرف ما قلته أو أنه أتىٰ بالحقيقة وترجم بالأمانة وعلىٰ إثر هذه الخطبة كان اجتماعنا في الندوة الثانية بتاريخ ١٥/ ٢/ ١٣٨٨هـ.

نصير الدين : لأول مرة نسمع بالقتل والقتال في مسجد الأحمديين فقد كنا ندعو للسلم دائماً ونحرص عليه ولا نقول إلا خيراً وإن جاءنا أذىٰ تحملناه ولا نقابله بالقتال، فلا أدري هل الشيخ يوافقني علىٰ أن السلم خير من الحرب وعلىٰ أن المحبة خير من العداوة ونفع الإنسان أفضل من إلحاق الضرر به فما تقول أيها الشيخ؟ إسماعيل : كل ما جئت به هو آي قراني أو حديث نبوي وهما مصدراً التشريع للمسلمين باتفاق أهل القبلة فإذا كان قد كبر عليكم ذكر القتال فإن الله هو الذي شرعه وفي الحديث الشريف «وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» أما محبة السلم وحماية الإنسان ودفع الأذىٰ عنه

فهذا من نتائج الحرب ومن فوائده، إذا كانت الحرب في سبيل الله وقد قال الرب تعالىٰ: ﴿وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾.

فيروز: لا ننكر أن في القرآن وفي السنة ما يدعو إلىٰ الجهاد وقد خص الله سورتي الأنفال والتوبة بآيات كثيرة فيهما حول الجهاد وقد غزا النبي ﷺ غزوات كثيرة كلها شهر فيها السلاح وقاتل حتىٰ دخل الناس في دين الله أفواجاً ولكن الذي نلاحظه ويجب أن نقف عنده طويلاً أن الرسول جاهد في حين أنه لا يملك أن يقول كلمة الحق وليس لدىٰ العرب ما يسمىٰ بالديمقراطية أو الحرية الفردية بحيث يتكلم من شاء فيما شاء ولهذا شرع الله الجهاد والقتال وكان مناسباً لتلك الظروف. هذا هو رأينا حول الجهاد أو ما قد نسميه القتال وهو في الحقيقة اعتداء إذا خرج عن صورته الأولىٰ في عهد النبوة والرسالة.

إسماعيل: القرآن الكريم فيه محكم وفيه متشابه وفيه ناسخ وفيه منسوخ وباتفاق المسلمين أن آيات الجهاد محكمة لا تبديل فيها ولا نسخ ولا تدخل في المتشابه وعلىٰ هذا درج الصحابة في حرب المرتدين وسارت ألوية الجهاد حتىٰ أطاحوا بعروش كسرىٰ وقيصر ولما كنا علىٰ غير هذا المبدأ انظر كيف فعلت القوة فعلها في الدول الإسلامية علىٰ يد المستعمر الأوروبي الغاشم الظالم. لقد تقاسم الأوروبيون البلاد الإسلامية بما يسمونه قسمة تركة الرجل المريض وذلك علىٰ إثر انهيار الدولة العثمانية وتقلص حكم الأتراك في تركيا وإعلان أتاتورك بأن تركيا دولة علمانية لا شأن لها بالعرب ولا بالإسلام. أقول إن الرجل الأبيض مع قلة تعدادهم وقلة عددهم

استطاعوا أن يهيمنوا على المسلمين بل على الدول الإسلامية الأفريقية. فهذه الهند تدعى بالبقرة الحلوب حكمها الإنجليز ثلاثمائة سنة أو تزيد وعندما حاول المسلمون الانتفاضة واستقلال بلادهم في قطر بنجاب سلط الإنجليز عليهم أعدائهم من السيخ ومن ورائهم طائفتكم القاديانية. إن القوة هي المنطلق وهي المنطق لإحقاق الحق وإبطال الباطل ولهذا قال النبي ﷺ «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً» وقال: «ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي» وذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾.

نصير الدين: لقد تبنى هذا المبدأ المسلمون في الهند وفي باكستان وصيرونا كفاراً فاستحلوا دماءنا وأموالنا وضيقوا علينا الخناق حتى أمدنا الله بنصره وذلك بتأييد الحكومة البريطانية (المملكة العظمى التي أوقفت نزيف دمائنا وحمت أموالنا وفتحت لنا مجال حرية الكلمة) فلماذا يلومنا الناس حينما نعطيهم الولاء والمحبة والخدمة والاعتراف بالجميل.

فيروز: وأضيف على ما قاله مولانا بأن الإنجليز أو ما يسمونه بالرجل الأبيض كان أهلاً للقيادة وعمارة الأرض والاستخلاف على العباد وكانت سيرتهم حماية الأمن واستقرار الحياة ورغد العيش والعدالة بين المجتمع وعندما تخلى الاستعمار (وهذه الكلمة بمعناها الصحيح) وهو قد عَمَرَ الأرض بالمصانع والقطارات والمنشآت والمزارع ما لا يقدر قدره إلا الله والذي كان أهلاً للقيادة وكفواً للسيادة ولا يمكن لمسلمي الهند على اختلاف

طوائفهم وتباين نحلهم أن تستقيم فيهم حكومة أو يستقر الأمن كما كانت في عهد الاستعمار.

إسماعيل : لقد قيل لا يمدح السوق إلا من ربح فيه فإذا كانت الطائفة القاديانية قد راجت بضاعتها وكسبت ولاء الإنجليزي ومحبته فلها الحق أن تتعبد له وأن تكون له أذناً وعيناً ولكن لا على حساب الإسلام وباسم السلام وبتحريف القرآن وبالإطاحة بالهدي النبوي الشريف ولا أظن أحداً يمنع أحداً من أن يستخدم في مصلحته الخاصة الذاتية بتصرف فردي تصرفه ما لم يكن ذلك على حساب مبدأ ودين والإضرار بالمسلمين ولهذا اتضح لي مما قرأته وسمعته أنكم تريدون من طرح الجهاد لدى المسلمين حماية مصالح الغرب وأسر المسلمين وقيدهم حتى لا يكونوا حربة على عدو ولا شوكة في حلق كافر، ولا شك أن هذا مبدأ خطير ومعتقد فاسد وأنكم منا بريئون ونحن منكم براء.

فيروز : النتيجة كما أسلفنا في كل حوارنا هو مجرد استطلاع من قبلك وقبلنا ولكن لا أتوقع أنك تستفيد مما قرأته من كتبنا إلا العداوة والبغضاء والكراهية لنا فلندع الجهاد وذكر القتال وإلى ندوة أخرى في موضوع آخر إن شاء الله.

الندوة الثالثة : حول تفسير بعض الآيات القرآنية

فيروز : لقد جِئتُ بعلم جديد واطلعتُ على التفاسير للقرآن المجيد وأنا أعرض ما قرأته بنص ما جاء في الكتب الأحمدية ولا أدري هل ستتفق مع شيخنا العربي أم نكون وإياه على طرفي نقيض .

ـ تفسير قوله تعالى : ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ المراد بآدم هو الميرزا أحمد وبالجنة هي أخته (المرجع ترياق القلوب) .

ـ تفسير قوله تعالى : ﴿وله الحمد في الاخرة والأولى﴾ المراد بالأولى أحمد المصطفى المجتبي والمراد بالآخرة أحمد ميرزا الذي يكون في آخر الزمان وهو المسيح والمهدي (المرجع إعجاز المسيح) .

ـ تفسير قوله تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ المراد بالمسجد الأقصى المسجد الذي في قاديان مسجد المسيح الموعود (المرجع : الخطبة الإلهمية) .

ـ قوله تعالى : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ هذه الآية في الحقيقة متعلقة بزمان هذا المسيح . (المرجع إزالة الأوهام) .

ـ تفسير قوله تعالى : ﴿مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾

ليس المراد بمحمد رسول الله بل المراد بأحمد في هذه الآية وهو الميرزا (المرجع إزالة الأوهام).

- تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وإنا علىٰ ذهاب به لقادرون﴾ المراد به سنة ١٨٥٧م وهذا هو زمان الميرزا غلام أحمد (المرجع إزالة الأوهام).

- تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ يقول ينصر الله المؤمنين بظهور المسيح في قرن من القرون الآتية يكون مدده مساوياً للبدر التام يعني في القرن الرابع عشر الهجري (المرجع إعجاز القرآن).

هذه نماذج من بعض ما وقع اختياري عليه في تفسير هذه الآيات لأستطلع رأي الشيخ فيما نقول حول تفسير القرآن الكريم.

إسماعيل: القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً فإن لم نجد فيفسر بحديث رسول الله ﷺ فإن لم نجد فيؤخذ بأقوال السلف من الصحابة والتابعين فإن لم نجد فبأشعار العرب وآثارهم العربية في توضيح ما خفي معناه لغةً وما نقلته وتلوته من الآيات وتفسيرها ليس لك ولا من كتب هذا الكلام مستند ولا صحة ولا برهان وإنما هو ضرب من اللغو والإلحاد في آيات الله وما أكثر هفواتكم وأبشع زلاتكم ولكن كما قيل لا يرىٰ أحد عيب نفسه.

نصير الدين: من المعلوم أن تفاسير القرآن كثيرة ومنها ما هو يعود إلىٰ التفسير بالرأي ولقد علمت بأن كثيراً من العلماء المسلمين من المفسرين لم يأخذوا بمثل ما أشرت إليه من تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة أو بأقوال السلف أو بالمأثور عن العرب بل إن القرآن الكريم أشبه بالبحر وتلاطم

الأمواج وكل يأخذ منه حاجته فمن آخذ در ومن آخذ سمك ومن سابح فيه، فعلماء الفلك أبدعوا في فنهم واستدلوا بالآيات القرآنية على نهجهم وهكذا علماء الطبيعة أو ما يسمى بالفيزياء وهكذا الأطباء وناهيك بعلماء الكلام وعلماء التصوف ومن يدعون عندكم بالجهمية والمعتزلة والاتحاديين والحلوليين كل هؤلاء من أهل القبلة يصلون ويصومون ويحجون وقد استفادوا من القرآن الكريم فائدة مباشرة من غير ما رجوع إلى ما أشرت إليه من مصادر تفسير القرآن الكريم.

إسماعيل: الجواب على هذا قوله ﷺ: «افترقت اليهود على أحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتي وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قلنا من هي يا رسول الله؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي!! لقد كثرت التفاسير كما ذكرت كفن من فنون العلم فقد كان في الدولة العباسية تشعب المعارف وتعدد فنون العلم حتى أصبح كل فن له مدرسة، فالعصر العباسي يسمى بالعصر الذهبي وقد اختلطت المعارف اليونانية والفارسية والهندية والعربية وبحكم الخلافة العباسية القائمة باسم الإسلام لقد انطوى في ظلها ملحدون من المجوس ومن اليهود أوغلوا في الإفساد عن طريق تشعب المعارف وكثرة الفنون فلا غرو أن تبقى آثارهم ويتاورثها جيل بعد جيل ولا أظن أن تعاليم القادياني كلها كانت بدءاً ذي بدء. ولكن لا يعدو من التأثر بالتصوف ثم الهوس وجنون حب الغيب والتنبؤ. وقد أخبر الصادق المصدوق «أنه يكون كذابون ثلاثون كلهم يدعي أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي».

فيروز : سنقلب صفحة جديدة في حوارنا في المستقبل وندع الحقائق العلمية والخلافات العقائدية ولنعود بما بدأنا في مبدأ التعارف في وجوب التعاون فيما اتفقنا فيه وعدم ذكر الخلاف مما يسبب تفرقة المسلمين ويضعف جهودهم ونقول جميعاً اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .



صورة لجانب من الحفل الختامي للندوة

من اليمين :

١ ـ الحاج عبدالوهاب الياس .

٢ ـ الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق .

٣ ـ الحاج أوينا .

٤ ـ الحاج أجالا .

٥ ـ السيد أبو بكر .

الندوة الرابعة : حفل تكريم

بتاريخ ١٣٨٨/١/٩هـ

وكان الأحمديون قد أعدوا حفل تكريم كما زعموا للضيف العربي المبشر الإسلامي من المملكة العربية السعودية، حضر هذا الحفل عدد من أنصار الأحمديين من أهل نيجيريا. وكان الموضوع حول الدور الإصلاحي الذي قام به الأحمديون خلال مائة عام. والدور الإصلاحي للقادة العظماء في الجزيرة العربية كان المتحدث الأول هو الصحفي فيروز محيي الدين وتعقبه أمير القاديانيين نصير الدين أحمد. ثم كلمة الضيف إسماعيل بن سعد بن عتيق وتعقبه بالكلمة الدكتور إسماعيل بالوكا. فالحاج دارمولا وكلاهما أحمديان إلا أن الأول قد تاب ورجع وهو يعمل أستاذاً في جامعة أبادن بنجيريا رغم أنه ولد من أبوين اعتنقا مذهب القاديانية والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وقد تتابع التائبون والنادمون على ماضيهم باللقاءات المتكررة والمباحثات الجدية، ومنهم أمير الأحمديين في مدينة كانو فتح الله عليه بواسطة الأخ الداعية الشيخ محمد الراوي إبان إضافته في نيجيريا عام ١٣٨٨هـ والحمد لله.

فيروز : بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله نعتز بقدوم

أخ كريم من البلاد العربية سيحمل معنا عبء، الدعوة والإصلاح ويقوم من جانبه بالتعريف بالإسلام وقد كنا تباحثنا معه في جلسات خاصة. فاتفقنا على مجابهة التبشير النصراني والعمل على كسر الصليب كما هو يشاركنا في ضرورة الإعلام الإسلامي وتوعية المسلمين في المجالين السياسي والديني، وإن كان هناك خلاف بين طوائف المسلمين ولا بد من الخلاف فليكن ذلك في إطار الأخوة الإسلامية، ولا يصح أن نعلن الخلافات المذهبية والنزعات الدينية سيما وأن الأمر يتطلب وحدة المسلمين وقوة الآصرة بينهم وهذا ما يدعو إليه الملك فيصل وينادي به العالم العربي والإسلامي أعني دعوة التضامن الإسلامي ضد الصهيونية العالمية والماركسية الملحدة والديانات الضالة، ولا أقول هذا مجاملة لضيفنا الكريم يعرف هذا من أول وهلة في المقابلة. فقد كنا معاً في توديع معالي الشيخ الصقير سفير المملكة العربية السعودية لما نكنه له من محبة وإكرام وتقدير.

أيها الإخوة الحاضرون موضوع كلمتي عن الدور الذي قامت به جماعتنا جماعة أحمد مرزا المسيح الموعود والمهدي المعهود الموحى إليه من الله بالشريعة على وفق شريعة محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أقول لقد نشأت وترعرت الجماعة الأحمدية على يد منشئها أحمد مرزا غلام في مدينة قاديان في الهند. وبعد أن أذن الله بقيام دولة باكستان عام سبع وأربعين وتسعمائة وألف هاجرت الجماعة إلى مدينة ربوة، حيث ينزل المسيح ابن مريم وقد توفي مولانا أحمد مرزا عام ١٩٠٨م. وكانت تلك

الفترة مابين نبوته وهجرتنا إلى الباكستان، تقع علينا الملمات والمصائب من المسلمين والهندوكيين لولا عناية الله ونصرة الحكومة الإنجليزية فهي التي ترعى حقوقنا وتحمي حمانا، وتذود عن معتقدنا حتى يومنا هذا وصلتنا بالمملكة العظمى البريطانية صلة ربيب النعمة والمعترف بالفضل لهذه الدولة.

وقد كانت مدينة ربوة بفضل القادة السياسيين وعلى رأسهم وزير خارجية باكستان ظفر الله خان مدينة رائعة مزدهرة استطعنا أن نحقق نشاطاً في المجالين التعليمي والسياسي وأن تكون مدينة ربوة مقر الخلافة الأحمدية ومنطلق المبشرين في أنحاء العالم وآخر نشرة وصلتنا عن الإحصاءات من نشاط الأحمدي عام ١٩٧٧ وكان في إحدى وخمسين دولة من دول العالم سيما دول الكمنولث وكانت بداية النشاط في نيجيريا عام ١٩٣٣م، والإخوان يشهدون أن مركزنا قد قام بخدمات للوطن النيجيري تعليمية وطبية ولم نأل جهداً أن نعطي من أنفسنا وأموالنا تجاه الأمة الإسلامية لولا أننا نصطدم بتيارات فكرية وعقائدية وسياسية، هي في الحقيقة لا تؤدي بعض ما نؤديه في الخدمات المحسوسة الملموسة للرأي العام والحكومات النيجيرية على تتابعها مدى هذه السنين نلقى منها كل تشجيع وإكرام، وهي معنا ونحن معهم.

وإن كان لي حق الخروج عن الموضوع فأقول، إن جمهورية غانا هي التي نالت الدرجة الأولى في النصر والتأييد. فقد بلغ تعداد مساجدنا ما

يزيد على مائتي مسجد. كما أن الأكثرية في البرلمان الغاني متفقون معنا غاية الاتفاق.

أعود إلى محور الحديث : فأقول إن الأحمديين جاءوا إلى نيجيريا لغرض واحد وهو الإيمان والتصديق بالمسيح الموعود والمهدي المعهود فهو مهدي الزمان مكسر الصلبان، ولا دليل أكثر من هذا الواقع فقد أقمنا الحجج والبراهين، على ما تأوله المسلمون من أن المسيح عيسى ابن مريم رفع إلى السماء حياً بجسمه وروحه ويعود إلى الأرض ليقيم فيها العدل بالقسط كيف وقد دفن المسيح، وقد عثر عليه في الهند جثة هامدة. وإذا كان المسيح ابن مريم ولد على خلاف العادة من أنثى بلا ذكر فهل يكون على خلاف قوله تعالى : ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وقوله تعالى : ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ . أرجو عدم المؤاخذة من ضيفنا الكريم فهذا معتقدي وهذا ما أدين الله به في الحال والمآل.

أيها الإخوة الحاضرون لا أريد أن أزجكم في متاهات عن النشاط الأحمدي في نيجيريا فكلكم يعلم ذلك ويعلم أن هذه الجماعة هي التي سبقت بتكوين التنظيم والجمعيات الإسلامية. ومن ثم أخذ المسلمون النيجيريون يحذون حذونا في التجمع والتنظيم. فقد بلغ تعداد المنظمات والجمعيات الإسلامية في آخر إحصاء نعرفه خمسمائة جمعية، أكبرها جمعية إخواننا أنصار الدين والذين كانوا معنا ثم انشقوا علينا وهكذا جمعية أحمدية موف منت وهم معنا في الفكر والاعتقاد والخلاف بيننا وبينهم مالي. أما جمعية نصر الإسلام في كادونا بشمال نيجيريا فهي تملك الأموال

الكثيرة وأنصارها من رؤساء العرب والمسلمين وقد أنشأها السير أحمد بللو حفيد عثمان فيدو، ولكننا نقول بكل افتخار إن جماعتنا الأحمديين يقومون بالخدمة بإخلاص وعلى مبدأ التضحية تكون نتيجة الأعمال ولا أريد أن أجرح أحداً أو أذكر مساوئه. ولكن من باب المقارنة.

أيها الأخوة الحاضرون خرجت بكم عن موضوع الحديث فهل لي أن أقول لكم عن حصيلة مئة عام. ولكن ما أشرت إليه هو قطرة من بحر أو شربة من نهر. وإلي هنا سأكتفي بهذا العرض السريع والقول الموجز فلعل ضيفنا الكريم يهدي لنا عيوبنا ويتحفنا بما عنده حول الدور الذي قامت به المملكة العربية السعودية في مجال الإصلاح والدعوة إلى الله ونحن شاكرون لفضلكم وإصغائكم والسلام عليكم. هتاف أحمدية أحمدية أحمدية.

نصير الدين تعقيب ومحاسبة للأخ الصحفي فيروز قرشي على بعض النقاط التي جاءت في حديثه، وقد أعذره لقوة إيمانه، بما يقول وعدم التزامه بموضوع الكلمة. فقد كنت أود أن يشير إلى الدور السياسي والخدمات الاجتماعية لمركز الأحمدية بين العالم ويدع ما نختلف فيه مع ضيفنا الكريم، وهو لاشك أن لكل واحد الحق في التعبير عن معتقده وما رآه ولكنني أقول لكل مقام مقال.

والسلام عليكم هتاف : الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

إسماعيل : بعد حمد الله والثناء عليه أشكر الحاضرين ومن قاموا بإعداد هذا الحفل الكريم، وفسح المجال لمن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله خاتم الأنبياء والرسل بالتحدث في مركز من يشهد أن ميرزا نبي الله يوحى إليه ويخاطب ربه ولا غرو فإن هذا يقع بين كثير من

أرباب النحل والطوائف لتبادل وجهات النظر وتنمية المعلومات والاستفادة من الخبرات وقد كنت التقيت بعدد من القساوسة النصارى ورجالات الديانات من هندوكيين وبوذيين وكل يطرح بضاعته. إذاً فليكن حديثنا في الإطار العام والشامل لمسمى المسلمين. ولا شك أن الطائفة القاديانية هي ممن تنتسب للإسلام وتعتز بالقرآن ولهم مقوماتهم السلوكية وأعمالهم التعبدية بل والالتزام بالفقه الحنفي المعمول به في قارة الهند إلا أن الذي يثير ضجة الخلاف ونشوب الفتنة استهجانهم بختم النبوة وادعائهم أن الله خص نبيهم بالكلام والعلم اللدني والمخاطبة وهذا ما يجعلنا نحكم بالحكم الصارم على مثل ما حكمنا به على نبي اليمامة مسيلمة الكذاب في بلادنا «تصفيق وهتاف الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله خاتم أنبيائه» هذه العبارة التي تهتفون بها هي موجودة في كتب الأحمدية، وهي باعتراف أحمد ميرزا وهو يكررها في غير ما كتاب من كتبه وهو يلعن القائل بخلاف ذلك. ولكني لا أدري كيف أوفق بين هذا الكلام وبين دعواه. ومن عجيب الأمر أنني فيما قرأته أنه تم نشر خمسين ألف كتاب باللغات الفارسية والعربية والأردية تثبت نبوة ميرزا. وفي بعض الكتب تشير أن ميرزا أحمد إنما هو ظل لرسول الله أو هو كالصورة، والحقيقة هو محمد بن عبدالله. ومع أن هذا الكلام غير مقبول عند أهل الحق فإن سماجة التأليف وحب النشر دعت أحمد ميرزا أن يأتي بأفكار ما هي إلا ذبذبة للأفهام وصرف الناس عن قراءة ما يفيدهم من كتب السنة والحديث. قال ميرزا أحمد: إنه مريم وقد حمل بالمسيح ثم تحول فكان هو المسيح. لا أدري بأي لسان يفهم الناس هذا المعتقد وبأي عقل يصور هذا التعبير.

أيها الكرام كان بودي أن أضع هذا الحديث جانباً، ولكن أبت الغيرة الدينية، إلا أن أقول ما أعتقده وأدين لله به وفي حديث الصحفي فيروز من الهفوات والزلات ما لا يتسع لذكره المجال. لذا أعود إلىٰ موضوع الكلمة وهو الدور الذي قامت به الزعامات في الجزيرة العربية دور الإصلاح والتجديد. لا أقول كما قال الصحفي فيروز، الدور الأحمدي خلال مئة عام ولكنني أقتصر علىٰ عناصر من حركة التضامن الإسلامي الذي نادىٰ به الملك فيصل. أما من قبله من القادة والزعماء المصلحين فقد مضوا ويشهد لهم السجل التاريخي في الدعوة والإصلاح والتجديد وإنقاذ الأمة من أنواع الوثنية بأنواعها السياسي والعقائدي ومنه التبعية للأجنبي الكافر أياً كان عنصره وبلده.

أيها الحفل الكريم: نادىٰ الإمام فيصل ملك المملكة العربية السعودية بالتضامن الإسلامي، وأرسىٰ قواعد المنطلق في دعائم أربع:

أولاً: قام بإنشاء جامعة إسلامية في مدينة رسول الله ﷺ استقبلت أبناء المسلمين في مختلف الممالك الإسلامية وقد بلغ تعداد الدول المستفيدين أبناؤها من هذه الجامعة فيما علمت سبعين دولة ليعود أبناء هذه إلىٰ أوطانهم وقد تزودوا بالعلم الصحيح واستفادوا من السيرة النبوية والهدي القرآني. هذا مجال التعليم لأبناء الأمة الإسلامية.

ثانياً: قامت الدولة السعودية بإنشاء رابطة لعلماء المسلمين ورجالات السياسة منهم مقرها مكة المكرمة، وذلك لغرض التشاور والعمل علىٰ الحلول للمشكلات السياسية والاجتماعية وحماية الأقليات المسلمة المتناثرة علىٰ الكرة الأرضية فقامت الرابطة بدورها الإيجابي لما تحظىٰ به من دعم

وتأييد ودفع مسيرتها للأمام من قبل حكومة المملكة العربية السعودية مادياً ومعنوياً مما هو مشاهد وملموس لدئ الجميع .

أما المنطلق الثالث لدعائم العمل الإسلامي وتضامن المسلمين فهو مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ومقره في جدة وهذا المؤتمر يعني بالشؤون السياسية لدول العالم الإسلامي وهو من جهود حكومة المملكة العربية السعودية بقيادة الملك فيصل خادم الحرمين الشريفين .

أما الدعامة الرابعة فقد افتتحت حكومة المملكة العربية السعودية مكتباً تحت رئاسة وإشراف مفتي البلاد ورئيس العلماء الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وهذا المكتب مهمته بعث الدعاة والمبلغين إلىٰ أنحاء العالم من خريجي الجامعة الإسلامية ومن العلماء العرب الذين يجدون في أنفسهم الرغبة في تبليغ الإسلام ونشره في أرجاء المعمورة ولي شرف الانتماء لهذا المكتب فقد فرغت من كلية العلوم الشرعية عام أربع وثمانين وثلاثمائة وألف وبعد سنتين من الخدمة رأيت لزاماً عليّ أن أشخص إلىٰ بلاد أفريقيا لنشر الإسلام والدعوة إليه وقد كان من حسن الطالع أن تعرفنا علىٰ كثير من المنظمات والجمعيات المنتمية لخدمة الإسلام والدعوة إليه .

وكان من واجبي أن أدعو إلىٰ تصحيح بعض المفاهيم التي عليها كثير من المسلمين ولكنني في هذه الوقفة القصيرة لا يمكنني أن أقول كل ما يجول بخاطري ولي لقاء بكم مرات وكرات في مجال العمل الإسلامي والدعوة إليه .

والله ولي التوفيق

الدكتور إسماعيل بالوكا يعقب على الكلمة بعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال ما مضمونه: «إن بلد نيجيريا الفيدرالية أكبر دولة في إفريقيا وهي الأم لغرب إفريقيا وقد تشرفت نيجيريا باستقبال الدعاة والمبشرين من الإسلاميين والمسيحيين. ولا زلنا نلمس فجوات في المجتمع النيجيري مما يجب أن نعطي الأهمية لسد هذه الفجوات في المجتمع.

أولاً: وجود عدد كبير من الوثنيين لا يعرفون عن الإسلام شيئاً.

ثانياً: قوة التبشير النصراني على اختلاف طوائفه ومِلله من البروستنت والأرثوذكس والكاثوليك وغيرهم.

ثالثاً: الحزبية القائمة على أساس العنصر أو المصلحة أو السياسة فلا أدري من سيتصدى لسد هذه الثغرات بجلب البديل النافع نحن الأحمديون في بداية الطريق ولا يمكن أن يستوعب نشاطنا جميع احتياجات المجتمع فهل للحكومة السعودية أن تمدنا بالمال لنعمل جاهدين في صف التضامن الإسلامي.

مقاطعة: إسماعيل: يقاطع المال ليس هو كل شيء، إذا حصل التضامن في الاتجاه والفكر والعقيدة حصل النصر والتأييد من الله فقد قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾.

الدكتور بالوكا يعود للتحدث فيقول: إن المال عصب الحياة ولا حياة لمن لا عصب له وإن العالم الإسلامي مفتقر إلى الثروة ولا نقول إلى الثورة

وما أشار إليه الشيخ العربي في خطابه من خطوط عريضة في دعم التضامن الإسلامي إنما كان سر نجاحه هو المال.

ونحن بغير المال لا نكون شيئاً، ألم تروا كيف شق التبشير طريقه بالمشاريع والمنشات حتى اعترف له الناس بالجميل ودخلوا في دين النصرانية هذا وإننا معشر النيجيريين نمد أيدينا لإخواننا أياً كان جنسهم ولونهم ولغتهم. وإلى لقاء آخر في جلسات قادمة إن شاء الله.

وبهذا انتهت الندوة الرابعة والأخيرة من الحوار والحفل الخطابي في مركز الأحمديين القاديانيين في عاصمة نيجيريا الفيدرالية في لاجوس. ومما تقدم ندرك أنه لا يوجد حماس ديني قادياني لدى النيجيريين وإنما هو المصلحة. والمركزية بدليل أن المنتمي من الأحمديين القاديانيين من النيجيريين لا يجزم بأن أحمد ميرزا نبي، وقد انفصلت منهم جماعة تسموا بالأحمدية الموفمنث حفاظاً على أملاك الجمعية المسجلة رسمياً، لدى الدولة، كما أنهم لا يشهرون باسم ميرزا أحمد، ولا يعلقون صورة في مكاتبهم، ولكن يقولون عنه أنه مصلح ومجدد.

وبعد هذا الكلام والحوار الطويل أختم بما بدأت به، وهو أن الطائفة القاديانية بدأت بهوس يخلط أفكاره ومعتقداته باسم الإسلام بدليل تناقضه وعدم ضبطه للموضوعية فيما يقوله ويكتبه، وكانت هذه النحلة تلقى كل تأييد من الحكومة البريطانية الحاكمة للهند آنذاك. وبعد انفصال الباكستان واستقلالها من الهند إمتد النشاط القادياني إلى الدول المستعمرة لبريطانيا فكانوا تجاراً بالكتاب وبالدواء وبالاستعطاف للمسلمين وبهذا كانت لهم

سلطات مادية وأدبية ونفوذ كبير في الباكستان حتى حاولوا عام ١٩٥١م. لطرح الحكومة الباكستانية وترشيح رئيس قادياني للباكستان. ولكن عاملهم الله بنقيض قصدهم فانفجرت عليهم تيارات المجتمع الباكستاني، بقيادة المنظمات الإسلامية السياسية كالجماعة الإسلامية المتمثلة في زعيمها الشيخ أبو الأعلى المودودي وكذا جمعية علماء إسلام رئاسة مفتي محمود وبهذا انتهى الدور السياسي الذي كانت تطمح القاديانية في تحقيقه للسيطرة على الإسلام والمسلمين في باكستان، ومما أشرت إليه في مطلع حديثي أنه في عام ١٩٧٤م، قامت ثورة عارمة ضد القاديانيين، فحطموا أسوار مدينة ربوة البلد المقدس، والمحاط بأسوار الصيانة من دخول أي مسلم فيها وأخيراً وقبل سنوات ضاق الأحمديون ذرعاً في دولة الباكستان فالتمسوا من الحكومة البريطانية أن يتسع لهم صدرها وتفسح لهم المجال في نقل مركزهم إلى بريطانيا بدلاً من ربوة وبهذا تتحالف القوتان البريطانية والقاديانية في حبك المؤامرة ضد الإسلام والمسلمين.

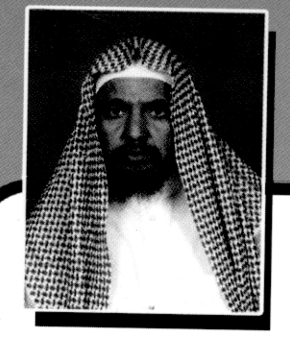
وبالفعل منحت الحكومة البريطانية أرضاً واسعة أهدتها للقاديانيين أنشأوا فيها مدينة لهم وانتقل الخليفة الثالث ميرزا أحمد إلى بريطانيا فإلى غير رجعة مع فرعون وجنوده وهامان وأبي بن خلف. هذا وفي الختام أشير إلى أن ما تمَّ كتابته وتحريره كان رؤوس أقلام في عام ١٣٨٨هـ. ثم جددت الأسلوب معتمداً على ما سجلته من عناصر بذلك التاريخ، والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على محمداً وآله وصحبه وسلم.



المحتـــويات

المحتــــويات

المحتـــويات



المؤلف في سطور

في عام ١٣٥٧هـ ولد بوادي الدواسر "الخماسين" قاعدة الوادي تلقى مبادئ القراءة والكتابة في الكتاتيب على يد عمه عبدالعزيز والشيخ حمدبن عبداللطيف بن حمد بن عتيق.

وفي عام ١٣٦٧هـ سافر للرياض مع والده لطلب العلم لمدة عام واحد ونصف العام.

وفي عام ١٣٦٩هـ افتتحت المدارس النظامية في الوادي والتحق بها لمدة عامين.

وفي عام ١٣٧١هـ سافر إلى الرياض والتحق بحلق التعليم في المساجد بعد وفاة والده.

ودرس على الشيخ محمد المهدي الشنقيطي القرآن وحفظ أكثره عليه في مسجد الشيخ.

وفي عام ١٣٧٣هـ التحق بالمعاهد العلمية في السنتين التمهيدية ثم الثانوية فكلية الشريعة.

وفي عام ١٣٨٤هـ تخرج ورشح لقضاء محكمة بني سعد في منطقة الطائف ولم يباشر العمل واعتذر عن القضاء.

وفي عام ١٣٨٦هـ انتقل عمله إلى دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية وعمل مراقباً للمطبوعات ثم رئيساً للوعظ والإرشاد ثم مديراً عاماً للتفتيش ثم باحثاً علمياً في هيئة كبار العلماء.

وفي عام ١٤١٧هـ أحيل للتقاعد ١٣م.

وله ولع بالسياحة والتجوال فقد طاف القارات الخمس كلها ونزل في سبع وخمسين دولة أكثرها في مهمات رسمية.

كما أن له اهتمام واضح بالحركات الإصلاحية.

وقد أصدر عدداً من الكتب تأليفاً وتحقيقاً ما يربو على خمسة وأربعين كتاباً.

والله ولي التوفيق